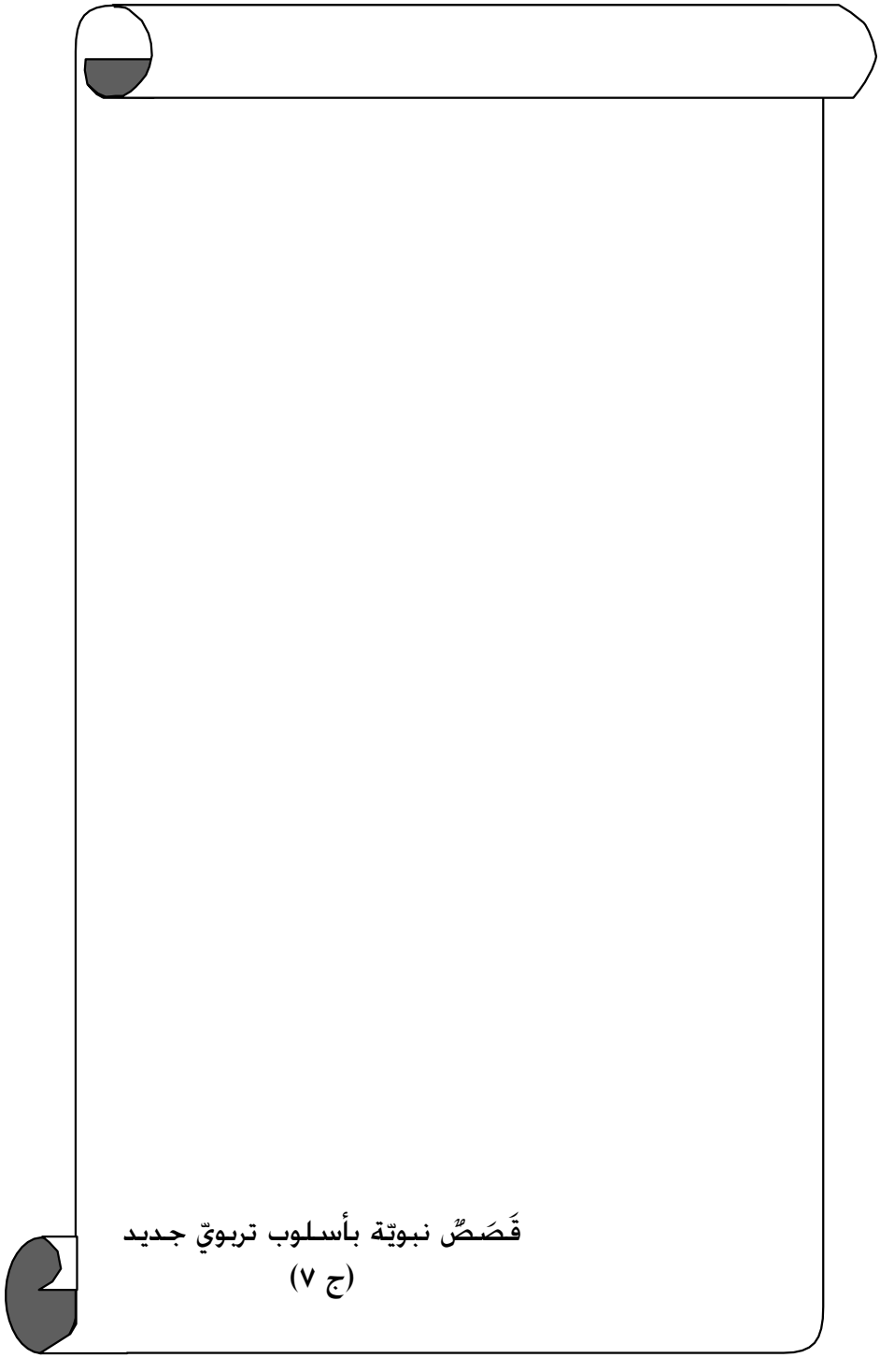
قَـصَـصٌ نبويّة بأسـلوب تربويّ جـديد
(ج ٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة قَصَصٌ الأنبياء (الجزء السابع والأخير)

قَصَصٌ نبويَّة
بأسلوب تربويّ جديد

الجزء السابع
(والأخير)

إعداد وتحقيق وتدقيق

الدكتورة شيرين لبيب خورشيد

مراجعة لغوية

أ. هيام كامل عيتاني خشّوف

أ. نوال محمّد نبعة

أ. فاطمة سعيد الشبعان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

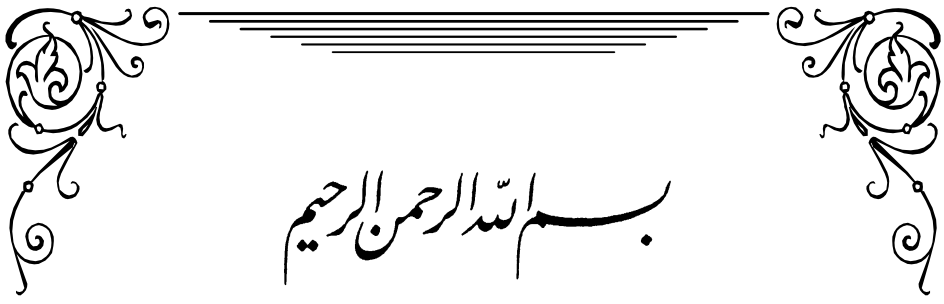

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد خاتم النّبيّين والمرسلين، وقدوة للعالمين، صلوات ربّي وسلامي عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. . .

أمّا بعد:

بفضل الله تعالى ومنّه وكرمه أسطّر حالياً مقدّمة الجزء السّابع والأخير من سلسلة قَصص نبويّة بأسلوبٍ تربويٍّ جديد. . .

وها أنا ذا أبعثر أوراقي التي سطّرت عليها مجهوداً كبيراً في إعداد هذه الموسوعة. . .

تصفّحتها بعجالة لتذكّرني بسنوات مضت سرت فيها بهذا الطّريق أنا والأستاذة آمنة منير عانوتيّ التي وافتها المنيّة في ١٦ ربيع الأوّل ١٤٣٠هـ الموافق ١٣ آذار ٢٠٠٩م، تسع سنوات سعينا فيها جاهداتٍ بين أروقة الجامعات والمعاهد والمكتبات لنجد معلومة صحيحة ترشدنا إلى سواء السّبيل، بين سخرية البعض وتشجيع بعضهم وهم قلّة قليلة. . .

في عام ٢٠٠٦م أنهينا وضع مسوّدات القَصص الثّلاثين، وكتبنا الرّسائل إلى جميع الجهات المختصّة بالدعوة إلى الله وأرسلناها نخبرهم

بها عن هذا المشروع، فاستجاب للأمر ثلاثة فقط ممّن هم غيورون على أبناء هذه الأمّة... ألا وهم الدّكتور صلاح الخالديّ الذي واكبني في تصحيح **١٩** قصّة...

والدّكتور ماجد عرسان الكيلانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ. من الأردن.

والدّكتور خالد الصّمديّ من المغرب جزاه الله عنّي كلّ خير، وهنا من لبنان استجاب للنداء الدّكتور يوسف مرعشليّ والدّكتور غسّان سنّو رَحِمَهُ اللَّهُ...

أمّا الأستاذة عبلة بساط جمعة فكانت لها الأيادي البيضاء في المشاركة التّربويّة لجميع القَصص جزاها الله عنّي خيراً...

هذا كلّه خلال تسعة أعوام وقبل وفاة الأستاذة آمنة منير عانوتيّ...

نعم كنّا ثلاث مشتركات في الإعداد والتّأليف والتّصميم... حيث شاركتنا الأستاذة ندى عيتانيّ جزاها الله عنّي خيراً في تصميم هندسيّ للقَصص لكن لم نعتمد عليه في موسوعتنا الجديدة لثقل التّكلفة للقصّة الواحدة...

أبحر مشروعي عبر البريد ليصل إلى كلّ من حسبته وقتها غيوراً على معرفة الحقّ...

لكن... لا حياة لمن تنادي... ولمَ لا؟ لا أدري...

لكن بعد عام **٢٠١٣**م وعقب انتهائي من رسالة الماجستير: «حقيقة المهديّ في الشّرائع الثّلاث»...

عرفت الحقيقة المرّة التي تعيشها الأمّة في غفلتها، ونومها العميق... وبدأت في السّير وحدي لكن بمنحى آخر، وطريق مستقيم صحيح.

وفي عام ٢٠١٧ كانت ولادة القصّة الأولى من هذه السّلسلة، والتي أعدت تصحيحها بنفسي بعدما صحّحها الدّكتور صلاح الخالديّ. . .

ساعدتني في إنجاز الجزء الأوّل والثّاني كل من: الأستاذة هيام عيتاني ـ الأستاذة سحر لبّان ـ والأستاذة ريما محمّد الغزال. وبدأت المسيرة على نور وبصيرة بفضل من الله تعالى بمواكبة من الدّكتور غسّان سنّو رَحِمَهُ اللَّهُ الذي نقّح ونسق الخطط التّربويّة التي وضعتها وأجازني عليها.

وبعد إصابتي بوعكة صحّيّة ساعدتني الأستاذة «فاطمة سعيد الشّبعان»، والأستاذة «نوال محمّد نبعة» مع بقاء الأستاذة «هيام كامل عيتاني خشّوف» في مشروعي هذا بتصحيح أسلوب التعبير وتصويب الأخطاء اللغوية فجزاهنّ الله عنّي خيراً. . .

مجهود جبّار ساهمن في إخراجه في أبهى حلّة وأروع صورة ـ (يا رب تقبّل، واجعله في صحيفة أعمالهنّ) ـ كما ولن أنسى الجنديّ الخفيّ الأستاذ «فادي أحمد السّيّد» في حسن خلقه لسعة صدره وصبره علينا نحن النّسوة في صفّ هذه السّلسلة مع طباعتها وإخراجها وإصدارها جزاه الله خيراً. . .

كما سأسطّر في التّمهيد لهذا الجزء جميع الدّراسات التي تابعناها لتكون اللبنة الأساسيّة في أهمّيّة التّربية بالقَصص القرآنيّ حيث تربّى الصّحابة الكرام عليها في مكّة المكرّمة لفترة دامت ١٣ سنة، وحازوا بعدها خير القرون قرني ثمّ الذي يليه. . .

يا ربّ يا من بنعمته تتمّ الصّالحات، يا ربّ لك الحمد حمداً كثيراً طيّباً أن أتممت عليّ إعداد هذه الأجزاء السبعة قبل حلول شهر

رمضان المبارك لتكون لنا الفرحة فرحتين. . . سبحانك ربي إنّك نعم المجيب. . .

وفي الختام أدعو الله عزّ وجلّ أن يتقبّل منّا أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

د.شيرين لبيب خورشيد

بيروت في يوم الجمعة:
٣ جمادي الآخرة/ ١٤٤٠
الموافق: ٢٠١٩/٢/٨

كلمة شكر وتقدير

امتثالاً لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقول النّبي ﷺ: «**من لم يشكر النّاس لم يشكر الله**»، أتقدم بالشّكر الجزيل لكلّ من ساهم وتبرّع لإخراج هذه القَصص، جزاهم الله خيراً، فيا ربّ في صحيفة أعمالهم، علم ينتفع به وصدقة جارية، وولد صالح يدعو له امتثالاً لحديث رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث**...».

جزى الله عنّي طالباتي، اللائي سيكملن المسيرة من بعدي بتعليم هذه الموسوعة للأطفال ومن وقف معي في السّرّ والعلن وواكبني في مسيرتي الدّعويّة التي بلغت حتّى يومي هذا **٢٧** عاماً.

جزى الله عنّي شبكة الألّوكة وبارك الله بجميع القيّمين عليها جزاهم الله خيراً وفي صحيفة أعمالهم...

أعيد وأكرّر شكري للجنديّ المجهول «الأستاذ فادي أحمد السّيّد» وزوجته الأستاذة نوال محمّد نبعة لمواكبتها معي في التّصحيح اللغويّ وبارك الله بجميع الإخوة والأخوات العاملين في مكتب الصديق جزاهم الله خيراً...

كما أعيد الشّكر لكلّ من وقف معي في إعداد هذه الموسوعة من الدّكتور يوسف المرعشليّ والدّكتور غسّان سنّو رحمه الله من لبنان إلى الأستاذة عبلة بساط جمعة والأستاذة ندى عيتاني...

أمّا من الأردن فالشّكر الجزيل للدّكتور صلاح الخالديّ بارك الله له بعمره وبجميع أعماله، والدّكتور ماجد عرسان الكيلانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمواكبتي تربويّاً بعد دراسة كتابه: « هكذا ظهر جيل صلاح الدّين الأيّوبيّ وهكذا عادت القدس»...

وأتقدّم بالشّكر الجزيل للدّكتور خالد الصّمديّ من المغرب لرفع الرّوح المعنويّة لديّ لإتمام العمل وإخراجه منتجاً مفيداً للجميع.

كما أعيد وأكرّر شكري للأستاذة هيام كامل عيتاني خشّوف لصبرها ولسعة صدرها في إعادة صياغة الأفكار وفي التّصحيح اللغويّ لجميع أعمالي من غير استثناء بارك الله بها وبعمرها وجعلَه في ميزان حسناتها.

وأشكر الأخت الأستاذة فاطمة سعيد الشّبعان لمجهودها المبذول للوقوف معي في صف الكتب من الإعداد إلى الانتهاء من الطباعة جزاها الله خير الجزاء ويا ربّ يسدّد خطاها في مسيرة حياتها.

وفي الختام أقدّم الشكر إلى أهلي وأولادي هذه الموسوعة ليتذكّروني بها بعد وفاتي ويذكّروا الأحفاد بمسيرتي الدّعويّة لإخراج هذه الموسوعة...

ولن أنسى زوجي الشّيخ أحمد سعيد بصبوص الذي ساندني في مسيرتي وشجّعني يوم يئست من قوم لا يريدون أن يعلموا الخبر اليقين.

زوجي الحبيب دمت لي داعماً ومؤيّداً وعوناً ومشجّعاً بارك الله لك وبك وجزاك الله خيراً.

كما وأدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يجزي عنّي خير الجزاء، الأستاذ يوسف آغا لمساهمته في التّقديم الإعلانيّ عبر مواقع التّواصل الاجتماعيّ جزاه الله خيراً.

وأخيراً جزى الله عنّي خير الجزاء كلّ من قرأ وأسهم في نشر هذه السّلسلة على أرض الواقع في بيروت، جزى الله الجميع عنّي خيراً.

التّمهيد

كما قلت في مقدّمة الجزء السّابع لطيّ صفحة من صفحات إعداد هذا الجزء، أعدت الاطلّاع على ملفّاتي التي واكبتني منذ عام ٢٠٠٠، خمس ملفّات بها جهد هذه السّنين بفضل الله تعالى كلّه مؤرّخ ليذكّرني باليوم والعام كيف بدأنا المسير في إعداد هذه الموسوعة... سيشعر البعض بين طيّات سطوري هذه بالتّعب المضني لتقبّل ونسف ١٤٤٠ عام هجري... نعم نسف هذه الأعوام لنبدأ من جديد مع القَصَصْ القرآنيّ الذي تنزّل على قلب رسول الله ﷺ...

نعم بعد معرفة الحقيقة المُرّة عام ٢٠٠٧ في الشّهر الأوّل وأثناء زيارتي للدّكتور صلاح عبدالفتاح الخالديّ صدمت ومتأكّدة أنّ الجميع سيصدم مثلي...

كيف تربّيت على قصّة آدم عليه السلام منذ نعومة أظفاري وجدّتي تحدّثني عن قصّة آدم عليه السلام، والطّامّة كانت أنّ هذه القصّة ليست الحقيقة الغيبيّة التي أخبرها الله ﷻ لمحمّد ﷺ...

نعم كنت درست منذ عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٦ أهمّيّة تربية الصّحابة الكرام خلال ١٣ عاماً في مكّة المكرّمة ، وأنهيت دراستي للمواد الاستكماليّة في كلّيّة الإمام الأوزاعيّ وبالعودة لمادة علوم القرآن لمعرفة نزول القرآن على رسول الله ﷺ، وتتبّعت السّور المكّيّة وعددها ٨٦ سورة

دراسة وتحليلاً وتدبّراً للآيات ومتابعة جميع قَصص الأنبياء المتواجدة في السّوق مع موسوعة البداية والنّهاية لابن كثير. نعم جمعت بفضل الله تعالى جميع القَصص من أعدّ ومن حقّق ومن تدبّر... جميع القَصص... ومع الدّراسة لمعرفة السّبب في وجود هذا الإنسان على الأرض ومع جميع الخرافات التي قيلت لنا في هذه الكتب، وكتب تفاسير القرآن الكريم المليئة باليهوديّات إلّا من رحم ربّي ولن أذكر أسماء الكتب، فقط أسلّط الضّوء عليها خلال مسيرتي في إعداد هذه الموسوعة.

في الأجزاء الأوّل والثّاني والثّالث والرّابع من قَصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد قدّمت تقريراً عن أهمّيّة القَصص القرآنيّ، أمّا الجزء الخامس فبدأته بمقدّمة مهمّة جدّاً، ألا وهي ضرورة الإيمان بالأمور الغيبيّة مبيّنة وموضّحة أهمّيّة الإيمان بالرّسل الكرام المأمورين أن نؤمن بهم ألا وهم ٢٥ نبيّاً ورسولاً وخاتمهم محمّد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم... أمّا في الجزء السّادس فتتبّعنا أهمّيّة تربية النّشئ على القَصص القرآنيّ وأهمّيّة معرفة خواصّ كلّ مرحلة عمريّة مرّ بها الصّحابة الكرام، وكيف تربّى أولاد وأبناء الصّحابة الكرام في مكّة ومن ولد فيها بعد البعثة أو في المدينة المنوّرة ومن ولد فيها بعد الهجرة. وسأترك للقارئ مسوّدات هذا العمل لعلّهم يكتشفون الحقيقة وما شابها من إسرائيليات شوّهت سيرة الأنبياء وأبعدتهم عن العصمة الخُلُقيّة والعمليّة ـ مع الحمد والشّكر أوّلاً وآخراً أن هداني الله لمعرفة هذا العلم من غير حول منّي ولا قوّة.

* * * * * *

المسوّدة الأولى:

ـ أوّل مسوّدة بدأت بكتابة بعض من الآيات التي تحدّثت عن القَصَصْ القرآنيّ في عام ٢٠٠٠م.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾.

ذكر في كتابه الكريم قصصاً كثيرة عن الأنبياء بعضها مفصّل وبعضها مختصر، والذين ذكر اسمهم لنا عددهم ٢٥ رسولاً جاء ذكرهم في الآيات الكريمات التالية:

في سورة الأنعام (٨٣ ـ ٨٦):

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وهكذا ذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد من سورة الأنعام.

بيّن الله ﷻ سبب هذا التّفضيل في قَصص القرآن فقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

إذاً، قَصص الأنبياء تبيان للخلل التّاريخيّ الذي ورثناه وورثه النّاس، فجاء القرآن ليصحّح هذه الأخطاء التّاريخيّة ويظهر الحقّ فتكون موعظة وذكرى للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ليسوا بمرتبة واحدة هم مراتب ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

الأنبياء عليهم السّلام مصابيح الهدى هم الأُسوة والقدوة أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتد وسر على هذا المنهج واتّبع هذا السّبيل.

أرسلهم الله تعالى تترا: من بداية الخلق تتابع الرّسل والأنبياء وفي حديث لرسول الله: عدد الرّسل زاد على ٣٠٠ رسول وزاد الأنبياء عن ١٢٤ ألفاً.

أرسلهم الله تعالى لإنقاذ البشريّة كلّما واجهت البشريّة انحرافاً جاء الرّسل لينقذوا البشريّة ويصحّحوا المسار فتحمّلوا الأذى في سبيل دعوتهم إلى الله ﷻ وبذلوا الجهد وصبروا ليوصلوا الرّسالة كما أمرهم الله تعالى فوجودهم حقّ وحاجة للبشر والله ﷻ لا يترك النّاس دون نذير حتّى لا يحتجّ عليه أحد يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ دائماً كلّ أمّة يأتيها نذير.

كلُّ الأمم جاءها نذير حتّى لا تقوم حجّة على الله ﷻ يوم القيامة.

هذه القَصص تتميّز بأنّها قَصص واقعيّة ليست خياليّة ليست من نسج الخيال إنّما هي قَصص حدثت في أرض الواقع وعاشتها البشريّة في فترات

حياتها المختلفة وتتميّز أنّها قَصص ذات عبرة ليست قَصصاً للترف والتّسلّي وإنّما هي مملؤة بالقَصص التي تحمل المعاني والعبر من أجل أن نسير نحن على هذا النّهج ونقتدي بهما ونمتنع عن الأخطاء التي وقعت بها أمم الرّسل محور التّاريخ البشريّ يدور حول الأنبياء وليس حول الملوك والقادة العسكريّين.

إلى اليوم نرى أثر هذه.

لن نستطيع فهم القرآن إلّا إذا عرفنا قَصص الأنبياء ـ كم موضع من القرآن فيها قَصص الأنبياء ـ كم سورة سمّيت بأسماء الأنبياء فالذي يجهل قَصص الأنبياء فاته جزء كبير من القرآن.

لذا نستعرض قَصص الأنبياء حتّى نتعلّم منهج الدّعوة إلى الله ﷻ. نحن نريد أن نكون دعاة لله ﷻ نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وحتّى نستطيع أن نسير على المنهج الصّحيح لا بدّ لنا من أسوة وقدوة ومثال نقتدي به ونسير على نهجه وأعظم مثال هو النّبيّ ﷺ وأعظم مثال الرّسل والأنبياء من بعده.

المسوّدة الثّانية:

ـ تحدّثت عن حاجة الإنسان إلى الرّسل الكرام، ولِمَ نحن بحاجة لمعرفة التّوحيد؟؟

حاجة الإنسان إلى التّوحيد الصّحيح تنبثق من حاجته إلى معرفة نفسه، ومعرفة الوجود الكبير من حوله، أي إنّ معرفة الأسئلة التي تلحّ عليه في نفسه يحتاج إلى الإجابة عنها:

من أين؟

وإلى أين؟

ولِمَ؟

ـ من أين جئت وجاء هذا الكون الكبير؟

ـ هل وجدت وحدي؟

إلى أين المسير بعد هذه الرّحلة القصيرة على ظهر الأرض؟ ماذا بعد الموت؟.

ـ لماذا وجد الإنسان ، وأعطي العقل والإرادة؟

من المعلوم أن المعتقدات تسلك إلى نفوس النّاس من عدّة طرق:

١ ـ مسلك اليقين.

٢ ـ مسلك الظّنون.

٣ ـ مسلك الشّكوك.

مدخل الحواسّ:

ـ الإدراك الظّاهر.

التكرار لعدّة مرّات.

الوصول إلى خزائن العلم الثّابت والمعرفة المتمكّنة.

يتغلغل العلم في أعماق نفوسنا حتّى يصبح قادراً على أن يحرّك عواطفنا ويوجّه سلوكنا

عقيدة راسخة.

حثّ القرآن على استخدام مسلكي الإدراك الحسّيّ القاطع والاستنتاج العقليّ القاطع ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾.

ولذا على كلّ مسلم فرض عين معرفة الله وتوحيده.

ما معنى فرض؟

هو ما طلب الشّارع فعله من المكلّف طلباً حتماً (حكمه) يلزم الإتيان به فيثاب فاعله ويعاقب تاركه ويكفّر من أنكره.

المكلّف: البالغ العاقل سليم الحواسّ ـ بلغته الدّعوة.

كيف يكتسب الإنسان معارفه.

من المعارف ما يطلّ على العالم الخارجيّ وهي الحواسّ.

١ ـ حاسّة البصر ـ حاسّة السّمع ـ حاسّة الشّمّ ـ حاسّة الذّوق ـ حاسّة اللمس.

٢ ـ زوّده بعقل يستنتج ويحلّل (جعله مركز التّفكير).

٣ ـ زوّده بالمشاعر والانفعالات: الرّضى والغضب، الحبّ والكراهية، حاسّة الألم والفرح...

الحواسّ تنقل القوّة الإدراكيّة

١ ـ تتخيّل

٢ ـ تدرك

٣ ـ تركّب

٤ ـ تستنتج

٥ ـ تقيس الأشباه والنّظائر

ينقسم العالم إلى غيبيّ ومشهود:

ـ منه ما نشاهده مشاهدة حسّيّة، ولا يشكّ بوجوده إلا فاقد الحسّ.

ـ منه أشياء كثيرة عجيبة لم نتّصل بها عن طريق حواسّنا وتسمّى أموراً غيبيّة، أي غائبة عن عالم الحسّ فينا.

مثال: الرّوح.

الإنسان: غرائز ـ دوافع أهواء ـ شهوات.

كلّها تحت سلطة الإرادة.

* * * * * *

المسوّدة الثّالثة:

ـ بدأت في المسوّدة الثّالثة ببيان ما يجب التّعرّف عليه وبدأت بوضع الخطوط الأساسيّة لمعرفة الهدف من القَصص القرآنيّ، وخاصّة قصّة آدم عليه السلام (بعد حضور محاضرة للدّكتور عبدالرّحمن ذاكر) في دورة كيف تولد من جديد عام ٢٠٠٤.

١ ـ الخلافة.

٢ ـ التّعرّف على الله.

٣ ـ للإعمار.

٤ ـ للإصلاح.

٥ ـ من أنا؟ ولِمَ أنا؟ وإلى أين؟

من أنا: الهدف من وجود الإنسان في هذه الدّنيا إنسان.

ولِمَ أنا:

علاقة الإنسان مع خالقه.

علاقة الإنسان مع نفسه.

علاقة الإنسان مع الإنسان.

علاقة الإنسان مع الكون.

علاقة الإنسان مع من حوله.

من أنا؟ ومن أين جئت؟ (من العدم) ومن أوجدني؟ (الله) ولماذا جئت إلى هذا العالم؟ ومن أوجد هذا الكون وما دور الإنسان في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا؟ (عباد الله) وهل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العالم المشهود؟

هل بعد هذه الحياة حياة أخرى نصير إليها؟ (نعم).

لا تسأم من الوقوف على بابه ولو طردت ولا تقطع الاستغفار ولو ردّدت. . .

هناك معنوية وجدت قبل خلق آدم.

١ ـ «لمّا خلق الله السّماوات والأرض قبل آدم قامت الرحم. . .».

٢ ـ باب استفتح باسمه باب التوبة. . .

٣ ـ لمّا خلق السّماوات والأرض خلق الرّحمة.

٤ ـ **كتاب فهو عنده فوق العرش** إنّ رحمتي سبقت غضبي معرفتك بآدم عليه السلام أهم من معرفتك بأبيك.

من المادة التي تكوّنت منها تعرف خصائصك.

تشريح جسماني.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾. . .

الإنسان مهيأ لأن يكون **قائداً** في الأرض.

مخلوق لكي يكون **مكرّماً**.

أوّل شيء للإبداع هو اليدان التي تركها الله عز وجل حرّة.

تشريح آدم خلق من تراب.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

أنا القويّ أنا العزيز. . . (أسماء الله ﷻ).

ذكر أسماء الله الحسنى للشّعور بجلال الله.

الكون في حالة سكون حتّى أتى آدم.

نفخة من الله في آدم فكانت الحركة في الكون.

معنى اسم الله الأوّل والآخر.

الأوّل الآخر الباطن الظّاهر.

بدء الكون: خلق السّماوات والأرض في كلّ شيء **اسم الله الواجد** اسم **الله الخالق.**

ـ اللجوء إلى الله، الدّخول إلى الله من باب التّذلّل إلى الله. . .

ـ يقسّم الأرزاق في الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ قبل خلق آدم.

ـ البركة أهمّ من الرّزق والعبرة بالبركة قبل الأرزاق.

ـ ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ من هذه اللحظة وضعت كلّ السّنن الكونيّة.

ـ الخضوع لله ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [سورة فصلت].

ـ وكلّ شيء في السّماوات والأرض يسجد لله ويسبّح بحمده.

ـ كلّ شيء خاضع لله: الخضوع لله يعلّم الذّلّ لله، الانكسار لله: ضعفاء فقراء منكسرون إلى الله.

التّخلّق على سبع مراحل:

مرحلة أولى:

١ ـ تراب (من قبضة من أنحاء الأرض. . .) علم النّفس البشريّ وعلاقته بالجيولوجيا.

تحليل تراب الأرض.

مع تحليل جلد الإنسان (نفس).

ونأخذ الفكرة أنّك ضعيف.

الفقير إلى الله: اخضع إلى الله وتذلّل إلى ربّنا...

٢ ـ التّراب ابتلّ بقليل من الماء فأصبح طيناً.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

لا يصلح للخلافة إلّا من كان طاهر النّفس قد أزيل رجسه ونجسه، فللنّفس نجاسة كما للبدن نجاسة ولكنّ نجاسة البدن تدرك بالبصر، ونجاسة النّفس لا تدرك إلّا بالبصيرة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

ومن لم يكن طاهر النّفس لم يكن طاهر القول والفعل.

ومن هنا ندرِك أهمّيّة المعرفة الأوّليّة بالإنسان ودوره في الحياة، وأنّ الله سبحانه جعله وحدة متكاملة لا تتجزّأ، وخُلقه من قبضة طين ونفخة الرّوح، ليكون بجانبه الطّينيّ منجذباً إلى الأرض الذي هو جزء منها، **كي يعمرها بالعمل الصّالح**. ويقيم عليها العدل والأمن والحضارة ويؤدّي دوره في الخلافة. ومن ناحية أخرى، وليكون بجانبه الرّوحيّ منجذباً إلى الملأ الأعلى، يستمدّ من أمر الله سبحانه المنهج الذي يسير على هديه ليؤدّي دوره المكلّف به، وهكذا تظهر الصّورة الحقيقيّة لمكانة الإنسان في الكون ومهمّته في الحياة.

النّظام في الإسلام:

تلازم: متطلبات الجسد ومتطلبات الروح

متطلبات الجسد ⟵ النظام في الإسلام ⟶ متطلبات الروح

ومن هنا تظهرالصّلة بين الحديث عن تزكية النّفس وبين موضوع الخلافة.

فالإسلام ينظر إلى تزكية النّفوس من خلال المهمّة التي يؤدّيها في عمارة الأرض بالعمل الصّالح وإقامة منهج الله فيها، وليس من خلال سلوك فرديّ وعزلة ينقطع فيها المرء عمّن حوله.

كما أنّ البعد عن تزكية النّفس، والتّكالب على الحياة والانغماس فيها، حوّل كثيراً من النّاس عن الخصائص الفطريّة التي صار بها الإنسان إنساناً، والتي بدونها لا يملك أن يؤدّي دوره في الخلافة.

ومن حكمة الله تعالى أنّه حين خلق الخلق عرّفهم بنفسه وأنّه وحده المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾.

وبذلك يكون الإيمان فطرة في النّفس.

النّفس وصلتها بالقلب والعقل والرّوح.

١ ـ القلب: يمثّل دائرة من دوائر النّفس الإنسانيّة، وهو يتّصف بالصّفات التّالية:

أ ـ مستقرّ العلوم والمعارف.

ب ـ محلّ الاعتبار والفهم والهداية.

جـ ـ محلّ العواطف المختلفة.

الفقه والعلم مكانهما القلب، وهذا يؤكّد أهمّيّة القلب بالنّسبة للمعرفة، كما يؤكّد أهمّيّة اللقاء بين العقل والقلب، وأنّ أحدهما لا ينفكّ عن الآخر فهما يشتركان من النّاحية الفكريّة، ويختصّ القلب بالنّاحية الوجدانيّة، ويقتصر العقل على الدّراسة والفهم والمعرفة.

النّفس = روح + جسد

صفات النّفس البشريّة.

١ ـ قابليّة النّفس للخير والشّرّ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾...

٢ ـ الصّفات المتقابلة في النّفس البشريّة:

الخوف والرّجاء ـ الحبّ والكره ـ السّلبيّة والإيجابيّة.

٣ ـ الإدراك على اختلاف مستوياته.

٤ ـ القدرة على إخفاء المطالب والمشاعر.

الحديث عن النّفس:

أ ـ أحوال النّفس:

ـ النّفس الأمّارة بالسّوء.

ـ النّفس اللوامة ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾...

ـ النّفس المطمئنّة.

ـ النّفس الغافلة.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾...

أمراض النّفس ومعوّقات تزكيتها وعلاج ذلك:

المبحث الأول: صحّة القلب ومرضه.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

تنقسم القلوب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: القلب الميّت (وهو قلب الكافر والمنافق وهو قلب لا حياة فيه).

القسم الثّاني: القلب المريض.

القسم الثّالث: القلب السّليم.

بحث **عن هذا** الموضوع:

من أراد مؤنساً فإنّ الله يكفيه.

من أراد حجّة فإنّ القرآن يكفيه.

من أراد غنى فإنّ القناعة تكفيه.

من أراد واعظاً فإنّ الموت يكفيه.

ومن لم يكفه شيء من ذلك فإنّ النّار تكفيه.

أهمّ محاور العلم:

منافذ العلم: الخارج = الحواس ـ الدّاخل (النّفس والوجدان) ـ المرجعيّة (خطّ الحياة).

الهويّة: من أنا؟ الوظيفة: ولِمَ أنا؟ الهدف: إلى ما أسعى؟

الوظيفة: إنسان مسلم: ابن زوج أخ جار محاضر كلّ وظيفة من هذه لها حقّ وواجب إنسانيّ على هذه الأرض:

ـ علاقة بيني وبين الأرض. (إعمارها بما يحفظ خيرها).

ـ علاقة بيني وبين النّاس. (تواصل ومحبة وتفاهم).

ابن = برّ الوالدين.

زوج = خيركم لأهله.

الأب = حقّ الأبناء. (المحبة والمساواة بينهم).

الجيران = حقوق الجار. (الاحترام والاعتراف بالحقوق).

طبيب = أتّقي الله في عملي. (إخلاص في العمل وصدق في المعاملة).

محاضر = أتّقي الله فيما أعطي. (الصدق والخبرة والتجربة).

الوظيفة بكلّ تفصيلتها مرتبطة بالهدف.

أهمّيّة تحديد الهدف وتحديد المهمّة.

أمّا الحديث عن الهويّة:

فمن أنا؟ ولِمَ أنا؟

التّساؤلات:

ماذا أفعل؟ لماذا أفعل؟ متى أفعل ذلك؟ أين أفعل ذلك؟ كيف أحصل على أفضل نتيجة؟

الهويّة: الاعتزاز بالدّين الإسلاميّ.

* * * * * *

المسوّدة الرّابعة:

ـ البدء بحمل الأمانة:

حمل الأمانة صعب فأولادنا وأولاد الأمّة هم أمانة في أعناقنا يجب أن نهتمّ بهم لمعرفة ماذا يريدون منّا فالقصّة هي مدخل كبير للأمّ وللمربّي أن يجعلها أحد أهدافه في تربية ولده فإنّنا لو نظرنا في سيرة رسول الله ﷺ فإنّنا نرى أنّنا أمّة (اقرأ) وبعد أبحاثي المتواضعة في كتابة قصص الأنبياء واستقاء العبر والعظات منها نجد أنّ كلّ الأنبياء جاؤوا بالدّعوة إلى الله مباشرة ونحن أمّة «اقرأ» أوّل آيات نزلت على قلب رسول الله ﷺ إقرأ يا محمّد ﷺ.

إقرأ لهم، باسم ربّك، ما سوف يعلّمك من منهج الله تعالى، من السّنن الكونيّة الواضحة في قَصص الأنبياء وقَصص السّابقين وحدّد لهم الهدف من قراءة هذه القَصص.

وهذه مهمّة صعبة للأمّ أن تعرف متى تقرأ القصّة المناسبة في الوقت المناسب للقيمة المضادة التي حدثت مع طفلها لتجد حلاً لها فتنزع عنه هذه القيمة وتزرع قيمة جديدة من الأخلاق الحميدة التي يحبها الله ويصف فيها أولياءه.

حبّذا لو قامت دار الفتوى بتبنّي هذا المشروع مع بعض القيّمين على رعاية النّاشئة لدراسة القّصص القرآني الموجودة في السّوق لإجراء أبحاث

حولها لمعرفة أهداف كلّ قصّة وإعطاء دورة للأمّهات تعلمهن في كيفيّة التّعاطي مع هذه القصص التّربويّة الهادفة.

المسوّدة الخامسة:

ـ رسالة موجّهة لكلّ العاملين في السّلك الدّعويّ (قدّمت للجميع إمّا عن طريق تسليم اليد، أو بالبريد).

* * * * * *

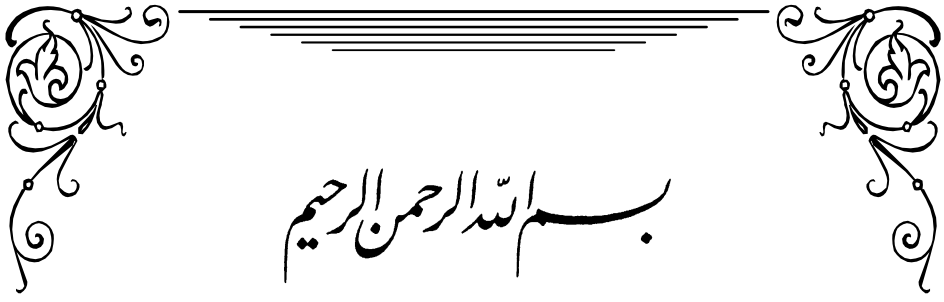

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

من شيرين لبيب خورشيد

مواليد بيروت **١٩٥٨م**

● حاصلة على بكالوريوس في الهندسة المدنيّة من جامعة بيروت العربيّة (عام **١٩٨٤م**).

● أتابع دراساتي الإسلاميّة في كلّيّة الإمام الأوزاعيّ في مرحلة الماجيستير (عام **١٩٩٦م**).

حيث أنهيت الموادّ الاستكماليّة وأنجزت بحثين تمهيديّين:

ـ السّحر بين الواقع والخيال.

ـ مدى الحقّ الدّينيّ في طلاق الرّجل.

● تلقّيت العديد من الدّورات التّدريبيّة بإشراف المركز اللّبنانيّ للأبحاث والدّراسات الحضاريّة، ورعاية المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، منها دورة في:

ـ أصول الفقه.

ـ مناهج وطرائق البحث.

ـ المنهجيّة الإسلاميّة في التّفكير والبحث.

ـ كيف تولد من جديد.

بالإضافة إلى دورات أخرى منوّعة. . .

● حصلت على إجازة في دورة «حماة المستقبل» للتّوعية بأضرار المخدّرات التي نظّمتها دولة دبيّ في بيروت.

● حضرت العديد من المؤتمرات منها مؤتمرات ضمن الوحدة التّربويّة في كلّيّة الأوزاعيّ، وشاركت في ورقة عمل في المؤتمر التّربويّ الإسلاميّ السّادس بعنوان: «مناهج التّعليم الجديدة في الميزان القسمان الثّاني والثّالث».

● درّست مادّتي التّربية الإسلاميّة والتّربية الوطنيّة لمدّة سبع سنوات، وعُيِّنت منسّقةً لمادّة التّربية الإسلاميّة لمدّة سنة قبل أن أترك التّدريس لإعداد منهجيّة تربويّة منبثقة عن تجاربي السّابقة.

● حاليّاً أستاذة عقيدة وسيرة وأحكام الأسرة.

● قدّمت العديد من المحاضرات والنّدوات إضافة إلى دورات تدريبيّة في طرائق تدريس التّربية الإسلاميّة.

● متفرّغة حاليّاً للإشراف والمشاركة في إعداد مشروع قصص نبويّة، وتأليف كتب تربية إسلاميّة.

فمن خلال تجاربي في التّدريس وجدت نقصاً كبيراً في ثلاثة أمور:

أوّلاً: المنهجيّة المتّبعة لتدريس مادّة التّربية الإسلاميّة.

ثانياً: الكتاب المقرّر.

ثالثاً: الأستاذ المعلّم.

لاحظنا هذا النّقص من خلال تجاربنا مع الأولاد حيث لم نتمكّن من

الوصول معهم إلى الغاية المنشودة. ومع متابعة البحث والتّحرّي الذي لا زلنا نقوم به حتّى الآن. قمنا بإعداد قصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد وفق منهج ذي سلّم قيميّ نرتقي من خلاله بتربية الطّفل بحسب عمره من سنّ الحادية عشرة إلى الثّامِنَة عشرة، ومقدرته على التّلقّي والاستفهام وعلى الانتقال من المحسوس إلى المجرّد، لغرس العقيدة الصّحيحة في نفوس الأطفال، والتّأسّي برسولنا سيّدنا محمّد ﷺ في حياته اليوميّة. فالقصّة تدور أحداثها مع أسرة تعيش حياتنا المعاصرة تطبّق شرع الله ومنهجه في كلِّ أمور حياتها اليوميّة، وبذلك نرسّخ في أذهان وفكر الأطفال القيم والأخلاق والعقيدة الثّابتة إلى يوم القيامة. وبعد خمس سنوات من البحث والتّدقيق والإعداد والمراجعات التّربويّة والتّاريخيّة أبصرت النّور المجموعة الأولى من قصصنا النّبويّة المتضمّنة لأربع قصص كجزء من ثلاثين قصّة ننتظر بإذن الله أن يوفّقنا الله ﷻ إلى استكمال المشروع كاملاً.

ومنذ سنتين طُلِبَ منّي تأليف كتب تربية إسلاميّة من صفّ الحضانة إلى الصّفّ الثّانويّ الثّالث. وبعد دراسة الواقع المعاصر الذي نعيش ومن خلال تجربتنا مع قصص الأنبياء، وبعد المتابعة مع المتخصّصين ومتابعة البحث والتّحرّي وضعتُ منهجيّة خاصّة لكتب التّربية الإسلاميّة وفق المنهجيّة التّالية:

أوّلاً: تحديد الغاية أو الأهداف العامّة التي نريدها؛ [طفل ـ رجل ـ شاب] تربية هذا الطّفل وفق منهجيّة للوصول إلى الهدف العامّ الذي نريد.

ثانياً: وضع الأهداف المعرفيّة والوجدانيّة والسّلوكيّة لهذه الغاية. وهي شاملة لجميع المراحل.

ثالثاً: وضع الأهداف المعرفيّة والوجدانيّة والسّلوكيّة لكلّ مرحلة من الصّفوف [من الحضانة إلى الصّفوف الثّانويّة] متّبعين التّدرّج لتنمية هذا الطّفل.

رابعاً: وضع مقرّر كلّ سنة على حدة مع وضع الأهداف المعرفيّة والوجدانيّة والسّلوكيّة لكلّ درس.

خامساً: للوصول إلى الغاية المنشودة التي نريد. أرفقنا مع كتاب التّربية الإسلاميّة كتاب دليل المعلّم وكتاب دليل للأهالي مع وسائل الإيضاح بالإضافة إلى دفتر تطبيقات ـ وألعاب خاصّة بنشاطات كلّ كتاب من كتب الحلقة الأولى/ وقد تمّ بحمد الله تأليف كتب التّربية الإسلاميّة لصفوف الابتدائيّ الأوّل والثّاني ونوشك على إنهاء كتاب الصّفّ الثّالث الابتدائيّ ـ وبإذن الله خلال عام **٢٠٠٧** ستتمّ الطّباعة الفنّيّة للصّفّ الابتدائيّ الأوّل، وتحويله إن شاء الله إلى كتابٍ مسموع (كتاب الغرس الطّيّب حاليّاً).

ندعو الله ﷻ أن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ويتقبّلها منّا فإن أصبنا فمن الله ﷻ وإن أخطأنا نرجو من الله ﷻ أن يهدينا لما يحبّه ويرضاه.

هذا وقد أرفقنا الأهداف التي تتضمّنها منهجيّتنا:

الغاية: إعداد إنسان مؤمن بالله يعبده بإخلاص يعمر هذا الكون، ويؤدّي وظيفته في الحياة مستقبلاً مسؤولاً.

الأهداف الخاصّة:

أوّلاً: التّعرّف على الحكمة من وجود الإنسان في هذه الحياة.

ثانياً: التّعرّف على رحمة الله وكرمه وهدايته لبني البشر وتكريمه لهم وجعلهم خلفاء في الأرض ليعمروها.

ثالثاً: التّعرّف على عدوّهم الأوّل إبليس والمنافذ والطّرق التي يستطيع الإنسان من خلالها التّغلّب عليه ودحر كيده.

رابعاً: التّعرّف على النّفس وما تهوى ومجاهدة شهواتها وهدايتها إلى ما يحبّه الله ويرضاه.

خامساً: التّعرّف إلى الطّرق الموصلة إلى مرضاة الله ورسوله ﷺ.

سادساً: التّعرّف على المنهج الذي يجب اتّباعه في هذه الدّنيا وينقسم إلى:

أ ـ توحيد الله والتّعرّف على أسمائه وصفاته وآلائه وأفعاله ونعمه.

ب ـ التّعرّف على طرق الوصول إلى هذا المنهج الإسلاميّ المكوّن من ثلاثة أركان وهي الإيمان، الإسلام، الإحسان.

جـ ـ تعريف الإنسان على مكارم الأخلاق وتطبيقها في معاملاته مع الآخر [أيّاً كان هذا الآخر].

بعض الأهداف الخاصّة:

١ ـ يؤمن بأن الله تعالى واحد أحد لا شريك له.

٢ ـ يؤمن بأنّ محمّد ﷺ رسول الله.

٣ ـ يحبّ الله تعالى ويحبّ رسوله، عليه الصّلاة والسّلام.

٤ ـ يميّز المصحف الشّريف عن غيره من الكتب.

٥ ـ يعرف أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى.

٦ ـ يعرف أنّ اسم الرّسول الذي نزل عليه القرآن الكريم هو محمّد ﷺ.

٧ ـ يعرف اسم الملك جبريل عليه السلام، الذي نزل بالقرآن الكريم.

٨ ـ يتقن نطق الاستعاذة.

٩ ـ يكتسب عادة البدء بالاستعاذة عند تلاوة القرآن الكريم.

١٠ ـ يكتسب الطّالب عادة البسملة عند البدء بالأعمال المهمّة.

١١ ـ يفهم المعنى الإجماليّ لسورة الفاتحة.

١٢ ـ يستخدم البسملة، ويحمد الله تعالى في الوقت المناسب.

وبذلك نكون قد جبرنا النّقص من خلال وضع المنهجيّة وتأليف الكتاب وكتاب دليل المعلم. ولا زال لدينا الأمل بإعطاء دورات للأساتذة الذين سيدرسون هذه المنهجيّة للوصول إلى الغاية المنشودة، فإن لم يكن لدينا الأستاذ المتمكّن الذي نريد، ستعطى هذه المنهجيّة نتيجة ٦٠٪ بتقدير بعض المتخصّصين ولكن نرجو من الله ﷻ أن يوفّقنا للوصول إلى نتيجة مرضية يرضى الله بها عنّا للوصول إلى جيل كجيل صلاح الدّين الأيوبيّ الذي حرّر القدس سابقاً والذي سيحرّر بإذن الله القدس مرّة ثانية، والله وليّ التّوفيق وحافظ هذا المنهج بنا أو بغيرنا فندعو الله أن نكون ممّن قال فيهم رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرة على الحقّ**...».

فالحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

أختكم في الله
شيرين لبيب خورشيد
بيروت في ٢٠٠٧/٥/٢٢م
معدّلة في بيروت في ٢٠٠٧/٨/٢٢م

الجزء السّابع (والأخير)
الصّفّ الثّاني عشر
(عمر الطّالب ما بين ١٧ ـ ١٨)

القصّة رقم ٢٦: سيّدنا سليمان عليه السلام.

القصّة رقم ٢٧: سيّدنا سليمان وزكريّا ويحيى عليهما السّلام.

القصّة رقم ٢٨: السّيّدة مريم العذراء وابنها عيسى عليه السلام.

القصّة رقم ٢٩: علامات السّاعة الصّغرى والكبرى.

القصّة رقم ٣٠: سيّدنا محمّد بن عبدالله ﷺ خاتم النّبيّين والمرسلين.

القصّة رقم ٢٦

سيّدنا سليمان عليه السلام

أمضت أسرة أبي أحمد ليلتها في أحد الأشهر الهجريّة في المستشفى، حيث الوالدة في غرفة الولادة تعاني آلام الوضع...

الجدّ والجدّة وأبو أحمد والأولاد يجلسون في غرفة الانتظار بناءً على أمر الطّبيبة ـ حتّى لا يصابوا بالقلق والتّوتّر النّفسيّ.

ولم يضيّعوا وقتهم سدًى، بل أمضوه بالدّعاء إلى الله تعالى أن يمنّ على الأمّ ومولودها بالسّلامة والعافية.

لم يطل انتظارهم فقد جاءت الممرّضة وأخبرتهم أنّ الأمّ والمولودة بخير. حمدوا الله على سلامتهما، وفرحوا أنْ منّ الخالق سبحانه وتعالى عليهم بمولودة أنثى سوف تملأ بيتهم سعادة وفرحاً.

انتظروا ريثما أخرجت أمّ أحمد من غرفة الولادة، واطمأنّوا أنّها بخير، وشاهدوا المولودة الجميلة، ثمّ طلب الأب من أولاده العودة إلى البيت، فليس لبقائهم في المستشفى من داعٍ.

عادت الأمّ إلى البيت بعد يومين، فقد اطمأنّ الأطبّاء عن صحّتها وصحّة المولودة، ولم يعد بقاؤها بعيداً عن أولادها ضروريّاً.

اتّفقوا أن يختاروا اسماً للمولودة ممّن يعطي الاسم المناسب لها.

عرضت الجدّة اسم «هبة» لأنّ المولودة هبة من الله بعد دعاء الأمّ بأن يرزقها مولودة...

أمّا أحمد فقال: أمّي ألم تكوني في العمرة، ودعوت الله ﷻ بأن يرزقك ابنة بعد سماعك بولادة أختك وإنجابها سارة... فأنا أقترح إمّا «هاجر» أو «صفا» أو «مروة».

الأبوان: أعجبوا بهذا الاقتراح فقالا إذن أحضروا ورقة وقلماً وسنقوم بالقرعة، وفعلاً كتب أبو أحمد الأسماء، وترك الأمر لسامي ليختار بالقرعة فرح سامي فرحاً كثيراً لأنّه لا زال المدلّل بما أنّه «كان آخر العنقود» والآن بدأ بعمل حركات تبيّن أهمّيّة الموضوع واختار ورقة فتحها وإذ هي صفا...

فرح الجميع بهذا الاختيار ونادَوْا المولودة بصفاء...

مرّت الأيّام وانتهت العائلة من الاحتفال بالعقيقة[1]، وتوجّهوا إلى الله ببعض الأدعية لأصحاب البيت وللطّفلة وأمّها بقول: «بارك الله لك في الموهوبة، وشكرت الواهب، وبلغت أشدّها، ورزقت برّها». أجاب أبو أحمد وهو يودّعهم: جزاكم الله خيراً، وأجزل ثوابكم.

بعد انتهاء الأسرة من استقبال المهنّئين بسلامة الأمّ ومولودتها صفاء، الذي استمرّ شهراً ـ فالمحبّون كثر ـ انطلقت لمتابعة حياتها بشكلها المعتاد من ترتيب للبيت وتنظيف استعداداً لبدء العام الدّراسيّ؛ واهتماماً بالجدّ والجدّة اللذين اقترب موعد عودتهما إلى بيتهما، هذا إلى جانب الاهتمام والعطف الكبيرين اللذين أبداهما الأولاد تجاه أختهم التي ملأت حياة الأسرة بهجة وسعادة ـ بالرّغم من أنّها لا زالت صغيرة لا تتكلّم، ولا تبدي من الحركات ما يمكنها لفت الأنظار إليها.

---

(١) تحدثنا عنها في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي أن يذبح الوالد عن مولوده الذكر شاتين، وعن الأنثى شاة واحدة، فداءً عنه، كما ذبح إبراهيم عليه السلام عن ابنه إسماعيل عليه السلام.

في إحدى السّهرات قال الجَدُّ: لقد شوّقتمونا لسماع قَصص الأنبياء التي تروونها ومنذ شهر تقريباً لم نسمع أيّة قصّة، فمتى سنسمعها؟

أبدى الجميع ابتهاجهم لرأي الجدّ وخاصّة شوقه لإكمال القَصص... وازدادوا ابتهاجاً لحثّهم على متابعة إكمال القَصص، فهم لا يريدون الانشغال بحياتهم الجديدة عن سرد القَصص.

سأل أبو أحمد زوجته إن كانت تستطيع الرّواية ؟فقال أحمد: إن شاء الله هذه المرّة أنا سأروي القصّة الجديدة، قصّة سيّدنا سليمان بن داوود عليهما السّلام! ألم نتّفق على هذا من قبل؟!

لقد اجتهدت في سبيل الحصول عليها مُتَّبعاً طريقة أمّي في البحث والتّحرّي، فلم آت إلّا بما ورد في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وما لم أجده فيهما توقّفت عنه لاعتباره من المبهمات كما علّمتمونا...

ظهرت الفرحة وعلامات الافتخار على وجوه الجميع، ولا سيّما الجدّين شعرا أنّ حفيدهما صار راشداً يعتمد عليه.

أحمد: قبل البدء بهذه القصّة سأذكر ملخّصاً لما تعلّمناه عن سيرة بني إسرائيل مع أنبيائهم ابتداءاً من سيّدنا موسى عليه السلام الذي أرسله الله ﷻ لغاية عظيمة هي إخراج بني إسرائيل من مصر، وتخليصهم من حكم فرعون الظّالم المستبدّ الذي أذلّهم غاية الإذلال، وإعادتهم إلى الأرض المقدّسة، ولكن تبيّن ـ فيما بعد ـ أنّهم لا يستحقّون هذا لأنّهم أُشْرِبوا في قلوبهم عِبادَةَ العجل.

عانى سيّدنا موسى عليه السلام الأهوال في سبيل تنفيذ رسالته حتّى أنجاهم، وأغرق الله فرعون وآله، ثمّ صعد موسى إلى الجبل وكلّم ربّه، ورأى بعينيه موت الرّجال السّبعين الذين صعدوا معه وقالوا له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ثمّ أحياهم، وحمل لهم التّوراة التي أمروا بالإيمان بها بعد أن رُفِعَ الطّور فوقهم، عندها أمرهم بدخول الأرض المقدّسة ـ قتالاً ـ فرفضوا ذلك

وقالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فعاقبهم الله ﷻ بالتّيه أربعين سنة حتّى مات جيل العبيد الذين ألفوا المعاصي وقست قلوبهم، ونشأ جيل الشّباب الذين تربّوا على الطّاعة في الصّحراء.

الله ﷻ ـ في الحقيقة ـ لم يكن يعاقب بني إسرائيل عندما فرض عليهم التّيه في صحراء سيناء، فهو يعلم أنّهم لا يستطيعون فعل غير هذا. هو ﷻ يريد لهم عبادة الله وحده لا شريك له، ويريد أن يمنّ عليهم بأن يرثوا الأرض إن آمنوا بالله ورسله، وأن يسكنهم الأرض المقدّسة (ويمكّن لهم في الأرض المقدّسة، إنّ الله لم يكرم بني إسرائيل لأنّهم بنو إسرائيل، لم يكرمهم من أجل أشخاصهم أو أنسابهم أو ألوانهم. كما أنّ الله لم يهزم الذين كانوا يقيمون في الأرض المقدّسة قبل بني إسرائيل لهذه الأسباب. لم تكن الأحساب والأنساب، ولا الأشكال والألوان، ولا الأشخاص والأجناس سبباً في التّقريب والتّقديم والتّكريم عند الله، ولا سبباً للذّمّ والطّرد والعذاب عنده، ولكنه ﷻ، أراد أن يبين أن أساس التّكريم والتّمكين والتّفضيل عند الله هو الإيمان بوحدانيته والعمل الصّالح، وعبادة الله الرب وتقواه، أما ما كان ضدّ هذا فهو أساس الذّمّ واللعن والتّعذيب من الله.

إنّ الله هزم السّابقين وأذلهم لأنهم كانوا يقيمون في الأرض المقدّسة أمام بني إسرائيل وكانوا كافرين بالله مشركين معه أصناماً وأوثاناً وآلهة مزيّفة[1].

إنّ الله ﷻ عَلِمَ أنّ جيل العبيد العصاة الذين قست قلوبهم لا يمكنه دخول الأرض المقدّسة وإثبات وجوده فيها، لذلك سجنهم في الصّحراء حتّى فني هذا الجيل ونشأ جيل الشّباب الذين تربّوا على طاعة الله واعتادوها وتقبّلوا دعوة موسى عليه السلام وصاروا مستعدّين للقيام بما لم يقم

(١) الخالدي، صلاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ص٩٤ ـ ٩٥.

به سلفهم، فالأجيال النّاشئة على الطّاعة هي التي يمكنها التّغيير والمبادرة، بسبب قدرتها على تغيير ما كان يعتقده الأهل والتّمسّك بقناعاتها وحدها. عند ذلك استطاع ـ فتى موسى ـ يوشع بن نون الذي خلف سيّدنا موسى عليه السلام، قيادتهم وإدخالهم إلى الأرض المقدّسة. وطلب منهم الدّخول من الباب سجّداً قائلين «حِطّة» فبدّلوا الكلمة ـ استهزاء ـ ودخلوا على أستاهم. ومع هذا أعزّهم الله وأكرمهم لأنّهم كانوا الوحيدين في الأرض المؤمنين بالله الواحد الأحد وظلّوا هناك معرّضين لهجمات جيرانهم القوم الجبّارين، وكانت المعارك بينهم دولاً[1] وسجالاً[2] إلى أن جاء نبيّ الله الملك داوود عليه السلام، فغلب الجبّارين، وقتل جالوت، وأسّس لهم مملكتهم الأولى التي ازدهرت ونمت وسيطرت على كثير ممّن حولها حتّى توفي داوود عليه السلام، وورثه ابنه سليمان عليه السلام في النّبوّة والملك والعلم.

تبدأ قصّة سيّدنا سليمان عليه السلام ما قبل وفاة أبيه داوود عليه السلام، أي عندما كان خارج السّلطة، مجرّد ابن ملك، وذلك عندما جاء رجل يدّعي على جاره الرّاعي صاحب الغنم بأنّه ترك غنمه تُحَطِّمُ حرث أرضه وتفسده، فحكم سليمان عليه السلام بما يخالف حكم أبيه داوود، وناسب هذا الحكم حكم الله تعالى على المعتدي بأنّ (الغرم بالغنم) و(الخراج بالضّمان)، بمعنى من يستفيد من شيء عليه الاهتمام به والسّهر عليه ورعايته، وبالعكس فإنّ من يتسبّب لأحد بأذى عليه التّكفّل بإزالة الضّرر وإعادة الأمور إلى نصابها. ونزل داوود عليه السلام على رأي ولده سليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] هذه القصّة ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم.

ظهرت الفرحة وعلامات الافتخار على وجوه الجميع... وقالوا

---

(١) دولاً: متداولة مرة يَغلبون. ومرة يُغْلبون.

(٢) سجالاً: متعادلة.

بصوتٍ واحد... جزاك الله خيراً وبارك الله بك بنيّ... مع قبلة من الجدّة لرأس أحمد... لقد شعر الجدّ والجدّة أنّ حفيدهما صار راشداً يعتمد عليه.

الأب: أمّا أنا فسأدلو بدلوي كالمعتاد. كم مرّة ذُكر سيّدنا سليمان عليه السلام في القرآن قال: ذكر سليمان عليه السلام في القرآن سبعَ عشرةَ مرة...

في سورة ص ورقمها حسب النّزول (٣٨) ذكر مرّتان، فقد تحدّثت عن سليمان بعد داوود عليهما السّلام، وأشارت إلى حادثة سليمان مع الخيل الصّافنات الجياد، ثمّ إلى فتنته بالجسد الذي ألقاه الله على كرسيّه، ثمّ ذكرت بعض مظاهر المُلك الذي وهبه الله له، حيث سخّر له الجنّ والشّياطين والرّيح والطّير، وهذا من الآيات: ٣٠ ـ ٤٠[١].

أمّا سورة النّمل ورقمها حسب النّزول (٤٨) فذكر سبع مرّات، ووردت أطول مشاهد قصّة سليمان في سورة النّمل، في الآيات ١٥ ـ ٤٤.

بدأت الآيات بالإشارة إلى وراثة سليمان لداوود، وتعليم سليمان منطق الطّير، ثمّ تحدّثتْ عن مرور سليمان بجيشه على وادي النّمل، وما خاطبت النّملةُ به جنسها، وتعليق سليمان عليه السلام على ذلك.

ثمّ تحدّثت عن قصّة الهدهد الذي غاب عن جيش سليمان، ولمّا عاد أخبر سليمان عليه السلام اكتشافه لمملكة سبأ في اليمن، وكفر القوم بالله، وعرش ملكتهم العظيم. وتابعت الآيات عمّا حدث مع الهدهد[٢]... وسنتحدّث عنها بالتّفصيل...

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٧٩.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٧٨.

٣ ـ أمّا في سورة الأنعام ورقمها حسب النّزول (٥٥) فقد ذكر اسم سليمان مرّة واحدة، الآية (٨٤) مع مجموعة الأنبياء والرّسل.

٤ ـ وفي سورة سبأ ورقمها حسب النّزول (٥٧) تحدّثت عن سليمان عليه السلام بعد حديثها عن أبيه داوود عليهما السّلام، حيث أشارت إلى الرّيح التي سخّرها الله له، وإلى النُّحاس الذي أساله الله له، وإلى عمل الجنِّ بين يديه، وإلى بعض المصنوعات النّحاسيّة العظيمة التي يصنعها الجنُّ له، ثمّ أشارت الآيات إلى وفاة سليمان عليه السلام، بطريقة عجيبة جعلها الله عبرة للجنّ. والحديث جاء في ثلاث آيات هي: ١٢ ـ ١٤[١].

٥ ـ أمّا في سورة الأنبياء ورقمها حسب النّزول (٧٣)، فذكر سليمان ثلاث مرّات، ووردت إشارة إلى سليمان في تفهيم الله له الحكم واستدركه على حكم أبيه داوود عليهما السّلام في الآيتين ٧٨ ـ ٧٩[٢].

٦ ـ في سورة البقرة وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة، أشارت إلى افتراءات اليهود على سليمان عليه السلام بعد وفاته، ومزاعمهم حول السّحر والسّحرة والشّياطين، وذكرت قصّة الملكين هاروت وماروت في بابل[٣].

٧ ـ في سورة النّساء وهي مدنيّة ورقمها حسب النّزول (٦) فقد ذكرت اسم سليمان عليه السلام ضمن مجموعة من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام[٤]، وسأتلوها بما أنّها آخر سورة ذكر اسمه، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٧٨.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ٤٧٧.
(٣) المرجع السابق، ص٤٧٧.
(٤) المرجع السابق، ص٤٧٧.

الجدّ: بارك الله بك بنيّ، لأنّك تتسلسل مع كلّ قُصّة من قَصَص الأنبياء، لأجل معرفة كيف تربّى الصّحابة الكرام... أليس كذلك؟

أبو أحمد: نعم، بفضل الله تعالى، عكفنا أنا وأمّ أحمد لدراسة نزول القَصص على قلب رسول الله ﷺ لمعرفة: أوّلاً أهمّيّة رواية القَصص خاصّة وأنّ مجملها تنزّل على قلب رسول الله ﷺ في مكّة، وخاصّة في فترة الثّلاث سنوات السّرّيّة وبعدها تتالت السّور والآيات تتنزّل على قلبه ﷺ والصّحابة الكرام، لإثبات نبوّته ﷺ وأنّه خاتم النّبيّين والمرسلين وأنّه مرسل للعالمين الجنّ والإنس كافّة، ولقد ذكر الله تعالى هذا الأمر في نفس السّور تقريباً، في سورة سبأ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، أي: وأُنْذِرُ مَنْ بلَغَه، وقال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢]، وقال تعالى: ﴿۞تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال ﷺ: «**أُعطِيتُ خَمْساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ مِنَ الأنبياءِ قَبْلي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْر، وَجُعِلَتْ لي الأرضُ مَسْجِداً وطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتي أَدْرَكَتْهُ الصلاةُ فَلْيُصلِّ، وأُحِلَّتْ ليَ الغَنَائِمُ وَلَمْ تُحِلَّ لأحَدٍ قَبْلي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبعث إِلَى قَوْمِهِ خاصَة وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّة**» أخرجاه في الصحيحين[1].

(١) رواه البخاري، كتاب التيمم، حديث رقم (٣٣٥)، أخرجه مسلم، ٥٢١.

وقال ﷺ: «**لا يَسْمَعُ بي رَجُلٌ من هذه الأمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصرَانيٌّ، ثُمَّ لا يُؤمِنُ بي إلا دَخَلَ النَّار**»[1] رواه مسلم، وكونه ﷺ مبعوثاً إِلَى النَّاس كافّة معلوم من دين الإسلام بالضّرورة.

وهو خاتم النّبيّين والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الجميع . . . ﷺ.

نعود للقصّة ونقول إنّ قصّة سيّدنا سليمان عليه السلام على مدى سبع سور معظمها مكّيّة لزرع الطّمأنينة في نفس رسول الله ﷺ وأخذ العبرة والاستئناس وليعلم أنّ جميع الأنبياء قبله عانوا ما يعاني ولكنّهم انتصروا في النّهاية على الكافرين وتمكّنوا من نشر رسالتهم الخالدة، وتمّ أمر الله، وليثبت للنّاس أنّ أمر محمّد ﷺ أيضاً هو من وحي الله ﷻ، وليس من ادّعائه.

جميل: أرجو أن تسرد القصّة بشكل متسلسل، لنعرف متى وكيف أوحى الله لسليمان بالنّبوّة، و. . .

أحمد: هل أسردها أنا يا أبي. . .

أبو أحمد: تفضّل بنيّ. . .

أحمد: قصّة هذا النّبيّ تختلف عن قصص بقيّة الأنبياء، فالقرآن الكريم لم يذكر شيئاً سوى. . . ما أنعم الله ﷻ على سليمان عليه السلام حينما كان يساعد والده داوود عليه السلام. . . ووصف الله ﷻ سليمان عليه السلام بأنّه أوّاب: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠].

وقرن بين العبوديّة والأوبة والرّجوع إلى الله في الكلام على داوود وسليمان عليهما السّلام، فداوود «عبدنا» وسليمان «نعم العبد» قال تعالى:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم (١٥٣).

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٧٩].

بقي سليمان مساعداً لأبيه عليهما السّلام طيلة حياته ولمّا توفي داوود ورث سليمان عليه السلام واستلم الأمر من بعده، كما قال الله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ [النمل: ١٦].

سامي: ماذا ورث سليمان؟

أحمد: ورثه في النّبوّة والرّسالة، فهو نبيّ رسول مثله، عليهما الصّلاة والسّلام.

وورثه في الملك والخلافة حيث وليَ أمْر بني إسرائيل من بعده.

ولم يرثه في الأموال والممتلكات، لأنّ من سنّة الله في حقّ الأنبياء أنّهم لا يورَثون عليهم الصّلاة والسّلام، فلا يأخذ أولادهم وورثتهم شيئاً ممّا خلّفوه وراءَهم. فإن تركوا أموالاً أو ممتلكات فهي صدقة، ينفقها ورثتهم أو أولو الأمر من بعدهم في سبيل الله)[1].

الأب: بارك الله بك بنيّ هناك حديث صحيح يا جميل يثبت ما قاله أخوك أحمد...

جميل: قرأت الاستغراب في عيني... جزاك الله خيراً فعلاً هذا ما أردت الاستفسار عنه لأنّنا لم نذكر هذا الأمر قبل الآن...

الأب: فعلاً، صحيح، وهذه المرّة الأولى التي يرث فيها نبيّ أباه... أمّا الدّليل فهوما رواه البخاريّ ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: «أنّ أزواج النّبيّ ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٠ ـ ٤٨١ بتصرف.

يسألنه ميراثهنّ. فقالت لهنّ عائشة: أما قال رسول الله ﷺ: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»[1].

الجدّ: نعم يا جميل وهناك أحاديث أخرى، قال الإمام ابن كثير عن وراثة سليمان لداوود عليه السلام، وعن هذه السُّنَّةِ في شأن الأنبياء: «قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، أي: ورثَه في النّبوّة والملك.

وليس المراد أنّه ورثه في المال، لأنّه قد كان له بنون غيره، فما كان لِيُخَصَّ بالمال دونهم، ولكنّ المراد بذلك وراثة الملك والنّبوّة فإنّ الأنبياء لا تورّث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ[2]...

(فأخبر الصّادق المصدوق ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أنّ الأنبياء لا تورّث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحتاجين، لا يخصّون بها أقرباءهم، لأنّ الدّنيا كانت أهونَ عليهم وأحقر عندهم من ذلك)[3].

الأب: بارك الله بك يا والدي جزاك الله خيراً لهذه المعلومات القيّمة، هل أكمل ما بدأت مع قصّة سليمان عليه السلام...

قلت يا بنيّ عن وراثة سيّدنا سليمان عليه السلام بعد وفاة أبيه داوود عليه السلام، حيث ورثه في الملك والخلافة، وتولّى أمر بني إسرائيل من بعده.

قصّة هذا النّبيّ تختلف عن قَصص بقيّة الأنبياء، فالقرآن الكريم لم يذكر شيئاً عمّا يجول في خاطرك يا سامي من أسئلة... ولكن جلّ ما نعرفه عن طبيعة اليهود المحبّة للمال والعظمة والقوّة التي تعني السّيطرة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفرائض، باب: قول النبي ﷺ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»، حديث رقم (٦٧٣٠)، ومسلم: (١٧٥٨).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، ص٣٧٠.

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨١ ـ ٤٨٢.

والاستبداد، بنو إسرائيل فرحوا بهذا الأمر فأطاعوا نبيّهم سليمان وقبلوا منه أن يكون ملكاً عليهم من بعد أبيه داوود عليه السلام، ولم يعصوه في ملكه لا في إيمان باللّه تعالى واتّباع منهجه الذي أمر به داوود عليه السلام، ولا في اتّباع كتابهم الزّبور الذي أنزله الله عز وجل على نبيّه داوود عليه السلام والأهمّ من ذلك سترى من خلال حديثنا لِمَ أطاعوه ولم يعصوه أبداً...

سامي: أيضاً قرأت من عيني أسئلتي بارك الله بك يا أبي...

الأب: فتح الله عليكم فتوح الرّاسخين في العلم، ووهبكم الله العلم والحكمة والتزام منهجه يا ربّ العالمين...

يتابع الأب السّرد:

لقد وهب الله عز وجل لسليمان تسخير الجنّ والطّير وتمرّغ بنو إسرائيل في العزّ والجاه والتّطوّر الذي حقّقه سيّدنا سليمان عليه السلام لهم، وحتّى نبدأ بالتّدرّج مع القصّة نبدأ أوّلاً بتسخير الرّيح والجنّ لسليمان عليه السلام وما حدث معه خلال ملكه ولِمَ تحدّثت الآيات عن الصّافنات الجياد...

(أشارت الآيات إلى حادثتين حدثتا لسليمان وهو نبيّ ملك، عليه الصّلاة والسّلام، حادثة الخيل، وحادثة فتنته بالجسد الملقى على كرسيّه، وسننظر في الحادثتين، ونفسّرهما على هدي القرآن والحديث الصّحيح إن شاء الله)[1].

أحمد: هل أتلو الآيات يا والدي...

الأب: تفضّل يا بنيّ.

أحمد: بعد أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٢.

حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: ٣٠ ـ ٣٣].

الأب: لا فضّ فوك بنيّ، تبارك الرّحمن...

الجدّ: يا ربّ يرزقك جمال صوت داوود عليه السلام، وقد وهب الله عز وجل داوود عليه السلام صوتاً جميلاً، فكان يتألّق ويزداد جمالاً عندما يتلو الزّبور.

وكان من أجمل الصّحابة صوتاً بالقرآن أبو موسى الأشعريّ رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ يحبّ سماع القرآن منه، ويُشَبِّهُ صوته الجميل بصوت داوود عليه السلام.

روى البخاريّ ومسلم عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، أنّ النّبيّ ﷺ قال له: «لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود»[1].

ولا يراد آل داوود كلهم، وإنّما يراد داوود نفسه عليه السلام)[2].

الجميع: الحمد لله ربّ العالمين.

يكمل الأب فيقول: (تخبر الآيات أنّ الله وهب لداوود سليمان، وتثني عليه بالعبوديّة والإنابة، وتصفه بأنّه نعم العبد، وأنّه أوّاب رجّاع إلى ربّه.

ثمّ تخبر الآيات عن قصّة سليمان عليه السلام مع الخيل وهي الصّافنات الجياد.

وعندما نريد أن نفهم هذه القصّة فلا بد أن نبقى مع الآيات التي عرضتها، وأن نفسّرها ونفهم معناها، وألّا نخرج عنها، ولا توجد أحاديث صحيحة تضيف لنا جديداً عن القصّة)[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن، حديث رقم (٥٠٤٨)، أخرجه مسلم: ٧٩٣ بذكر أبي موسى ونسبه.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٨٣.

أحمد: هل أشرحها كلغة عربيّة؟

الأب: تفضّل بنيّ.

أحمد: «إِذْ» ظرف للزّمان الماضي، في محلّ نصب مفعولٍ فيه لفعلٍ محذوف، تقديره: اذكر.

والخطاب موجّهٌ لرسولِ الله ﷺ، وهو يشمل كلّ مسلم من بعده.

والتّقدير: اذكر يا محمد عليه الصلاة والسلام وقت عرض الصّافنات الجياد على سليمان بالعّشيّ.

و«العَشِيّ»: وقت العشيّ، وهو ما كان قبل مغيب الشّمس.

و«الصّافنات الجياد»: الخيل الجيّدة، ولم ترد هذه الكلمة «الصّافنات الجياد» في غير هذا الموضع في القرآن.

والصّافنات جمع صافن. والجياد جمع: جواد.

قال الإمام الرّاغب في معناها: «الصَّفْنُ: الجمع بين الشّيئين، ضامًّا بعضهما إلى بعض. يقال: صَفَنَ الفرسُ قوائمه. قال تعالى: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

وورد في المعجم الوسيط: «صَفَنَ الفرس، يصفن، صفوناً: قام على ثلاثة قوائم، وطرف حافر الرّابعة. وصَفَنَ الرّجل: صَفَّ قدميه».

أمّا الجياد فهي مشتقّةٌ من الجود. قال الرّاغب: «الجود بذلُ المقتنيات، مالاً كان أو علماً. يقال: رجلٌ جواد.

ويقال: فرس جواد، يجود بمدَّخَرِ عَدْوِه، والجمع جياد، قال تعالى: ﴿بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

وورد في المعجم الوسيط: «يقال: جاد الفرس: صار جواداً. ويقال:

جاد الفرس في عَدْوِه: إذا أسرع. والجواد: النّجيب من الخيل. والجمعُ: جياد. قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾»[1].

الجدّ: ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله... أجدت بنيّ، بارك الله بك، وهبك الله هذه الملكة من والدتك، حفظكما المولى.

الجميع: آمين يا ربّ العالمين... مع ظهور السّرور على وجه أمّ أحمد لملاحظة جدّ أحمد.

الأب: نعم سنكمل يا سامي... ولكن يجب أن نشرح أوّلاً معاني الكلمات ليتمّ الشّرح...

لقد وصفت الآية خيل سليمان عليه السلام بصفتين: الصّافنات، والجياد.

والصَّفْن كما قال أحمد: هي حركة لطيفة للفرس عند وقوفها، حيث تقف على ثلاثة من قوائمها الأربع، أمّا الرّابعة من قوائمها فإنّها ترفعها وتثنيها، وتجعل طرف حافرها على الأرض. وهي بهذا تجمع بين رفعها وبين الوقوف عليها، فلا هي رفعتها عن الأرض، ولا هي وقفت عليها. وهذه حركة لطيفة جميلة، يدرك جمالها من استمتع بمنظر الفرس وهي صافنة.

والخيل الجياد: هي الخيل النّجيبة التي تجود في سيرها وعَدْوِها، فهي تبذل جهدها وطاقتها في عَدْوِها، وتجود بذلك، ولا تُضِنُّ منه بشيء، فيأتي عَدْوُها سريعاً.

ومنظر الخيل الجياد تجود بطاقتها في عدوها جميل لطيف مؤثّر.

فالوصفان يدلّان على حركتين لطيفتين.

إنّها جميلة في صفنها عند وقوفها، وجميلة في جودها عند عدْوِها.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٣ ـ ٤٨٤.

ولهذا هي خيرٌ جزيلٌ جميل، وكان سليمان عليه السلام يدرك ما فيها من خير، عندما قال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾...

وأخبرنا رسولنا الكريم عن هذا الخير الجميل الملازم لها. فروى البخاريّ ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة...**»[1].

ولمّا عرضت الصّافنات الجياد على سليمان عليه السلام وقت العشيّ، حمد اللّهَ على ما أنعم به عليه منها، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾...

والمعنى: أحببت الخيل حبّاً كثيراً، لما فيها من خير، وحبّي لها عن ذكر ربّي، وبسبب ذكر ربّي[2].

الجدّ: كأنّك عزفت عن الشّروح في تفاسير القرآن من اليهوديّات، فابتعدت عنها...

الأب: نعم، وهل يعقل فهم هذه الآيات كما قالت اليهوديّات إنّه قتل الخيل... لذا سأشرحها بالتّفصيل الممتع...

الشّرح الواضح: إنّه بسبب هذه النّعمة التي أنعم الله بها على سليمان عليه السلام زادته من ذكر الله عزّ وجلّ، (فكأنّه ذاكرٌ لربّه عندما يحبّ الخيل، فحبُّه لها ذكرٌ منه للّه، إذ يحمد الله ويشكره على إنعامه عليه بها، فكلّما يراها يشكر ربّه ويذكره، كما أنّ إعدادَه لها وإشرافَه عليها صورةٌ من صور عبادته وذكْرِه لربّه.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ الكلام عن الخيل التي أحبّها، و«معنى توارت»: اختفت. والحجاب: هو شيءٌ كان يحجبها عن سليمان عليه السلام، كأن يكون جبلاً أو تلّاً...

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، حديث رقم (٢٨٥٠).

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٥.

وتدلُّ الجملة على أنّ سليمان عليه السلام كان يراقب خيلاً ويشرفُ عليها، ويمرِّنُها على الجري والعَدْوِ، لتكون دائماً جاهزة للجهاد.

ويبدو أنّه أمر بركض الخيلِ وعَدْوِها، فلمّا رآها تجري وتسبّحُ في الميدان حمدَ الله على ذلك، واعتبر حُبَّه للخيل صورةٌ من صورِ ذكره وشكره للّه، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾.

وبقي ينظر إلى الخيل السّابحة في الميدان معجباً، حتّى توارتْ واختفت وراء الجبل الذي حجبَها.

ولمّا توارت وغابت عن ناظريه قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ ومعنى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾، أي: أعيدوها إليّ. فأعادوها له، ولمّا رآها أمَامه صار يمسحُ عليها: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾.

والسّوق جمع ساق. والمراد بها سيقانُ الخيل. والأعناق: جمع عنق.

والمعنى أنّ سليمان عليه السلام صار يمسح على سيقانِ وأعناق الخيل، ويمرِّرُ أصابعَه عليها برِقَّة. ملاعبةً منه للخيل، وتكريماً لها، وإظهاراً لاهتمامِه بها، ومحبّته لها.

ومعلومٌ أنّ الخيل تحبّ هذه الحركةَ اللطيفةَ من صاحبها، وتأنس به عندما يمسح على سوقها وأعناقها وأعرافها وجسمها، فتزداد وفاءً له وتعلُّقاً به، كما تزداد إقداماً في الجهاد.

هذه حادثة سليمان عليه السلام مع الخيل الصّافنات الجياد، وهذا فهم الحادثةِ كما عرضتها آيات القرآن، عندما نستبعد اليهوديّات التي سجّلت الاتّهامَ لسليمان عليه السلام، بانشغاله بالخيل عن ذكر الله، ثم ندمه بعد ذلك، وقتله لتلك الخيل[1].

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٦ ـ ٤٨٧.

الجدّ: بارك الله بك بنيّ، مهمّ جدّاً فهم الآيات، عشنا عمراً طويلاً ونحن نفكّر بطريقة معاكسة للصّواب!!!

يأخذ الجدّ نفساً طويلاً ويقول...

معك حقّ لو فكّرنا قليلاً (إنّنا نعلم أنّ سليمان عليه السلام كان رجل جهاد، وأنّه خاض معارك إيمانيّة ضدّ الكفّار، وكانت الخيل من أسلحة الحرب المعروفة، ولذلك كان سليمان عليه السلام محبّاً للخيل، لهذا الهدف الجهاديِّ العظيم الذي يحقّق له الخير... وكان يعتبر حبّه للخيل وإعدادها للجهاد صورةً من صور ذكره لربّه.

وكان يعدُّ الخيل للجهاد دائماً، ويحرص على «لياقتها» البدنيّة الجهاديّة ويبقيها في المضمار والميدان تعدو وتسيح)[1].

ويمكن في أحد المرّات التي تتمرّن...

نظر إليها وهي تعدو في الميدان، فأعجب بها، وحمد الله قائلاً: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾.

وبقي ينظر لها بإعجاب حتّى توارت بالحجاب، واختفت خلف جبل. وبذلك انتهى شوط من أشواط تمرينها وتدريبها.

وبعدما اختفت عن ناظريْه قال: رُدّوها عليّ، وأعيدوها لي.

فأعادوها، ووقفت أمامه، فقام يلاعبها ويدلّلها ويربت عليها، وصار يمسح بيديه على سيقانها وأعناقها، وعلى أعرافها وأجسامها، تكريماً لها)[2].

الجميع بصوت واحد بعد هذا التّحليل المناسب: لا إلٰه إلّا الله سبحانك ربّي ما أعظم شأنك.

---

(١) الخالدي، صلاح، القَصّص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٧.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٧.

أحمد: جاء دوري لأكمل ما بدأت. من بعد إذنكما يا والديّ وجدّي لأترككما تسرحان بالخيال مع علمي بحبكما لها، فكم رأيتكما تركبانها كفارسين يستويان على صهوة جواديهما.

بدت الابتسامة على وجه الأب والجدّ لذاكرة ولدهما أحمد، فلا زال يذكر حين كان صغيراً رؤيته لوالده وجدّه حينما يزوران المزرعة... وضحكت أمّ أحمد... هذا الشّبل من ذاك الأسد...

جميل وسامي: بصوت واحد وهل نسيتمونا؟

الأمّ: لا لم أنجبكما بعد أمّا هو فلم يتعدّى الخمس سنوات، هل عرفتما لماذا قلنا ذلك؟

أحمد: المهمّ الآن نكمل شرح الآيات من سورة ص.أخبرنا الله تعالى أنّه فَتَنَ سليمان عليه السلام كما فَتَنَ أباه داوود عليه السلام من قبله.

أمّا فتنة داوود فقد كانت بالملكين الرّجلين المتخاصمين، وقد تحدّثنا عنها مع قصّة داوود عليه السلام، وأمّا فتنة سليمان عليه السلام فكانت بإلقاء جسد على كرسيّه[1]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة ص: ٣٤ ـ ٣٥].

والمراد بالفتنة كما درسنا سابقاً: هو الامتحان والابتلاء، وقد تعلّمنا من القَصص السّابقة، أنّ الله يبتلي ويمتحن من شاء من خلقه بما شاء، ومنهم من يعرف حكمة الابتلاء، ويحسن فهمَه والتّعامل معه فينجح في الامتحان، ومنهم من يعمى قلبه عن ذلك فيخفق فيه.

وأشدّ النّاس ابتلاءً الأنبياء لكونهم أقرب النّاس إلى الله، وأعرفهم بالله، وكلّهم يدرك حكمة الابتلاء، ويحسن التّعامل مع الفتنة، ويواجهها

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٨.

بصبر واحتساب، وبإنابةٍ وعودة إلى الله، فتصقلُه الفتنة وتزيده قرباً من الله.

لمّا فتن الله داوود عليه السلام، وعرف حقيقة الملكين، أقبل على الله فوراً، فاستغفره وسجد له وتابَ إليه وأناب بين يديه: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

ولما فتن الله سليمان عليه السلام أقبل عليه وأناب إليه، دعاه وتضرّع بين يديه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾...

مع ملاحظة بيان الإنابة إلى اللّه[1].

الأب: بارك الله بك بنيّ وجزاك الله خيراً، سأكمل أنا بعد إحضار كتاب البخاريّ...

تعجّب سامي وجميل وفهما سريعاً لِمَ أحضر والدهما صحيح البخاريّ...

الأب: لأنّنا نرفض اليهوديّات ولا نعتبرها رواية صحيحة بل باطلة...

أحضرت كتاب صحيح البخاريّ لأنّ هناك بعض الأحاديث التي وردت في شرح هذه الآيات...

بدأ الأب يقلّب في صفحات الكتاب إلى أن وصل إلى أوّل حديث لأنّه حضّر هذه الأحاديث سابقاً...

قال الأب في رواية للبخاريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داوود عليهما السّلام: لأطوفَنّ الليلة على مئة امرأة، كلّهن يأتين بفارسٍ يجاهد في سبيل الله.

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٨٨ ـ ٤٨٩.

فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله.

فلم يحمل منهنّ إلّا امرأة واحدة، جاءت بشقّ رجل.

والذي نفس محمّد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون...»[1].

وفي رواية أخرى روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، عن النّبيّ ﷺ قال: «قال سليمان بن داوود عليهما السّلام: لأطوفَنَّ الليلة على سبعين امرأة، كلهنّ تأتي بفارس، يجاهد في سبيل اللّه!

فقال له صاحبه: قل إن شاء اللّه! فلم يقل إن شاء اللّه! ولم تحمل شيئاً إلّا واحدة، ساقطاً إحدى شِقَّيْه.

فقال النّبيّ ﷺ: «**لو قالها لجاهدوا في سبيل اللّه**»[2].

(كما لاحظتم لقد أورد البخاريّ ستّ روايات متفاوتةً قليلاً لهذا الحديث وأورده في مجموعة كتب كما لاحظنا: في كتاب الجهاد والسّير، وكتاب أحاديث الأنبياء، وفي كتاب النّكاح، وفي كتاب الأيمان والنّذور، وفي كتاب كفّارات الأيمان.

وحديث في كتاب التّوحيد[3] أيضاً ذكره البخاريّ، في باب: في المشيئة والإرادة، حديث رقم (٧٤٦٩)، عن أبي هريرة: «أنّ نبيّ الله سليمان عليه السلام كان له ستون امرأة، فقال لأطوفنّ الليلة على نسائي فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امرأةٍ، وَلْتَلِدْنَ فارساً يقاتل في سبيل الله، فطاف على نسائه، فما ولدت منهن إلّا امرأةٌ، ولدت شقّ غلام».

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب: من طلب الولد للجهاد، حديث رقم (٢٨١٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠]، حديث رقم (٣٤٢٤).

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٩١ بتصرف.

قال النّبيُّ ﷺ: «**لو كان سليمان استثنى لحملت كلّ امرأة منهنّ، فولدت فارساً يقاتل في سبيل اللّه**».

وبعد قراءة هذه الأحاديث وفهمها يتبيّن لنا ويتّضح مجموعة من الأفكار الواجب معرفتها:

أوّلاً: أنّ الله أيّد كلّ نبيّ بمعجزة وكانت إحدى معجزات سليمان عليه السلام قدرته على الزّواج من عدد كبير من النّساء، والأهمّ هو أنّه في وقته كان غير مخالف لشريعته. فله زوجات حرائر .الله أعلم بعددهنّ، وإماء جواري، وهمّه الوحيد هو إنجاب مجاهدين في سبيل الله.

ثانياً: ضرورة تعليق كلّ أمر نقدم عليه بمشيئة الله ليتحقّق: ومن هذا نفهم أنّ النّبيّ سليمان عليه السلام بمعجزته وتوفّر النّيّة السّليمة في تلك الأثناء من أجل جعل نسائه المئة يحملن في نفس الليلة لينجبن أبطالاً يدخلن معه في الجهاد، إلّا أنّه لم يسبق نيّته هذه بقول إن شاء الله، لذلك (أراه الله ضعفه أمام مشيئته بالرّغم من كونه نبيّاً فلم تحمل النّساء في تلك الليلة إلّا واحدة، وأنجبت طفلاً غير مكتمل حيث لا يصلح الجهاد به.

وبما أنّ الأمر من الله، وكان معجزة من المعجزات التي أنعم الله بها على سيّدنا سليمان عليه السلام وسنرى ذلك مع إكمال قصّتنا.

ففتنته بالمولود المشوّه الميّت على كرسيّه، المذكورة في الآيات ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾: امتحنّا سليمان وابتليناه، بأن جعلناه ينسى أن يقول إن شاء الله، وابتليناه بعدم تحقيق رغبته بأن يكون له مائة ولد مجاهدين في سبيل الله، وابتليناه بابنه المشوّه النّاقص في رحم امرأته.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ المراد بالجسد هو شِقُّ الإنسان المولود المشوّه النّاقص، الذي نزل من بطن أمّه ميتاً)[1].

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٩٥.

أحمد: جزاك الله خيراً، أبت...

ولي أن أتخيّل ما سيتحدّث به أصدقائي إن قصصت لهم هذه القصّة بالذّات، فلا ينقصنا سوى اليهوديّات ليزيدوا بلاء الأمّة إلى ما نحن فيه اليوم...

الجدّ: نعم الفتن حدّث عنها ولا حرج أعاذنا الله وإيّاكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقد تعوّذ منها رسول الله ﷺ وسنرى ذلك مع حديث أشراط السّاعة.

الجدّة: نتوقّف هنا الليلة ونكمل غداً بإذن الله.

الجميع: سمعاً وطاعة يا جدّتي... ستتركينا مع الخيال وما سنرى في الحلم من سيرة سيّدنا سليمان عليه السلام.ابتسم الجميع وقال أبو أحمد... لا زال أمامنا من الخيال ما لم تتصوّروا انتظروا حين نعدّد ما طلبه سيّدنا سليمان عليه السلام حينما قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

جميع الأولاد: شوّقتمونا... وتتركونا!!.

ضحك الجميع ووعدوا بإكمال القصّة في يوم الغد...

وكالمعتاد أنهت أمّ أحمد عنايتها بالطّفلة صفاء والجدّة جهّزت الفطائر الشّهيّة بالسّبانخ والجبنة واللحمة... كانت ماهرة بإعدادها...

أمّا الأولاد: فقسّموا على بعضهم عمل المنزل فمنهم من نظّف الحديقة، ومنهم من رتّب الأسرّة، ومنهم من قام بتجهيز غرفة الجلوس... استعداداً لإكمال القصّة فهم متشوّقون لمعرفة ماذا وهب الله سيّدنا سليمان عليه السلام.

وبعد انقضاء النّهار سريعاً كما اعتادوا ذلك وتجهيز طبق الفواكه الشّهيّة والفطائر التي ملأت رائحتها البيت بين السّرور الذي ساد يوم أبطالنا الثّلاثة...

الجدّ: أظنّكم حدّثتم أنفسكم في اليقظة والمنام.

الأب: مبتسماً... كيف لا وسنرى ما وهب الله ﷻ سيّدنا سليمان عليه السلام...

أمّ أحمد: سأبدأ أنا بإخبارهم بعد احتساء الشّاي اللذيذ وجلس الجميع وكأنّ على رؤوسهم الطّير.

قالت أمّ أحمد: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾...

طلب من ربّه أن يغفر له، وليس هذا عن ذنب، فإنّ الأنبياء لا يذنبون، وإنّما هو ذكرٌ منه لربّه، وتقرّب إليه بالاستغفار. ثمّ طلب من الله الوهّاب أن يهبه ملكاً خاصّاً به، لا يعطيه لأحدٍ من بعده، فاستجاب الله له.

سأعدّدها أوّلاً ثمّ نشرحها:

أوّلاً: تسخير الرّيح والجنّ لسليمان عليه السلام.

ثانياً: تفجير عين النّحاس لسليمان عليه السلام، وما صنع منه واستفاد في صناعته.

ثالثاً: علّمه الله منطق الطّير. وحواره مع النّملة وما نقلته لأمّتها من ذاك الحوار... وسنرى ذلك مع قصّة الهدهد والنّملة...

تتابع الأمّ السّرد وتقول: سيّدنا سليمان عليه السلام وهبه الله ملكاً خاصّاً به لم يهبه لأحد من بعده، فكان حاكماً لمجموعات من: الإنس والجنّ، والطّير، والرّيح حكماً لاقبله ولابعده ولا مثيل له، ولهذا كان سليمان عليه السلام أقوى ملك في التّاريخ وأوسع الملوك والزّعماء ملكاً. ليس بسبب سَعَةِ مملكته، ولا بسبب كثرة عدد النّاس الذين حَكَمهم، فهناك ملوكٌ ملكوا بلاداً أكبر من مملكته، وحكموا ملايين أكثر منه.

إنّ سليمان أوسع الملوك ملكاً، لأنّه حكم طوائف ومجموعات من الإنسِ والجنِّ والطّير والرّيح)[1].

سخّر الله له الرّيح، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: ٣٦]، كانت الرّيح تجري وتسير وتتحرّك بأمر سليمان عليه السلام، وتحمل معها الرّخاء والغيث، وينتج عنها سعة عيش النّاس وحسن أحوالهم. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، ومعناها أنّ الله جعل الرّيح سريعة عاصفة بما معها من غيث ورخاء، حيث كانت تقطع مسيرة شهر في غدوها وقدومها ومجيئها وقت الصّباح، وتقطع مسيرة شهرٍ آخر في رواحها وذهابها وقت العشيّ في آخر النّهار. أي أنّ الرّيح كانت تقطع مسيرة شهرين في يوم واحد[2]. أمّا تسخير الجنّ والشّياطين فأترك هذا الأمر لوالدكم يخبركم به.

الأب: بارك الله بك أمّ أحمد، وجزاك الله خيراً، كما قلت جعل الله عزّ وجلّ الرّيح الرّخاء، سخّرها لسليمان عليه السلام، ونستبعد جميع اليهوديّات الخرافيّة التي اخترعت أساطير ما أنزل الله بها من سلطان... خاصّة أنّي أرى سؤالك يا سامي... هل شاهدت إحدى هذه اليهوديّات؟ ألم تشاهد «بساط الرّيح» السّحريّ الذي كان سليمان عليه السلام، يتجوّل عليه في بلاد العالم؟. حبيبي، هذه من اليهوديّات، فقد استهوت هذه الأساطير بعض المفسّرين المسلمين، ففسّروا بها آيات القرآن[3]!! (سامحهم اللّه).

يتابع الأب: سخّر الله لسليمان عليه السلام الجنّ والشّياطين، وورد الحديث عن تسخير الجنّ في السّور الثّلاث: الأنبياء، وسبأ، وص.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٩٩.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٤٩٩.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٠ بتصرف.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ [الأنبياء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧﴾ [ص: ٣٧] تحدّثت الآيات عن تسخير الجنّ والشّياطين لسليمان عليه السلام، والكلمتان ليستا مترادفتين بمعنى واحد، فهناك فرق بين الجنّ والشّياطين.

الجنّ: هم الخلق الخاصُّ المقابل للإنس، خلقهم الله من النّار، مقابل خلق الإنس من الطّين، وهم عالمٌ قائم بذاته.

والجنُّ نوعان: جنٌّ مؤمنون مصلحون مسلمون، وجنّ كافرون ظالمون مجرمون.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١﴾ [الجن: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [الجن: ١٤ ـ ١٥].

أمّا الشّياطين فهم الكافرون المتمرّدون على الله، مهما كان جنسهم، وهؤلاء الشّياطين منهم من كان من الجنّ، ومنهم من كان من الإنس. فكلّ كافر شيطان سواء كان إنسيّاً أم جنّيّاً.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

الجنّ المؤمنون ليسوا شياطين، وهم كالإنس المؤمنين في الإيمان والإسلام والطّاعة. أمّا الجنُّ الكافرون فهم شياطين، كالإنس الكافرين[1].

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠١.

الأمّ: نعم ولقد أخبرنا الله أنّه سخّر لسليمان عليه السلام الجنَّ والشّياطين، أيْ أنّه سَخَّرَ له الجنّ بنوعيهم: المؤمنين الصالحين، والكافرين الشّياطين.

وعَلِمْنا من القرآن أنَّ أحد الجنّ المؤمنين تعهّد بإحضار عرش ملكة سبأ لسليمان عليه السلام قبل أن يقوم من مقامه... وسنتحدّث عن ذلك في وقته[1].

الأب: بارك الله بك أمّ أحمد لتسليط الضّوء على أنّ المسخّر لسيّدنا سليمان هما الجنّ المؤمن والجنّ الكافر وهم الشّياطين، وكما ذكرت كلمة شيطان تطلق على الإنس والجنّ سواء.

والأهمّ من ذلك هو حزم سيّدنا سليمان عليه السلام في حكم الجنّ والشّياطين، لأنّ الله أيّده بتسخيرهم وخضوعهم له، فخضعوا له بإذن الله ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

وكان يستخدم الشّياطين من الجنّ في «الغوص» في أعماق البحار، لاستخراج كنوزها وخيراتها، وتقديمها إلى سليمان عليه السلام، لينفع أمّته بها: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾... [الأنبياء: ٨٢].

كما كان يستخدم الشّياطين في "البناء»، حيث كانوا يشيّدون له القصور والبيوت: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾...

ولم يكن سليمان عليه السلام يتساهل مع هؤلاء الشّياطين البنّائين والغوّاصين، فمن يُقَصّرون أو يتمرّدون أو يخالفون منهم كان يقيّدهم بالقيود، ويصفّدهم بالأصفاد: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص: ٣٨].

ولم يخبرنا القرآن عن الطّريقة التي حكم سليمان بها الجنّ والشّياطين، ولا عن كيفيّة وتفاصيل حكمه لهم، ولا نلتفت إلى خرافات

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٢.

اليهوديّات من أنّه كان يحكمهم بالسّحر، أو باسم الله الأعظم، أو بخاتمِهِ السّحريِّ العجيب[1]...

فجميع هذه الخرافات من اليهوديّات، وبما أنّها من المبهمات في القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ لا نتطرّق إليها.

فكلّ ما نعرفه أنّه حكمهم بإذن الله، فاللّه هو الذي سخّرهم له، وأخضعهم لحكمه، فالأمر أمر الله في الحقيقة، نعمة منه على نبيِّه سليمان عليه السلام[2].

الجدّ: ألا يكون لي دور في الحديث عن سيّدنا سليمان عليه السلام؟ ابتسم الجميع وقال أبو أحمد: تفضّل يا والدي...

الجدّ: أمّا أنا فسأتحدّث عن أمر مهمّ جدّاً ألا وهو تفجير عين النّحاس لسليمان عليه السلام، كما ألان الله عزّ وجلّ الحديد لداوود عليه السلام.

قلنا سابقاً كيف ألان الله عزّ وجلّ الحديد لداوود عليه السلام ليصنع لهم الدّروع التي يلبسونها في الحرب...

أمّا سليمان عليه السلام فقد قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾... [سبأ: ١٢].

والقِطْرُ ـ بكسر القاف ـ هو النّحاس المذاب.

ومعنى «أسلنا له عين القطر»: أجرينا له عيناً من نحاس مذاب.

لقد فجّر اللّهُ لسليمان عليه السلام منجماً من مناجم النّحاس المذاب المصهور، وأخرج له عيناً جارية من هذا النّحاس المصهور، فكانت تسيل وتجري على وجه الأرض. وتَصَوُّرُ النّحاس المذاب يجري كالسّيل يدلّ على عظمة هذه النّعمة من الله على سليمان عليه السلام[3].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٢.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٣.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٣.

ويقول الجدّ...

لم يتحدّد موقع هذه العين التي فجّرها الله ﷻ لسليمان عليه السلام المهمّ نعرف من هذه المعلومة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

وسأشرح لكم معاني الكلمات فهي صعبة...

قال: المحاريب جمع محراب. وهو مكان العبادة، وقد شرحنا ذلك بقصّة الملكين الذين تسوّرا المحراب لداوود عليه السلام...

والتّماثيل جمع تمثال: وهو شيء مصنوع من النّحاس أو غيره يماثل ويشابه ويحاكي شيئاً من الطّبيعة، كالإنسان أو الحيوان أو النّبات... والجفان جمع جفنة، وهي القصعة أو الإناء أو الوعاء، الذي يوضع فيه الطّعام...

والجواب، أصلها: الجوابيّ، حذفت منها الياء للتّسهيل، مثل الجواري، صارت «جوار» في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٤].

والجوابي جمع جابية، والجابية هي حوض كبير يوضع فيه الماء. مشتقّة من «الجَوْب» وهو القطع... ومعنى قوله: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ أنّ الجفان النّحاسيّة التي كان الجنُّ يصنعونها لسليمان عليه السلام، لتكون آنية للطّعام، كانت كبيرة، وكأنَّ الجفنة الواحدة جابية من الجوابي، وحوضاً من الأحواض التي يوضع فيها الماء.

والقدور جمع قدر. وهو الإناء المعروف الذي يطبخ فيه.

ووصفت القدور النّحاسية بأنّها «راسيات».

والرّاسيات هي الثّابتات التي لا تتغيّر.

ومعنى ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾: قدور ضخمة، ثابتةٌ مكانها، لا تتغيّر عنه، ولا يكاد أحدٌ يطيق حملها لعظمها وضخامتها.

وبعدما عرفنا معاني الكلمات[1]، نقف على ما قاله بعض السلف في معانيها:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: «أمّا المحاريب فهي: البناء الحسن، وهو أشرف شيء في المسكن.

قال مجاهد: المحاريب: بنيان دون القصور. وقال الضّحّاك: هي المساجد. وقال قتادة: هي القصور والمساجد. وقال ابن زيد: هي المساكن.

وأمّا التّماثيل: فهي الصّور... وقال مجاهد: كانت هذه التّماثيل من نحاس.

والجواب: جمع جابية، وهي الحوض يجبى فيه الماء...

ويدلّ ذلك على عظمة هذه الصّناعات المعدنيّة النّحاسيّة التي كان الجنُّ والشّياطينُ يصنعونها لسليمان عليه السلام، والتي كان يستخدمها بنو إسرائيل في حياتهم المدنيّة والاجتماعيّة[2].

الأب معلّقاً على كلام والده قائلاً: يعني هذا إن دلَّ على شيء، إنّما يدلّ على الرّقي المادّيّ والعمرانيّ والصّناعيّ، الذي وصل إليه بنو إسرائيل في عهد سليمان عليه السلام.

الجدّ: نعم... شياطين الإنس والجنّ، والجنّ المؤمنون التقَوْا لتقديم خبراتهم وطاقاتهم لدعم المملكة الإيمانيّة في عهد سليمان عليه السلام...

بفضل الله تعالى استفاد بنو إسرائيل من النّعم التي أنعم الله بها على

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٤.
(٢) المرجع السابق.

سليمان عليه السلام حيث سخّر الله عز وجل هذا القِطر من النّحاس، الذي استخدموه في الصّناعات فازدهرت المملكة الإيمانيّة في عهد سليمان عليه السلام... لأجل ذلك أمرهم الله عز وجل بشكر الله على هذه النّعم. قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]...

أمرهم الله عز وجل أن يعملوا الصّالحات، وأن يشكروه على ما أنعم به عليهم ووفّقهم إليه.

الجميع بصوت واحد: الحمد لله ربّ العالمين.

وكالمعتاد قالت الجدّة: حان الآن وقت النّوم نكمل غداً بإذن الله تعالى، فالقصّة لا زالت طويلة... انصاع الأولاد لكلام جدّتهم وألقَوْا التّحيّة على الجميع للنّوم، ليستيقظوا على صلاة الفجر والذّهاب مع والدهم وجدّهم إلى المسجد للصّلاة كالمعتاد...

وكالمعتاد عادوا إلى البيت وهم يحمدون الله ويسبّحونه ويهلّلون... مع ذكر بقيّة الأذكار التي حفظوها من والديهم... وزاد عليهم في هذا اليوم الشّكر لله عز وجل على ما أنعم عليهم من نعمة الإيمان ونعمة الوالدين الصّالحين، ونعمة تواجد الجدّ والجدّة في زيارتهم لهم ونعمة رزق والدتهم بصفاء وكم أدخلت البهجة والسّرور على العائلة بحركاتها اللطيفة...

وانقضى هذا اليوم بين الذّهاب إلى السّوق وشراء حاجيات المنزل وبين عمل المنزل اليوميّ لمساعدة والدتهم، وبين ذهاب الجدّة والوالدة إلى السّوق لشراء ما يحتاجه الجدان حين سفرهما...

أمّا سامي فقد جهّز الحديقة للمساء ليحلو الكلام عن قصّة سليمان عليه السلام، مع التّفكّر بآيات الله وبما أنعم عليهم بهذه الحديقة المتواضعة التي اعتنى بها والده من زراعة بعض الخضروات والزّهور وأنواع من الشّجر ليضفي على المكان سحره المعتاد...

اجتمع الجميع بين المرح والسّرور بعد أداء صلاة المغرب وقد حضّر

أحمد أكواب الليموناضة الطّازجة مع النّعناع الذي قطفه من حديقة المنزل... لإدخال السّرور إلى قلب جدّه وجدّته.

قال الجدّ: أشكر الله ﷻ أن منّ علينا بذرّيّة صالحة يا ربّ اجعل ذرّيّة ابني ذرّيّة صالحة واجعلهم قرّة عين لوالديهما.

الجميع آمين يا ربّ العالمين.

الجدّ: وصلنا إلى الخطاب الإلهيّ لآل داوود أن يشكروه على ما أنعم به عليهم ووفّقهم إليه... لذا بدأت أنا حديثي بالشّكر لله ﷻ على ما أنعم علينا من نعم أدعو الله ﷻ أن يديم علينا نعمه، والثّبات على نعمة الإيمان، فيا ربّ ثبّتنا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا والآخرة.

أمّا الآن فسأخبركم بمعلومة جديدة ألا وهي تجديد بناء المسجد الأقصى...

سامي: جدّده سيّدنا سليمان عليه السلام وكيف عرفت ذلك يا جدّي؟

أحمد: بنى المسجد الأقصى سيّدنا إبراهيم عليه السلام أوّل مرّة، بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة درسناه في قصّة إبراهيم عليه السلام...

لذا هل استمرّ كلّ هذا الزّمن ولم نتحدّث عنه سابقاً لا في قصّة يوسف عليه السلام ولا موسى ولا هارون عليهما السّلام... حتّى في قصّة داوود عليه السلام لم نذكر أن أخبرتمونا شيئاً عن المسجد الأقصى!!

الجدّ: نعم مع العلم حينما تذكر الآيات «**الأرض المباركة**» يقصد بها المسجد الأقصى وما بارك الله حوله ففي عهد سليمان عليه السلام، قام بتجديد بناء المسجد الأقصى، وبناه مسجداً للّه، ليصلّيَ فيه المؤمنون، ويعبدوا الله سبحانه وتعالى.

والدّليل على أنّ سليمان عليه السلام جَدَّدَ بناء المسجد الأقصى في بيت المقدس ما أخرجه النَّسائيّ وابن ماجه وغيرهما عن عبدالله بن عمرو بن

العاص ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ سليمان بن داود عليهما السّلام لمّا بنى بيت المقدس، سأل الله ﷻ خلالاً ثلاثة: سأل الله ﷻ حكماً يصادف حكمه فأُوتيَه. وسأل الله ﷻ ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأُوتيه. وسأل الله ﷻ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزُهُ إلاّ الصّلاة فيه، أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمّه...**»[1].

يخبرنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث الصّحيح أنّ سليمان عليه السلام هو الذي جدّد بناء بيت المقدس، وجدّد بناء المسجد الأقصى فيه.

وهذا ردٌّ على مزاعم اليهود المفترين، الذين زعموا أنّ سليمان عليه السلام بنى هيكله، المعروف باسم «هيكل سليمان»، وجعله بناءً يهوديّاً للرّبّ، لينزل فيه ويقيمَ فيه!! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً[2].

الأب: إنّ سليمان عليه السلام كان نبيّاً رسولاً، وملكاً خليفة، فكان حكمه حكماً إسلاميّاً!! صحيح أنّه كان من بني إسرائيل من حيث النّسب، ولكنّ حكمه لا «يُجَيَّرُ» لليهود ـ في هذا الزّمان ـ، وإنّما هو للإسلام والمسلمين.

والمسجد الأقصى الذي جدّد بناءه، لم يجعله هيكلاً مقدّساً، ولا «كنيساً» يهوديّاً، وإنّما جعله مسجداً للصّلاة والعبادة والذّكر[3].

الجدّ: بارك الله بك بنيّ لتوضيح هذه المعلومة المهمّة، وسأزيد على هذه الملاحظة فقط تعريف من هم بنو إسرائيل... أليسوا هم أولاد يعقوب عليه السلام!! ألم يعش يعقوب عليه السلام في بيت المقدس قبل هجرته إلى مصر، بعد كيد إخوة يوسف عليه السلام وما حدث له في مصر؟؟

---

(١) رواه النسائي، في كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، حديث رقم (٦٩٠)، ورواه ابن ماجه، في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، حديث رقم (١٤٠٨).

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٨.

(٣) المرجع السابق، ص٥٠٨.

إذن إن تتبّعنا أصل جميع الأنبياء من عند إبراهيم عليه السلام إلى سليمان عليه السلام نكتشف أنّهم جميعاً من هذه الذّرّيّة، فإبراهيم عليه السلام رزقه الله عز وجل إسحاق عليه السلام من سارة، ورزق إسحاق عليه السلام يعقوب وله اسم آخر هو إسرائيل، وكانت ذرّيّة يعقوب عليه السلام اثني عشر من الذّكور ولم نتعرّف إلّا على سيّدنا يوسف عليه السلام، ولم تذكر لنا الأحاديث أسماء الأحد عشر الباقين من إخوته، وبعدهم جاء موسى عليه السلام ولم يذكر من أيّ ولد من أولاد يعقوب عليه السلام هو وكذلك هارون عليهما السّلام، فقط نعلم أنّهما ينسبان إلى إسرائيل... ثمّ جاء داوود عليه السلام أيضاً وكان من بني إسرائيل وكذلك كان بالنّسبة لبقيّة الأنبياء، فجميع الأنبياء هم من بني إسرائيل من غير تحديد النّسب، والهدف من ذكر ذلك أنّهم جميعاً كانوا مسلمين، والدّليل نجده في سورة البقرة... التي ذكرت صفات اليهود الذين عاشوا في المدينة المنورة، وقد تنزّلت هذه السّورة لتبيّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم غدر وخيانة وكذب وخداع اليهود، وتحريفهم الكلم الطّيّب عن مواضعه، وأنّهم حاسدون، ومراوغون، ومتحايلون، ومستهزؤون بما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم...

وتابع الجدّ السّرد فقال: ولو بقيت أذكر صفاتهم التي ذكرها الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا اليوم من سرد قصّة سليمان عليه السلام...

يكفينا أن نذكر جبنهم عن دخول الأرض المقدّسة... ذكر الله عز وجل صفاتهم في جميع السّور المدنيّة، لأنّهم تواجدوا في المدينة، وعاثوا فيها ضلالاً وظلماً، وسنتعرّف على ذلك لاحقاً في سرد بقيّة قَصَصْ القرآن الكريم لبقيّة الأنبياء عليهم السّلام.

شعر الأولاد بقرب انتهاء القَصَصْ... بعد أن أخبرهم جدّهم أنّ مرتبة سيّدنا سليمان هي الواحد والعشرون من أصل خمسة وعشرين، مع العلم أنّه فرض عين الإيمان بهم وعدم الكفر بأيّ نبيّ أو رسول، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

لاحظ الجدّ سرحان الأولاد للحظة فقال لهم: لا تخافوا ستظلّ جلساتكم، إذ أنّ أموراً كثيرة أخرى عليكم أن تتعلّموها... أيّد الوالدان كلام الجدّ... وقال الأب: مهما جلسنا لنتدارس ما أمرنا الله بمعرفته لن ننتهي فلا تخافوا، ندعو الله ﷻ ألّا يحرمنا هذه النّعمة ونشكر الله ﷻ أن وهبني ذرّيّة صالحة.

الجميع آمين يا رّب العالمين.

الجدّ: أكمل ما ورد في الحديث حتّى لا نجعل أيّة معلومة معلّقة...

وبإيجاز فهمنا من الحديث أنّ سيّدنا سليمان سأل ربّه ثلاثة أمور:

(سأل الله حكماً صائباً، وقضاءً صحيحاً، يوافق حكم الله وقضاءه، فآتاه الله ذلك.

سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ليكون هذا مظهراً لذكر الله وشكره، وليستخدمه في طاعة الله ونفع عباد الله، فآتاه الله ذلك، وسخّر له الإنس والجنّ والطّير، وعلّمه منطق الطّير، وكان جيشه يضمّ أصنافاً من هؤلاء.

سأل الله أن يغفر لكلّ مؤمن صالح، يأتي إلى المسجد الأقصى للصّلاة فيه، مهما كان مكان إقامته، بشرط أن يكون هدفُه وجه الله، وأن يأتيه مخلصاً للّه، وأن لا ينهزه ولا يحرّكه إلّا الصّلاة، فآتاه الله ذلك، وأخبره أنّ كلّ من كان كذلك، فإنّه سيغفر له، ويخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمّه!)[1].

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٠٩.

الأب: يا ربّ اكتب لنا الصّلاة في المسجد الأقصى...

ومعلومة يجب أن تعرفوها (أنّ هذا الحكم قائم حتّى قيام السّاعة، وينطبق على كلّ مسلم صالح، يأتي المسجد الأقصى بهذا الهدف وهذه الصّفة)[1]...

الجدّ: آمين يا ربّ العالمين ...الله أعلم وأعزّ وأكرّم ما قدّره الله لنا.

أمّ أحمد: وأودّ تسليط الضّوء على حادثة حدثت مع رسول الله ﷺ من أجل الملك الذي وهبه الله ﷻ لسليمان عليه السلام، ولم يهبه لأحد من بعده... وهو تسخير الجنّ والشّياطين له.

روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة، ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم فتذكرت دعوة أخي سليمان**: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ فرددْتُه خاسئاً»[2].

وقد ذكر أبو الدّرداء رضي الله عنه، في رواية لمسلم عنه قال: «قام رسول الله ﷺ يصلّي، فسمعناه يقول: أعوذ باللّه منك، ألعنك بلعنة الله. أعوذ باللّه منك، ألعنُك بلعنة الله. أعوذ باللّه منك، ألعنك بلعنة الله. وبسط يده، كأنّه يتناول شيئاً. فلمّا فرغ من الصّلاة، قلنا: يا رسول الله: قد سمعناك في الصّلاة تقول شيئاً، لم نسمعك تقول قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الصلاة، باب: الأسير أو الغريم يربط في المسجد، حديث رقم ٤٦١. ورواه مسلم، في كاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة، حديث رقم (٥٤١).

قال: «**إنّ عدوَّ الله إبليس جاء بشهابٍ من نار، ليجعله في وجهي. فقلت: أعوذ باللّه منك، ثلاث مرات. ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، ثلاث مرات، فلم يستأخر.**

ثمّ أردت أخذه، والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً، يلعب به وِلدان أهل المدينة»[1].

وفي الحديث تحديدُ أنّ الشّيطان الذي أتى رسول الله ﷺ هو إبليس عليه اللعنة، وأنّه كان يحمل شهاباً من نار، ليضعه في وجه رسول الله ﷺ، ويفسد عليه صلاته.

وتمكين الله للرّسول ﷺ، وإلقاؤه القبض على إبليس نفسِه، يشير إلى فضل رسول الله ﷺ، وعلوِّ منزلته عند الله، فاللّه سخَّرَ له الجنَّ والشّياطين وحكَّمه فيهم. ولو أراد ﷺ تسخيرهم لفعل، والذي دعاه إلى العدول عن ذلك هو تقديره لأخيه نبيِّ الله سليمان عليه السلام، ومراعاتُه لما اختصّه الله به[2].

الجميع صلّى الله على رسول الله رسول الهدى ورحمة للعالمين سمعت أمّ أحمد صوت بكاء صفاء فقالت نكتفي اليوم ونكمل غداً بإذن الله...

* * * * * *

(١) رواه مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة، حديث رقم (٥٤٢)، والنسائي برقم (١٢١٥).

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥١١.

القصّة رقم ٢٧

سيّدنا سليمان وزكريّا ويحيى عليهم السلام

كانت أمّ أحمد تنهي لصفاء الصّغيرة جميع مستلزماتها من رضاعة وحمّام دافئ قبل النّوم مع تجهيزها للنّوم، حين دخل عليها أبو أحمد حاملاً معه هدايا... كانت قد اتّفقت معه لإحضارها لوالديه قبل سفرهما تعبيراً عن حبّ الجميع لهما، وتقديراً لهما، وإدخال السّرور إلى قلبيهما وهكذا كان...

اجتمعت الأسرة كالمعتاد، وتأخّر أبو أحمد في الدّخول عليهم حاملاً الهدايا القيّمة لوالديه.

هنا علت الفرحة وجوه الأولاد لما جلبه والدهم من هدايا لجدّهم وجدّتهم...

فتحت الجدّة الهديّة فوجدتها خاتماً من ذهب مرصّعاً بالزّمرّد، وكم كانت تحبّ والدته هذه الأحجار!!!

دمعت عينا الجدّة وقالت: بارك الله بك بنيّ، وبدأت الدّعاء له ولذرّيّته وقالت: (يكفيني برّك وبرّ عائلتك يا بنيّ).

قام الجميع بتقبيل الجدّة، وإبداء الحبّ الكبير لها.

أمّا أمّ أحمد فقد قالت أبياتاً من الشّعر معبّرة عن حبّ الأمّ وكم تشقى وتتعب في تربية أبنائها عن المعرّيّ[1]:

الـعَـيْـشُ مـاضٍ فـأكـرِم والـديـك بـه
والأمّ أَوْلـى بـإكـرام وإحـسـان
وحـسـبـهـا الـحـمـل والإرضـاع تـدمـنـه
أمـران بـالـفـضـل نـالا كـلّ إنـسـان

أمّا أبو أحمد فقال:

أوجـب الـواجـبـات إكـرام أمّـي
إنّ أمّـي أحـقّ بـالإكـرام
حـمـلـتـنـي ثـقـلاً ومـن بـعـد حـلـمـي
أرضـعـتـنـي إلـى أوان فـطـامـي
ورعـتـنـي فـي ظـلـمـة الـلـيـل حـتّـى
تـركـت نـومـهـا لأجـل مـنـامـي[2]

وقدّم أبو أحمد هديّته لوالده وهي ساعة دائريّة فيها بوصلة تبيّن قبلة الصّلاة أينما ذهب...

وكم سرّ الجدّ بهذه الهديّة القيّمة الغالية!!!

وقبّل الجميع جدّهم بفرح وسرور.

وبعد شرب الشّاي السّاخن وأكل الكعك والحلويّات ضحكت أمّ أحمد قبل أن تقول كما كانت تسمع وهي صغيرة عن شهرزاد وشهريار في

(١) المعرّيّ.

(٢) معروف الرّصافيّ.

حكاية ألف ليلة وليلة: ولا يحلو الكلام إلّا بعد الصّلاة والسّلام على رسول الأنام محمّد ﷺ.

سرّالجميع بهذه البداية وكأنّ والدتهم تقول لهم: لا تخافوا يا أبنائي سأظلّ أروي لكم القَصص حتّى لو انتهينا من الحديث عن الأنبياء والرّسل صلوات ربّي عليهم جميعاً.

قالت أمّ أحمد: وصلنا في قصّتنا مع سليمان عليه السلام إلى نِعَم الله عزّ وجلّ عليه بفهم منطق الطّير، وأيضاً فهم ما قالته النّملة لقومها حينَما حشد سليمان عليه السلام جيشه، فقصّة سليمان عليه السلام مع النّملة والهدهد وملكة سبأ من أطول مشاهد قصّته في القرآن فقد تناولتها آيات عديدة من سورة النّمل، وهي من الآية الخامسة عشرة إلى الآية الرّابعة والأربعين.

سامي: سمعتكم البارحة تتحدّثون عن الطّيور تتحدّث وقلتم منطق الطّير؟ هل الطّيور تتكلّم، أم أنّ الكلام يخص الإنسان فقط؟ وهل زقزقة الطّيور وصياح الدّيك، وهديل الحمام... تعتبر كلاما ومنطقا لها؟

الأمّ: أصوات الطّيور والحيوانات والحشرات وسائل للتّفاهم فيما بينها ـ فهل هي لغتها ومنطقها؟ ـ والله سبحانه خالق هذه العوالم قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وهذا يعني أنّ هذه الأمم لها وسائل تربطها مع بعضها البعض، ووسائل للتّفاهم فيما بينها. وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

(وهذا معناه أنّ المخلوقات الحيّة الأخرى تنطق، ونسمع نحن أصواتها، لكنّنا لا نفهم عليها، ولا نفقَهُ نطقَها.

وعدم فهمنا لأصواتها لا ينفي نطقها، ولا يلغي أنّ لها «لغةً» خاصّةً بها، فهذه الأصوات المجرَّدَةُ التي نسمعها من الطّيور والحيوانات ما هي إلّا لغاتٌ معبّرة عن حاجات!.

وإذا كانَ الله قد حجب عنّا فهم لغة الحيوانات والطّيور، فإنّه قدْ يمنح هذا العلم لبعض عباده، كما فعل مع سليمان عليه السلام.

لقد كان تعليمُ اللّهِ منطقَ الطّيرِ لسليمان عليه السلام معجزةً خصَّهُ بها، ولم يكن بجهد سليمان عليه السلام وكسبه وتحصيله ودراسته)[1].

تتابع الأمّ السّرد وتقول: وحتّى لا نخرج عن سياق قصّتنا سنتابع ما حدث مع سليمان عليه السلام وجنوده من الجنّ والإنس والطّير...

بعد معرفتنا أنّ الله عزّ وجلّ علّم سليمان عليه السلام منطق الطّير، عرضت لنا الآيات مشهداً مصوّراً لموكب عسكريّ مهيب سار مع سليمان عليه السلام: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل: ١٧].

سار سليمان عليه السلام يوماً مع جيشه العسكريِّ الكثيف، وكان جيشُه مكوَّناً من فرق متناسقة، وأخبرنا الله عزّ وجلّ عن ثلاث من هذه الفرق: فرقة الإنس، وفرقةِ الجنّ، وفرقة الطّير، ولا يعني هذا أنّ سليمان حكم كلّ الإنس، وكلّ الجنّ، وكلّ الطّير، إنّما حكم طوائف من الإنس تمثّل عالم الإنس، وطوائف من الجنّ تمثّل عالم الجنّ، وأصنافاً من الطّير تمثّل عالم الطّير، وكانت هذه الطّوائف جنوداً في جيش سليمان عليه السلام[2].

تنفّست أمّ أحمد نفساً عميقاً لتكمل القصّة...

قاطعها أحمد بأدب فقال: هل أشرح كلمة ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾؟ ولن أطيل عليكم سأحاول اختصارها...

أمّ أحمد: تفضّل بنيّ...

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥١٤.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥١٦.

أحمد: قال الإمام ابن كثير: «المعنى: وجمع لسليمان جنوده من الجنِّ والإنسِ والطّير، فركب فيهم في أبّهةٍ كبيرة، في الإنسِ وكانوا هم الذين يلونه، والجنِّ وهم بعدهم في المنزلة، والطّير فوق رأسه...

ومعنى ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُكَفُّ أوّلهم على آخِرِهم، لئلّا يتقدَّم أحدٌ عن منزلته، التي هي مرتّبةٌ له.

قال مجاهد: جعل على كلّ صنفٍ وَزَعَة، يَرُدّون أولاها على أخراها، لئلّا يتقدَّموا في المسير، كما يفعل الملوك اليوم...»[1].

ولن أدخل في الإعراب أو معاني المعجم الوسيط فقط أسلّط الضّوء على جيش سليمان عليه السلام المنظّم رغم عدده الكبير ومع اختلاف أجناسهم، كان جيشه من الجنّ والإنس والطّير مرتّباً منظّماً منضبطاً منسّقاً، وكان قادةُ فرقِ جيشه من الجنِّ والإنسِ والطّير يوزّعون الجنود ويرتّبونهم وينظّمونهم، ويكفّونهم عن الخروج، ويمنعونَهم عن الفوضى[2].

الوالدان: لا فضّ فوك بنيّ... خرجت مرّة واحدة منهما فسُرّ الجميع وقالوا آمين.

الجدّ: حان دوري أليس كذلك حتّى يأتيني دعاء من والداي ابتسم الجميع...

قال الجدّ: سار الجيش على هذا الضّبط والتّنظيم، ومَرّوا على وادي النّمل، وأخبرنا الله عمّا جرى فيه. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، ص٣٤٧.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥١٧.

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٨ ـ ١٩].

وكالعادة، لا نذكر المبهمات، فوادي النّمل مبهمٌ من مبهمات القرآن، لم يرد في تبيينه حديث صحيح، ولا يضرّنا الجهل بموقعه الجغرافيّ.

ولعلَّ هذا الوادي كان مشهوراً بكثرة بيوت النّمل فيه، ولذلك سُمِّيَ «وادي النّمل»...

دخل جيش سليمان الكبير من الجنِّ والإنس والطّير وادي النّمل، وبينما كان الجنود المنظّمون يسيرون في الوادي، شاهدتهم نملة من النِّمل، وخشيت على أمّتها من النّمل الهلاك، فنصحت أمّتها قائلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، وهذه النّملة حكيمة في نصحها لأمّتها، وفي اعتذارها عن سليمان عليه السلام وجنوده.

بدأت كلامها مع النّمل بقولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾، وهذه صيغة كلُّها تحبُّبٌ للنّمل، وتقرُّبٌ إليه، ليسمع قولها، ويستجيب لنصحها.

وطلبت من النّمل أن يدخلوا مساكنهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ وهي بيوت النّمل التي يقيمون فيها في باطن الأرض، وتحميهم من الأخطار.

وعلّلت النّملة الحكيمة طلبها، بأنّها فعلت ذلك لتحمي النّمل من الهلاك تحت أقدام جنود سليمان واستدركت ذلك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، فكأنّها تعتذر لقومها عن أيّ أذى يصيبهم من سليمان عليه السلام وجنوده من غير قصد منهم فهم لا يشعرون إنّهم سيؤذون النّمل... استمع النّمل لها واستجاب لها وسارع النّمل إلى دخول مساكنه، والاحتماء من الخطر في بيوته... طبعاً فقط سليمان عليه السلام سمع كلامها وتبسّم ضاحكاً من

قولها[1]... وسأقول كما قال أحمد لن ندخل بمعجم الوسيط ولا ما قاله العلماء... المهمّ ضحك وهي فوق الابتسامة وتحت التّبسّم، فقد أعجبه كلامها وحمد الله ﷻ بما آتاه الله من نعمة فهم منطق الطّير والحشرات وهنا قال: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

قال الإمام الرّاغب في معنى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ الوزوع: الولوعُ بالشّيء. يقال: أَوْزَعَ الله فلاناً: إذا أَلْهمهُ الشّكر...

وقيل معنى: ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: ألهمني شكر نعمتك، وامنعني عن كلّ ما يلهيني عن شكر نعمتك، في كلّ الأوقات، فيكون مع الله ذاكراً حامداً شاكراً في كلّ لحظاته، وبكلّ إمكاناته وطاقاته[2].

الجميع: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم...

أبو أحمد: جزاك الله خيراً والدي... هلّا أكمل عنك؟

الجدّ: تفضّل بنيّ...

أبو أحمد: إنّ سليمان عليه السلام يطلب من الله أن يجعله محبوساً على طاعته، مجموعاً في كلِّ نواحي كيانه عليها، مولَعاً في كلّ أوقاته بها، فيكون مع الله ذاكراً حامداً شاكراً، في كلّ لحظاته، وبكلّ إمكاناته وطاقته.

وهناك ترابط واتّصال بين وزع وتنظيم جيش سليمان عليه السلام: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٧] وبين طلبه أن يوزعه الله ليشكره: ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩].

فأفراد الجيش المؤمن المجاهد «يُوزَعون» بتنظيمٍ وضبطٍ وترتيب، موجّهون لهدف واحد وهو الجهاد في سبيل الله.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥١٩ بتصرف.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٢٢ بتصرف.

وجميع جوانب الكيان في شخصيّة سليمان عليه السلام، موزعةٌ منظّمةٌ منضبطة، موجّهة لهدف واحد، وهو شكرُ الله على نعمه.

فالجيش موزع للجهاد، وقائد الجيش وإمامه سليمان عليه السلام موزع لشكر اللّه!

وبهذا تناسقَ الجنود مع القائد، وتكاملت جهود الجميع، واتّجهت لهدف واحد، وهو حمد الله وشكره وطاعته[1].

والمهمّ في هذا الحديث عن ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ جملة «أن أشكر»... قاطعته أمّ أحمد بهدوء وقالت هذا دوري أنا أليس كذلك؟...

ابتسم أبو أحمد وفهم ما قالته أمّ أحمد...

من يستطيع أن يصمد أمام إعرابها للجمل؟ فهي ضليعة في الإعراب!...

قالت أمّ أحمد: جملة «أن أشكر» في محلّ نصب مفعول به ثانٍ لفعل «أوزعني». لأنّ المفعول الأوّل هو ياء المتكلّم في «أوزعني». والتّقدير: ألهمني شكر نعمتك، وحتّى لا أطيل عليكم الحديث أهمّيّة شكر الله عزّ وجلّ مطلقة غير مقيّدة، وهي منصرفة إلى أعظم نعمة عليه وعلى أبيه وأمّه، هي نعمة الإيمان والطّاعة والذّكر والشّكر[2].

لذا أذكّر نفسي وإيّاكم جميعاً دوماً أن نذكر الله عزّ وجلّ وأن نشكره على هذه النّعم التي منّ الله بها علينا من مذاكرتنا لقَصص الأنبياء، فللّه الحمد والشّكر في الأولى والآخرة.

الجميع بصوت واحد: يا ربّ لك الحمد حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه.

تكمل أمّ أحمد ما بدأت في سرده من قصّة سليمان عليه السلام مع ما

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٢٢ ـ ٥٢٣.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٢٣ بتصرف.

سمعه من النّملة التي نصحت قومها بالدّخول إلى مساكنهم، والمهمّ في هذا الأمر ازدياد تواضع سيّدنا سليمان عليه السلام ولم يغره هذا العلم الذي علّمه إياه الله عزّ وجلّ، ولا حتّى الملك والسّلطان، إنّما ازداد تواضعاً لله وذكراً وشكراً وحمداً للّه، ورحمة بعباد الله، وإقبالاً على الله، وإيثاراً لما عند الله، وطلباً لجنّة الله، وجعل هدفه هو[1]: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وبعدما سمع سليمان عليه السلام كلام النّملة، وتبسّم ضاحكاً من قولها، دعا الله وذكره وشكره، وتابع سيره في وادي النّمل، بفرقهِ الكبيرة من الجنّ والإنس والطّير.

وكان سليمان عليه السلام مشرفاً على الجيش الكثيف إشرافاً مباشراً، يتفقّد الجنود، ويراقب أداءهم، وهذا من مظاهر قوّته وحزمه وحسن إرادته، وهي من لوازم كونه خليفةً ملكاً عليه الصّلاة والسّلام.

ومن تفقّده جاء دور الطّير واكتشف غياب الهدهد!

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل: ٢٠ ـ ٢١].

والهدهد طير من الطّيور معروف، ويبدو أنّه كان له مهمّة وشأن في جيش سليمان عليه السلام، لا نحدّدها لعدم وجود نصوص نعتمد عليها في ذلك...

ولما لم يَرَ سليمان عليه السلام الهدهد في صفّ الطّيرقال: ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ لماذا لا أرى الهدهد في موقعه؟

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٢٤.

أم كان من الغائبين؟ حرف «أمْ» هنا بمعنى «بل» وتسمّى «أم المنقطعة»، وتدلّ على إلغاء الكلام السّابق، والانتقال إلى كلام جديد، والتّقدير: بل كان من الغائبين.

والمعنى: عندما لم يجد الهدهد في مكانه قال: لماذا لاأرى الهدهد؟ ثمّ عرف أنّه غاب بدون إذن منه، فألغى سؤاله، وقرّر أَنّه غائب، فقال: إنّه من الغائبين.

لقد غاب الهدهد عن الجيش بدون إذنٍ ولا إجازة من سليمان عليه السلام وهذا معناه أنّه ما كان جنديّ من الجنود يغادر موقعه ويغيب إلّا بعد أن يحصل على إذن من سليمان عليه السلام، سواء كان هذا الجنديُّ من الجنِّ أم من الإنس أم من الطّير!

وهذا دليل آخر على حزم سليمان عليه السلام، وقوّة إدارته في حكمه، بحيث كان يضبط الأمور ضبطاً دقيقاً، ولا يسمح بفوضى أو تسيّب في جنوده[1].

جميل: هل استطاع معرفة الهدهد الذي تغيّب؟ هل كان يعرف كلّ الهداهد في الدّنيا، وكم عددهم ليتبيّن له غياب أحدهم؟

أحمد: لا ندري ذلك أليس هذا من المبهمات، وعلى العموم يمكننا تمييز كلّ طير ألا تجد ذلك للطّيور التي نقتنيها بالقفص، ألم نسمّ كلّ طير باسم... صحيح لا نفهم لغتهم لكن أليس إن ناديته باسمه يبدأ بالزّقزقة، المهمّ إنّنا عرفنا أنّ الهدهد غائب أليس هذا هو المقصود؟

الأمّ: أصبت يا أحمد، فعلاً، ولولا أنّه من المبهمات لسألنا سؤال جميل نفسه وأظنّ سامي لديه سؤال أليس كذلك؟؟

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٢٦.

سامي: نعم، سؤالي هو كالتّالي: لِمَ الهدهد في الجيش؟ وما وجه أهمّيّته عند سيّدنا سليمان عليه السلام؟

الأمّ: لا همّ لدينا معرفة السّبب في وجوده مع جند سليمان عليه السلام، إنما المهمّ هو ما سيفعله الهدهد لاحقاً كما سنرى...

بعد فترة عاد الهدهد ومعه الخبر اليقين، ودخل على سليمان عليه السلام ليقدّم له السّلطان المبين، والعذر المقبول في غيابه: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: مكث غائباً زماناً قصيراً، لأنّه ذهب إلى مكان غير بعيد.

ولمّا دخل على سليمان عليه السلام خاطبه بجرأةٍ ووضوح وقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

جميل: يا لهذا الهدهد وجرأته؟

أحمد: بل قل إنّه ما كان خائفاً من قول ما حدث معه لعلمه بشدّة وحزم سيّدنا سليمان عليه السلام.

الأمّ: هذا ما حدث، ولعلّه سمع بتهديد سليمان عليه السلام الشّديد له، ومع هذا دخل عليه بعزّة، وخاطبه بجرأة ولم يضعف أو يذلّ أو يجبن[1].

وشاءت حكمة الله الحكيم سبحانه أن يقدِّم الهدهد خبر سبأ لسليمان عليه السلام، مع أنّ سليمان عليه السلام نبيٌّ رسول، يعلّمه الله ما يشاء، ومع أنّه وهبه ملكاً خاصّاً، وسخّر له الإنس والجنّ والطّير، ومع ذلك فهناك أشياء لم يعرفها، وأماكن لم يحط علماً بها.

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٢٨.

والأهمّ من ذلك شاء الله الحكيم أن يأتي علم سليمان عليه السلام بسبأ على يد طير، وليس على يد إنسان عاقل عالم باحث!

سامي: ألهذا غاب الهدهد عن الجيش؟

الأمّ: مهلاً لم أكمل بعد لنرى ما سيخبره عن سبأ!

أحمد: هل تعرف أين تقع سبأ جغرافيّاً؟

جميل: أنا أعرف ذلك.

الأمّ: تفضّل يا جميل قل لنا أين تقع سبأ.

جميل: تقع سبأ جنوب غرب الجزيرة العربيّة، وهي اليمن في وقتنا الحاضر، أي: أنّ الهدهد سافر من بيت المقدس إلى سبأ، أي: سافر الهدهد مسافة طويلة من بيت المقدس إلى اليمن! وكانت عاصمتها مأرب، لقد درسنا هذا في الجغرافيا...

الأمّ: بارك الله بك بنيّ جزاك الله خيراً، وفتح عليك وعلى إخوتك... يكمل سامي فتوح الرّاسخين في العلم... سرّ الجميع بسرعة البداهة التي حظي بها سامي... وشكروا الله عز وجل على هذه النّعم.

تكمل الأمّ سردها: إنّ المسافة بين بيت المقدس واليمن تقارب الألفي كيلومتر! وهي مسافة بعيدة وتفصل بينهما بقاع كثيرة: نجران وعسير والحجاز ومدين! ومع ذلك سافر الهدهد وحيداً من بيت المقدس إلى اليمن!! فماذا قال الهدهد؟؟

الأب: هلّا نسلّط الضّوء على قول الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾؟

الأمّ: نعم، لِمَ لا؟ فمكث غير بعيد: هي الدّالّة على سفر الهدهد إلى اليمن هي معجزة ربّانيّة في قطع الهدهد المسافة بين بيت المقدس وبين سبأ، ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ، أي: إنّ الله هو الذي جعله يقطعها، وهو الذي طوى له المكان والطّريق، وجعله يجتازها في فترة زمنيّة قصيرة،

ويعود في فترة زمنيّة يسيرة ـ وبهذه المعجزة الرّبانيّة ـ صارت اليمن قريبة من بيت المقدس[1].

الجدّ: وأنا سأدلو بدلوي لهذه المعجزة الرّبّانيّة... ألم يسخّر الله ﷻ الرّيحَ لسليمان عليه السلام، غدوّها شهر، ورواحها شهر، أي: أنّها كانت تقطع مسيرة شهرين في يومٍ واحد، وقد يكون لهذه الرّيح العاصفة السّريعة دورٌ في حمل الهدهد إلى اليمن ثمّ إعادته إلى بيت المقدس[2]!!

الأمّ: لِمَ لا؟ والله أعلم بذلك...

المهمّ هو ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ دالّة على الزّمن اليسير الذي اجتاز به المسافة بين بيت المقدس واليمن.

أمّا تقرير الهدهد فسنترك أحمد يتلو علينا الآيات من سورة النّمل، ونتدبّر معانيها.

أحمد: وبعد أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٣ ـ ٢٦].

الجدّ والجدّة: لا فضّ فوك بنيّ ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله... تعقّب الأمّ على كلام الجدّ والجدّة فتقول: الذّرّيّة الصّالحة من الابن الصّالح، فلا حرمنا الله من دعائكما دوماً، والرّضى عن أبي أحمد جزاكم الله خيراً، وأطال عمركما في طاعته.

يقول أبو أحمد: حان دوري في شرح هذه الآيات وتقرير الهدهد

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٢٩ بتصرف.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٣٠.

منظّم منسَّق متكامل، عرض فيه خلاصة واقع سبأ ثمّ عقَّبَ عليه تعقيباً، يرفض فيه ما هم عليه من ضلال.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾: أي كان نظام دولة سبأ ملكيّاً، وفي ذلك الوقت كانت ملكتُهم امرأة، وشاهد الهدهد تلك المرأة الملكة.

سامي: هل لها اسم؟

أبو أحمد: لا لم يذكر اسمها في القرآن ولا السّنّة وكلمة «امرأة» في الآية نكرة، وهذا التّنكير للإبهام، حيث لم يذكر القرآن اسمَ هذه الملكة، كما لم يرد اسمها في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾: أمعن الهدهد الباحث نظره في أحوال الملكة وفي مظاهر ملكها، فوجد عندها الكثير، ولهذا قال: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾: أي أوتيت من كلِّ شيء من متاع الدّنيا، ممّا يحتاج إليه الملك في ملكه، ويؤدّي إلى تقوية الملك ومتانته.

وهذا يدلّ على أنّ ملكة سبأ كانت قويّة غنيّة مزدهرة في ذلك الوقت، تتمتّع بالكثير من مظاهر الخير والرّفاه، والأهمّ ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾: أي من مظاهر اهتمام الهدهد بالنّحت، ودقّة نظره، ملاحظته عرش ملكة سبأ، ووقوفه على عظمته وضخامته[1]...

وبعدما لخَّص الهدهد واقع المملكة، انتقل إلى الحديث عن دين سكانها، فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤].

والضّمير (ها) يعود إلى الملكة، أي: وجدت ملكة سبأ وقومها يسجدون للشّمس من دون الله، فالقوم كانوا كفّاراً مشركين باللّه يتّخذون الشّمس إلهاً، يؤلّهونها ويعبدونها ويسجدون لها، ولا يؤلّهون الله ولا يسجدون له[2].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٣١.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٣٢.

أحمد: إنّ هذا الهدهد بلغ ذكاؤه درجة يعرف بها كيف يجذب انتباه مَلِكِهِ ويطفيء غضبه، بل ينسى غضبه هذا ويجعله مقبلاً عليه ومتحمساً لكلامه، وأكثر من هذا يستطيع تحويل غضبه إلى الملكة الكافرة العابدة للشّمس مع قومها.

مفاجأة المفاجآت بالنّسبة لسليمان عليه السلام، امرأةٌ تحكم مملكة عظيمة مثل سبأ! لم نعلم في تاريخ البشريّة ـ حتّى ذلك الوقت، أنّ امرأة تولّت الحكم، ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذا كناية عن سعة وعظمة ملكها وثرائها وتوافر أسباب الحضارة والقوّة والمتاع، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، أي: سرير ملك فخم ضخم، وبالرّغم من كلّ هذه النّعم فإنّهم بدلاً من اعترافهم بفضل الله عليهم وشكره وعبادته، يوجّهون إخلاصهم للشّمس، ما هذا الضّلال المبين؟

سكت أحمد قليلاً ثمّ تابع: وبالرّغم من معرفة سليمان عليه السلام صدق الهدهد، فإنّه لم يتسرّع في تصديقه أو تكذيبه، بل جنح للتّروّي إيثاراً للعدل وإظهاراً للحزم.

سامي: ماذا فعل؟

أحمد: قال سليمان عليه السلام ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل: ٢٧]، أي: سنختبرك لنرى أصدقٌ هو أم كذب وسنتأكّد من ذلك.

أبو أحمد: بارك الله بك بنيّ وثبّتك بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا والآخرة.

لكن أودّ أن أعقّب أيضاً على ما قاله الهدهد لسليمان عليه السلام فتبيّن الآيات أنّ الهدهد لم يكن مجرّد جامع معلومات دقيقة، ومقدّم تقارير صحيحة ـ رغم أهمّيّة ذلك ـ إلّا أنّه كان صاحب فكر ورأي، وموقف وقرار، ودعوة وقضية، مع أنّه هدهدٌ طائر!!

لذلك شفع تقريره بتعليقِه وتعقيبه على الحادثة، وسجَّل تفاعله وتأثره بما رأى، وغيرته على الحقّ الذي تركوه، وإنكاره للباطل الذي اتّبعوه، فقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

إنّ الشّيطان هو الذي زيّن لقوم سبأ الكفّار أعمالهم السّيّئة، وأراهم إيّاها حسنة، فتفاعلوا بها وصدّهم بذلك عن سبيل الحقّ، وساروا في طريق الباطل، والنّتيجة أنّهم لا يهتدون، لأنّهم لا يريدون أن يهتدوا، لاختيارهم الكفر والضّلال، وسنّة الله أَنَّ من اختار الضّلال فإنّ الله لا يهديه[1].

أبو أحمد: وبعدها يأتي الحديث عن تصديق أو تكذيب الهدهد... تفضّل أكمل الآن...

أحمد: كما قلنا سابقاً قول الله تعالى: ﴿۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٧ ـ ٢٨].

سامي: ما هو عمل هذا الهدهد بالضّبط، هل هو داعية إلى اللّه؟ أم هو جنديّ في جيش سليمان عليه السلام أم هو ساعي بريد؟

ضحك الجميع لهذه الطّرفة، وقال الأب: إنّ الله كرّم الإنسان على جميع المخلوقات، وسخّر له ما في الأرض من أشياء وحيوانات، ليؤدّي دوره في الخلافة، فهل يعبدالله حقّ عبادته ، ويطيعه فيما استخلفه واسترعاه في الأرض بشكل كامل، وعلى الإنسان أن يكون متعدّد الاهتمامات ليفيد مجتمعه بشكل أفضل، وليؤدّي خلافته على أتمّ وجه.

أحمد يكمل الحديث الذي وصل إليه فقال: ما كاد سيّدنا

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٣٢ ـ ٥٣٣.

سليمان عليه السلام يأمر الهدهد بحمل الرّسالة، حتّى انطلق هذا الطّائر ونفّذ الأمر، وانتظر يرقب ردّ فعل الملكة فإذا هي قد استدعت وجهاء قومها ومساعديها ومستشاريها، لتخبرهم برسالة سليمان وتستشيرهم فيما يجب عليها فعله ولمّا قالوا لها إنّهم سينفّذون أوامرها وإنّها تستطيع فعل ما تريد، أبت قولهم وأصرّت أن يعطوها رأيهم بوضوح، ثمّ قرأت الرّسالة ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣١].

صحيح أنّ الملكة ـ التي لم يذكر القرآن اسمها، ولا ورد في حديث صريح ـ استشارت كبار رجال دولتها ولكن لم تكن مُلْزَمَةً بإطاعة رأيهم، كانت تسمع بهذا الملك الذي أوتي أشياء لم يؤتَها غيرُه، ويبدو أنّه كان رجلاً غَزَّاءً مشهوراً بأنّه لا يُهْزَم، لهذا تردَّدت في الاستعلاء عليه وإظهار غضبها من هذه اللهجة المتعالية، وبادرت بوصف الكتاب بأنّه كريم، ولأنّها لم تكن مستعدَّة لتتّخذ قراراً تُلام عليه فيما بعد، قالت لهم: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾.

فقالوا عندئذٍ: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣١].

جميل: إنّها ملكة ذكيّة جدّاً، تعرف كيف تتّخذ قرارها بنفسها، وهي توهم كبار رجال دولتها بأنّهم يشاركونها القرار!!!

الجدّة: هي تريد المحافظة على احترام شعبها وطاعته لها بإبداء احترامها لزعمائه، وهذا ليس عيباً، ثمّ إنّها لم ترفض قرارهم بالحرب ولكن لا بأس من إرجاء ذلك حتّى تعلم حقيقة التّهديد الذي وجّهه صاحب الرسالة. فإن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه.

جميل: الآيات التي تليت منذ قليل والتي جاءت عن ذكر الكتاب لم تقل اقتراح الملكة؟

الجد: لقد ذكره ابن عباس في شرح هذه الآية ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٦ ـ ٣٧].

أحمد: هذا ما حصل. لقد اختارت هذه الملكة الهدايا وأرسلتها إلى سليمان عليه السلام رسالة ثانية يتهدّدها فيها بالحرب ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: ٣٦ ـ ٣٧].

سامي: وهل شنّ سليمان عليه السلام عليها الحرب فعلاً؟

أحمد: لا، فهي قد تأكّدت أنّه نبيّ من أنبياء الله لأنه لم يقبل الهدية، وهذا ما كانت تنتظر معرفته، فبادرت بالذّهاب إليه بنفسها مع رجال دولتها جميعاً ليعلنوا إسلامهم وخضوعهم.

لا ندري كيف دارت المشاورات بينهم والاستعدادات للزّيارة، فالقرآن الكريم لا يذكر هذا، فهو لا قيمة له، ولكنّ المذكور هو المفاجأة التي أراد سليمان عليه السلام إعدادها لملكة سبأ، لقد سمع بفخامة عرشها وضخامته، فقرّر أن يجلب العرش إلى مجلسه ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

جميل: لماذا أمر سليمان عليه السلام بإحضار العرش قبل أن يعلن القوم إسلامهم؟ أأراد سليمان عليه السلام بجلب العرش الشهير أن يفاجئ الملكة؟؟

أحمد: والله أعلم أراد سيّدنا سليمان عليه السلام أن يُظْهِر لها أنّ قدرته وقوّته من عند الله وليست كقوى البشر والجنّ، كما كره سيّدنا

سليمان عليه السلام أخذ العرش بعد إسلام القوم لأنّه يعلم أنّهم متى أسلموا تحرم عليه أموالهم ودماؤهم، وهذا كذلك ما أقرّه سيّدنا محمّد ﷺ في حجّة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»(١).

جميل: إنّ الله سبحانه وتعالى آتى سيّدنا سليمان ما لم يؤت أحداً من العالمين، فهو لم يكن محتاجاً للعرش، فلماذا إذاً أمر بإحضاره؟

أحمد: لقد أراد الله بذلك إظهار مدى عظمة الله تعالى الذي منح سليمان عليه السلام كلّ شيء، ليتّخذه سليمان عليه السلام دليلاً على نبوّته عند ملكة سبأ وقومها لأنّ هذا الأمر هو من معجزات الله عزّ وجلّ، القدرة على إحضار عرشها كما هو من بلادها قبل أن يقوم القوم عليه، بالرّغم من أنّها حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة)(٢).

الجدّ: بارك الله بكما من حوار مبسّط لتصل المعلومة الصّحيحة من غير زيادة ولا نقصان، ولكن كما اعتدتم عليّ سأزيد بعض المعاني المهمّة قبل الحديث عمّن سيأتي بعرشها إلى سليمان عليه السلام هل لاحظتم في جميع الآيات ومع جميع الأنبياء التي درستموها حتّى هذه السّاعة، أن أمر الله عزّ وجلّ هو دعوة جميع الأنبياء إلى الاستسلام لمنهج الله عزّ وجلّ حينما قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠] واللّطيف في دعوة سليمان عليه السلام لهم أنّه يدعوهم إلى الإسلام.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم (١٢١٨).
(٢) تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، ص٣٤١.

ولا يستغربنّ أحدٌ هذه الدّعوة فقد يُشكلُ الأمر ويلتبسُ على بعضهم، لأنّ سليمان عليه السلام هو من بني إسرائيل، يحكم بني إسرائيل بالتّوراة والزّبور، وقد عاش ومات قبل الإسلام الذي جاء به محمّد ﷺ، فكيف تصرّح الآية بأنّه يدعوهم إلى الإسلام؟

من هنا نتعرّف على أنّ الإسلام هو دين كلّ نبيٍّ من الأنبياء، وخلاصة دعوة كلّ رسول، فكلّ نبيّ جاء بالإسلام، الإسلام بمعناه العامّ[1].

يعقّب أبو أحمد على كلام والده ويقول: نعم درسنا هذا سابقاً، وسأعيد بعض المعاني فبالتّكرار تثبت المعلومة للكبار قبل الصّغار.

إنّ الإسلام له ثلاثة معانٍ في القرآن:

الأوّل: الإسلام بالمعنى العامّ وهو دين كلّ المخلوقات الحيّة وغير الحيّة، فكلّ ما في الوجود «مسلم»، أي: مستسلم خاضع منقاد للّه، وعلى هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

ومعنى أسلم له من في السّماوات والأرض: كلّ مخلوقٍ في السّماوات والأرض أسلم واستسلم وخضع وانقاد إلى الله.

الثّاني: الإسلام بالمعنى التّاريخيّ: وهو دين كلّ نبيّ ورسول، فكلّ نبيّ مسلم، وجاء بالإسلام، ودعا النّاس إلى الإسلام، وأتباعه يسمّون «المسلمين».

هو عنوان كلّ دين ورسالة لأنَّ هدفَ كلِّ رسول خضوع النّاس للّه، وخلاصة كلّ دين هي استسلام النّاس للّه، وهذه هي روح الإسلام.

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٣٨ ـ ٥٣٩.

نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢].

الثّالث: الإسلام بمعناه الخاصّ: وهو دين الإسلام وشريعتُه، الذي جاء به محمّد ﷺ، خاتمُ الأنبياء والمرسلين، والذي انتهت إليه رسالات كلّ الرّسل، والذي نسخ الله بها الشّرائع السّابقة، وطالب النّاس جميعاً أن يعتنقوه، وأخبرَ أنّه هو الدّين الوحيد المقبول عند الله، وأنّ من لم يعتنقه فهو كافر.

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

بعد هذا التّلخيص الموجز لمعنى «الإسلام» في السّياق القرآنيّ، نعرف أنّ سليمان عليه السلام جاء بالإسلام ـ بمعناه التّاريخيّ العامّ ـ وأنّ دينه هو الإسلام، وأنّ دعوته هي دعوةٌ إلى الإسلام، وأنّ هدفه هو استسلام النّاس وخضوعهم وانقيادهم لمنهج الله تعالى.

ولهذا أوجز في كتابه إلى قوم سبأ طالباً منهم الدّخول في الإسلام، وقال لهم: ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ واللّطيف أنَّ سليمان عليه السلام جمع في كتابه بين النّهي والأمر حيث نَهاهم عن الاستكبار والاستعلاء والعناد: ﴿لَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ثمّ أمرهم بالدّخول في الإسلام[1].

الجدّ: جزاك الله خيراً يا ولدي أن وضّحت معلومة معنى الإسلام التي لا يفقهها معظم أهل الأرض لذا تجدهم دوماً يعدّون ويقولون دين

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٣٩ ـ ٥٤٠.

كذا ودين كذا... ولا يقولون إنّ الدّين الأوحد المنزل عند الله هو الإسلام. الداعي إلى الاستسلام لمنهج الله في عبادته.

الجميع بصوت واحد: لا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم...

الأمّ: وأنا هنا أريد شرح الآيات السابقة ومن سيأتي بهذا الصّرح العظيم، ومن سيحضر له عرش ملكة سبأ.

سأل سيّدنا سليمان عليه السلام رعيّته من يحضر لي عرشها قبل أن تأتي إليه مسلمة طائعة؟ فأجابه عفريت من جنده الجنّ أنّه يستطيع أن يذهب إلى اليمن ويحمل العرش ويأتي به إليه قبل أن يقوم من مجلسه، أي خلال فترة جلسته، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل: ٣٩] واستكثر سيّدنا سليمان عليه السلام الوقت واستطوله، فقال رجل مؤمن صالح عالم بالكتاب قد أنعم الله عليه بإجابة الدّعاء، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ [النمل: ٤٠].

قال لسليمان عليه السلام: أستطيع أن آتيك بعرشها قبل أن يرتدّ إليك طرفك[1].

فمعنى قبل أن يرتدّ طرفك: والطّرف هو تحريك جفن العين، ومعناه: امدد بصرك، وانظر إلى شيء بعيد، يصله نظرك، ومدّ طرفك إليه، فإنّه لا يرتدّ إليك طرفك، إلّا وعرشها حاضر عندك، موجود بين يديك!!

وحتّى لا نخوض في المبهمات فلا همّ لدينا كيف جاؤوا بالعرش ولكنّ الهدف الأساسيّ هو أن يري الملكة آية ربّانيّة باهرة، تدلُّ على أنّ الله معه يمنحه من القوّة والتّمكين والتّأييد الكثير[2].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٥٢ ـ ٥٥٣ بتصرف.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٤٩.

فنترك المبهمات جميعها ونتوقّف عند رؤية سليمان عليه السلام عرش ملكة سبأ أمامه فماذا قال؟

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أقبل سليمان عليه السلام على الله حامداً شاكراً، واعتبر إحضار العرش فضلاً من الله عليه، يضاف إلى أفضاله الكثيرة، ونعمةً من الله عليه تضاف إلى نعمه الغامرة.

وما سليمان عليه السلام إلّا عبدٌ شاكرٌ ذاكرٌ للّه، منيب أوّاهٌ أوّابٌ إليه، وهذا الموقف يظهر اختلاف موقف النّاس من نعم الله، فمنهم من يشكر الله عليها، ومنهم من يكفر بها ويجحدها[1].

الجدّ: سبحان الله، سبحان من لا تنفعه طاعة ولا تضرّه معصية... يعقّب الجدّ على كلام أمّ أحمد فيقول: إنّ سيّدنا سليمان عليه السلام بيّن في هذه المناسبة غنى الله عن عباده، فالشّاكر لا ينفع الله بشكره، والجاحد لا يضرّ الله بجحوده، فأثر الشّكر الطّيّب يعود على صاحبه، وهو بذلك يشكر لنفسه، وأثر الجحود السّيّئ يعود على صاحبه، وهو الذي يخسر.

أمّا الله، فإنّه غنيّ كريم، غنيّ عن شكر الشّاكرين، كريم لا يضرّه كفر الكافرين.

وهذه حقيقة إيمانيّة عقائديّة جاء بها جميع الأنبياء والرّسل، وقرّروها بوضوح تامّ.

وبيّنها لنا رسول الله ﷺ بألفاظه، فيما يرويه عن ربّه، فقد روى مسلم والتّرمذيّ وغيرُهما عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، فيما

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٥٦.

يرويه عن ربّه، أنّه قال: «يا عبادي: إنّي حرّمت الظّلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا.

يا عبادي: كلّكم ضالٌّ إلّا من هديتُه، فاستهدوني أهْدِكم.

يا عبادي: كلّكم جائع إلّا من أطعمته فاستطعموني أُطْعِمْكم.

يا عبادي: كلّكم عارٍ إلّا من كسوته، فاستكسوني أَكْسُكُم.

يا عبادي: إنّكم تخطئون بالليل والنّهار، وأنا أغفر الذّنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي: إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي: لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجل واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي: لو أنّ أوّلكم وآخرَكُم وإنسكم وجنّكُم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي: لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك ممّا عندي إلّا كما ينقص المخيطُ إذا أدخل البحر.

يا عبادي: إنّما هي أعمالكم، أحصيها لكم، ثمّ أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلوَمنّ إلّا نفسه»[1].

الجميع بصوت واحد... لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٧)، ورواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم (٢٤٩٥)، وانظر شرح الحديث في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، الجزء الثاني، الحديث رقم (٢٤).

تتابع أمّ أحمد بعد هذه المداخلة القيّمة من الجدّ فتقول: لقد وصل العرش ووضع بين يديّ سليمان عليه السلام. أراد أن يمتحن ملكة سبأ، فطلب من أتباعه بتغيير معالمه، ولمّا وصلت الملكة ودخلت على سليمان مجلسه شاهدت عرشها عنده، فوقفت مذهولة تنظر وهي لا تكاد تصدّق ما تراه عيناها ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النمل: ٤٢]. لم تستطع الادّعاء بأنّه عرشها، لقد تركته في بلادها في مكان حريز، ووضعت عليه حرّاساً أمناء!!!

أراد سليمان أن يزيد من قناعة ملكة سبأ بنبوّته وبالنّعم التي أنعمها الله عليه، فطلب منها الدّخول إلى صرح ممرّد من الزّجاج كان قد أمر الجنَّ ببنائه أثناء سفره وإقامته في الصّحراء وأجرى تحته الماء؛ فمن لا يعرف حقيقة البناء يحسبه بحراً، وهذا ما كان من أمر ملكة سبأ التي لم ترَ مثل هذا الشّيء قطّ، فحضارة بلادها العظيمة لم تكن قد وصلت إلى هذا الحدّ. عندئذ علمت أنّ سيّدنا سليمان مؤيَّدٌ من الله بما لا طاقة لبشر عليه فاستغفرت الله وأعلنت توبتها من الشّرك وإسلامها.

ما كادت ملكة سبأ تطأ أرض الصّرح حتّى حسبته بحراً فكشفت عن ساقيها لئلّا تبتلّ ثيابها، فنبّهها سليمان عندئذٍ على حقيقة الماء ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

سامي: لقد ورد في كلامك عدّة مرّات ذكر الجنّ، فهل هو موجود حقاً؟ كثيرون يقولون لا ينبغي لنا، وقد صرنا في القرن الحادي والعشرين، وقد بلغ العلم أقصى تطوّره، لا ينبغي أن يبقى تفكيرنا متأخّراً، فنؤمن بالخرافات التي كان يؤمن بها آباؤنا المتأخّرون، فلا وجود للجنّ والشّياطين.

أمّ أحمد: لا تقل هذا؟ فالإيمان بالجنّ من الأمور المعلومة من الدّين بالضّرورة، وعدم الإيمان بهم يؤدّي إلى الكفر وإنّ في القرآن الكريم سورةً كاملة تحمل اسم الجنّ، فهل كتاب الله يروي الخرافات؟ حاشا للّه. لقد خلق الله الإنسان وخلق قبله الجنّ، وقبلهم خلق الملائكة، وكما تعلمون فقد خلق الإنسان من طين الأرض، وهذا شرحناه في قصّة خلق آدم، والملائكة خلقت من نور، أمّا الجنّ فقد خلقه الله من مارج من نار ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمٰن: ١٤ ـ ١٥].

سامي: وما هو المارج؟

الأمّ: المارج هو اللهب الصّافي...

إذاً الجنّ هو مخلوقات ناريّة، قابلة للتّشكّل وتغيير صورها، قابلة لأن تكون مرئيّة ولكنّها في أغلب الأحيان خفيّة عن الأنظار لهذا سمّيت (الجنّ)، وقد ذكر قصّة تشكّلهم سيّدنا عمر بن الخطاب ﷺ إنّ أحداً لا يستطيع أن يتحوّل عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتُم ذلك فأذّنوا»[1].

سامي: الجنّ مخلوقات غير منظورة، والملائكة مخلوقات غير منظورة، ومع هذا فكلّ منهما يتجسّم ويواجه الإنسان ويتعامل معه. فما الفرق بينهما إذاً؟

الأب: أحسنت، لقد استطعت ربط المعلومات في رأسك لمعرفة وجه الشّبه بين الملائكة والجنّ، أمّا وجوه الاختلاف فمتعدّدة، وهي (وصار يعدّ على أصابعه):

١ ـ الملائكة مجبولون على طاعة الله، والقيام بأوامره وتسبيحه

(١) فتح الباري ٦/٣٤٤.

وتحميده، أمّا الجنّ فهم كالبشر، منهم المطيع ومنهم العاصي، ومنهم المسلم والكافر ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٤ ـ ١٥].

٢ ـ الملائكة جميعهم يمثّلون جانب الخير والفلاح والصّلاح، ويتّجهون إلى عبادة الله، وهداية الإنسان وحفظه، ودعاء الله بالمغفرة. أمّا الشّياطين ـ فهم المتمرّدون من كفرة الجنّ ـ فإنّهم يمثّلون جانب الشّرّ والفساد، ويزيّنون للنّاس المعاصي والشّهوات، ويوسوسون لهم، ويوقعونهم في الشّرور والآثام[1].

جميل: وهل من وجوه مشتركة بين الجنّ النّاريّ والإنس التّرابيّ؟

الأب: بالطبع فكلّ المخلوقات الحيّة، ذوات الأرواح لا بدّ وأن يكون بينها وجوه شبه، ووجوه اختلاف. فكيف إذن سيتمكّنون مِن التّعامل بشكل إيجابيّ أو سلبيّ، وكيف ستتمّ المقارنة بينهم أو المفاضلة إذا لم يكن هناك قواسم مشتركة وفوارق؟

أمّا الفوارق فهي في طبيعة خلقهم، فالإنس ـ كما تعلمون ـ مخلوقون من طين الأرض، والجنّ مخلوقون من النّار، هذا أوّلاً.

ثانياً: الجنّ عالم غيبيّ كالملائكة، أمّا الإنس، فهم عالم مجسّم كثيف محسوس وملموس.

ثالثاً: الجنّ خلقوا قبل الإنس وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) خورشيد، شيرين، التوحيد كما أنزل على قلب رسول الله ﷺ، ص٦٣، الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٥١ في شرح معنى العفريت والفرق بينه وبين الشيطان.

رابعاً: الجنّ قادرون على التّشكّل بصور مختلفة ـ صور رجال أو بعض الحيوانات.

خامساً: الجنّ يرون الإنس ويشاهدونهم، أمّا الإنس فإنّهم لا يرون الجنّ ولا يشاهدونهم. قال تعالى عن إبليس وجنوده: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

سادساً: الجنّ قادرون على أعمال عظيمة خارقة وصناعات بديعة فائقة وأعمال شاقّة يعجز عن القيام بمثلها البشر(١).

سكت الأب قليلاً فقالت الأمّ:

سأحدّد أنا الصّفات المشتركة بين الجنّ والإنس:

١ ـ إنّهم يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون، وفيهم الذّكر والأنثى ـ كما هو حال الإنسان.

٢ ـ إنّهم مكلّفون بالشّرائع الإلهيّة، وتتناولهم الأوامر والنّواهي الشّرعيّة كما هو حال الإنس ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

٣ ـ إنّهم مشمولون بالتّحدّي مع الإنس في العجز عن معارضة المعجزات، والخروج من أقطار الأرض والسّماوات ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

٤ ـ الجنّ أصناف متنوّعة فمنهم المسلم ومنهم الكافر، ومنهم الصّالح ومنهم الطّالح... كما هو في الإنس...

٥ ـ إنّهم يُحشرون يوم القيامة فيحاسبون على أعمالهم فيثابون

(١) خورشيد، شيرين، السحر بين الحقيقة والخيال، ص٣٠ ـ ٣١.

ويعاقبون ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٩].

انطلقت ألسنة الجميع بالتّسبيح والتّهليل.

سامي: ولكن! ما دام الجنّ مخلوقون من نار، فكيف يحرقون بالنّار؟

الجدّ: ألم يخلق الله الإنسان من طين؟ فماذا يحدث لو وقع أو غرق في الطّين؟ ألم يجعل الله من الماء كلّ شيء حيّ، فهل يستطيع الإنسان أو الحيوانات البرّيّة العيش في الماء؟

سامي: هذا صحيح.

أحمد: فلنعد إلى قصّة سيّدنا سليمان وكيف كانت علاقته بالجنّ، وما الحكمة من إخبار الله لنا بتسليطه سليمان عليهم. لقد كان سيّدنا سليمان مُسَلّطاً على رِقاب الجنّ يكلّفهم من الأعمال ما لا يطيقه الإنسان ولم تصل إليه حضارته، كان يكلّفهم بالغوص في البحر لاستخراج اللآلئ والكنوز المخبوءة فيه، وأعمال البناء، فبنوا له المحاريب[1] والتّماثيل والجفان[2] الكبيرة للطّعام، ويأتمرون بأمره بإذن الله. لقد كان يُرهقهم بالأعمال وكانوا قبل ذلك يعلّمون النّاس السّحر لكي يؤذوا به بعضهم ويكفروا بأنعم الله ﴿وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) المحاريب: جمع محراب، أرفع مكان في المسجد.

(٢) الجفان: أواني الطعام.

جميل: كانوا يصنعون له تماثيل؟! أليست هذه محرّمة؟ كيف يطلب منهم فعل ما قد حرّم اللّه؟

أحمد: التّماثيل حرّمت على المسلمين، ولم تكن محرّمة من قبلهم.

جميل: هل هذا يعني أنّه لا يجوز للمسلم اليوم اقتناء التّماثيل وصنعها، ويجوز لغيره؟

الأب: سؤال مهمّ. يجب أن تعلم أنّ الشّريعة الإلهيّة الجديدة تنسخ ما قبلها من شرائع. هذا يعني أن الشّريعة المحمّديّة نسخت الشّريعتين الموسويّة والعيسويّة، وصار حكمها سارياً على الجميع ـ وإن لم يؤمنوا بها. فالحكم قد صدر على الجميع، وأصبح واجباً عليهم الإيمان بالدّين الصّحيح الذي هو الدّين الخاتم، لأنّه هو الذي أكمل الله ﷻ به نعمته على النّاس ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد ذكرنا سابقاً ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وحدّدنا الفرق بين الدّين والشّريعة، والدّين الإسلاميّ سارٍ حكمه في كلّ زمان ومكان.

هزّ جميل وسامي رأسيهما إيجاباً.

أحمد: أمّا الحكمة من تسليط سيّدنا سليمان على الجنّ فلكي يعلّم النّاس أنّ هؤلاء مخلوقات ضعيفة ليس لها سلطان على البشر، ولا علم لها إلّا ما علّمها الله إياه، وذاك أقلّ بكثير ممّا علّمه لآدم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾.

سامي: لماذا كرّم الله ﷻ داوود وسليمان عليهما السّلام بهذا الشّكل؟

الأب: إنّ الله ﷻ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]. إنّ داوود عليه السلام كان يتغنى بأناشيد التّوراة، أي ما يسمّى مزامير

داوود، فتغنّي معه الطّير والشّجر والجبال، وخلّص بني قومه من الجبّار جالوت، وكان من قوم صابرين، وكان يصنع لهم الدّروع ليقاتلوا الكافرين وكان دائم الشّكر للّه، أمّا سليمان فقد كان عليه السلام أوّاباً ذاكراً شاكراً لأنعم الله، غَزّاءً في سبيل الله، وكان سريع الرّجوع إلى نفسه يذكّرها بوجوب الشّكر لفضل ربّه. فلمّا سمع مقالة النّملة قال: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وعندما رأى عرش ملكة سبأ بين يديه قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ولما قدّر الله سبحانه وتعالى الفتنة على سليمان، أناب وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

فلمّا أدّى سليمان ما عليه من الطّاعة والشّكر والاستغفار أعطاه الله سبحانه وتعالى ما أراد ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٣٩ ـ ٤٠].

جميل: ولكنّ بني إسرائيل لم يكونوا شاكرين، بل كانوا يتهاونون دوماً بأوامر الله ويتقاعسون عن الرّضوخ لها. فلماذا كرّمهم الله هكذا وتفضّل عليهم؟

الأب: إنّ الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. ثمّ إنّه وعد الصّابرين والمتّقين خيراً كثيراً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فالصّبر هو حبس النّفس عن المعاصي وعن الجزع وحبس اللسان عن الشّكوى واحتمال المكروه دون جزع، والمصابرة هي المغالبة في الصّبر، وبنو إسرائيل الذين كانوا في زمن داوود وسليمان هم من الفئة القليلة الصّابرة التي استجابت لأوامر نبيّهم الذي حذّرهم من الشّرب من ماء النّهر ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾، فلم يقتربوا منه ولم يغترفوا غرفة منه، ثمّ قالوا لرفاقهم المتخاذلين ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وابتهلوا إلى ربّهم بقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ [البقرة: ٢٥٠].

لأنّهم آمنوا باللّه حين أرسل إليهم الأنبياء واتّقوا وتمسّكوا بالصّبر وتوجّهوا إلى ربّهم بإخلاص، كان ثوابهم العزّ والملك والسّلطان والبركة في الأبناء.

الجدّة: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ سبحان الله، هذا حقّ، وهذا ما كان يحصل دوماً بين المؤمنين برسالة سيّدنا محمّد ﷺ، فقد كانوا ينتصرون على الكفّار رغم أنّهم قليلون في أعدادهم. ففي معركة بدر كان عدد المسلمين ثلاثمئة بينما كان عدد الكفّار والمشركين ألفاً.

تابع أحمد سرده فقال: بعد هذه الحياة المديدة التي عاشها سيّدنا سليمان عليه السلام نبيّاً ورسولاً وملكاً على الإنس والجنّ توفي، وقد ذكرت قصّة وفاته.

فقد جعل الله موت سليمان عبرة ودرساً، ففي القرآن إشارة مبهمة إلى موت سليمان عليه السلام، وهي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾ [سبأ: ١٤].

ولا يوجد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، يزيل ما في الآية من إبهام، أو يقدّم إضافات تفصّل كيفيّةِ موته، لذلك لن نخوض سوى في تفسير هذه الآيات، كان سليمان عليه السلام متّكئاً على عصاه، وكان الجنّ مقبلين على أعمالهم، منهمكين فيها، وأرسل الله ملك الموت لقبض روحه، ففاضت وهو متّكئٌ على عصاه، وبقي الجنُّ مقبلين على العمل،

على اعتبار أنّ سليمان متّكىءٌ على عصاه مراقب لهم وأرسل الله ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ إلى عصا سليمان عليه السلام، وهي «الأرضة» المعروفة بأكل الأخشاب، وصارت هذه الدّابّة تأكل العصا من الدّاخل وتنخرها، فلمّا نُخِرت العصا لم تحمل جسم سليمان عليه السلام المتوفّي، فانكسرت وخرّ جسد سليمان عليه السلام على الأرض!

الأب: إذن كان الهدف هو معرفتنا أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب، ولو عرفوا بموته ساعة موته ما لبثوا هذه السّاعات والأيّام في العذاب المهين الشّاقّ المتعب ولتركوا ذلك العمل، وذهبوا إلى الرّاحة.

وبعدما تبيّن لرجال الدّولة وفاة سليمان عليه السلام دفنوه مكان وفاته، لأنّ كلّ نبيّ يدفن حيث مات ولا نعرف عمر سليمان عليه السلام عندما مات كما لا نعرف مقدار سنوات حكمه، ملكاً وخليفة على بني إسرائيل[1].

الجميع بصوت واحد إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الجدّ: وحان الآن موعد نهاية قصّة سليمان عليه السلام، بوفاة سليمان عليه السلام انتهى العصر الذّهبيُّ المشرق لبني إسرائيل، المتمثل في دولتهم القويّة وخلافتهم الإيمانيّة.

بدأت الدّولة على يد ملكهم المؤمن «طالوت»، ثمّ قويت وتمكَّنَتْ على عهد النّبيّ الملك والخليفة الرّسول داوود عليه السلام، ثمّ توسَّعت الدّولةُ وامتدّت وترسّخت واستقرّت على يد النّبيّ الملك والخليفة الرّسول سليمان عليه السلام.

وكانت دولة إسلاميّة، وخلافة إيمانيّة، روحها المسجد الأقصى ـ الذي بناه ـ أو جدّد بناءه ـ سيّدنا سليمان عليه السلام في مقرّ خِلافَتِهِ بيت المقدس. ووصلت الدّولة الإيمانيّة في عهد سليمان إلى اليمن، حيث أسلم قوم سبأ، وانضمّوا مع ملكتهم مسلمين، وصاروا جزءاً من هذه الدّولة.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٧٥.

وكان من رعايا دولة سليمان الإسلاميّة: الجنّ والشّياطين والطّير.

ولهذا وصلت هذه الدّولة أوجَها وذروتها في عهد سليمان عليه السلام.

ولم تخبرنا مصادرنا الإسلاميّة، عمّن استلم الحكم بعد سليمان عليه السلام، ولا عمّا حَلَّ بالدّولة من بعده.

كلّ ما نعرفه من التّاريخ أنّ أمْرَ قوّةِ ورفعةِ الدّولة لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما دبّت فيها الفرقة والاختلاف، فانفصلت سبأ عن الدّولة، ثمّ زاد الاختلاف حتّى انقسمت الدّولة في الأرض المقدّسة إلى أقسام، وحكمها ملوكٌ ضعفاء، ووقع اليهود في المخالفات والمعاصي، وكفروا بالله، وكذّبوا رسله، وقتلوا أنبياءَه، واتّبعوا الباطل.

وكان نتيجة ذلك أن أوقع الله بهؤلاء اليهود غضبه وعذابه، فأزال دولتهم، ودمّر كيانهم، ومكَّنَ أعداءهم منهم، فأخرجهم من الأرض المقدّسة، وشتّتهم في مختلف بقاع الأرض[1].

الجميع بارك الله بعمرك وصحتك وعافيتك يا جدّي وحفظكم المولى عزّ وجلّ، قام الجميع مسرورين بقصّة سليمان عليه السلام شبه الخياليّة ليسرحوا بخيالهم ما حدث مع سيّدنا سليمان عليه السلام.

أُعجِبَ الأولادُ بقِصّة سيّدِنا سليمانَ عليه السلام لدرجةِ أنَّ أحلامَهم صارت تدورُ حولَ الرِّحلات السُّلَيمانيّة.

لذا قرّروا متابعةَ الأحداثِ التي عاشَها بنو إسرائيلَ بعد وفاةِ النّبيِّ الملِكِ الذي أسَّس لهم دَوْلةً عظيمةً ورفَعَ منزِلتَهمُ السّياسيَّةَ والاقتصاديّةَ والدَّوْليّةَ، حتّى حكموا مِساحة من الأرضِ تمتدُّ من فِلسطينَ إلى اليمَنِ بسببِ انضمامِ مملكةِ سبأ في ملك سليمان عليه السلام بدخولِ ملِكتِها وشعبِها في دينه.

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٧٦.

وبوفاة سليمان عليه السلام انتهت فترة الحكمِ الإسلاميِّ الرّاشدِ، وبدأَ الضَّعفُ يدبُّ في الجسدِ الإسرائيليِّ.

(ضعفت دولة بني إسرائيلَ بوفاةِ سليمان عليه السلام، وانقسمت إلى دولتين مستقلّتين، وعمّت بينهما العداوةُ والحربُ والقتالُ، وسُلِّط عليهما أعداؤهما فقضَوا عليهما وأزالوا مُلْكَ وسُلطانَ بني إسرائيلَ، وهدموا المُدُنَ التي أقاموها، وسبَوا بني إسرائيل أسرى إلى بلادِ العراق، وطالَ سبيُهم هناك، وطالَ ذُلُّهم واستعبادُهم، حتّى جاء ملوكُ فارسَ إلى العراق، ورفعوا الاضطهادَ عن بني إسرائيلَ وأعادوهم إلى الأرضِ المقدّسة.

لكن الإسرائيليين لم يعودوا إليها سادةً أو ملوكاً، وإنّما عادوا أناساً عاديِّين خاضِعين لسُلطانِ اليونانِ والممالِكِ التي أقاموها في بلادِ الشّامِ، وقد أذلَّهُمُ الملوكُ التّابعونَ لليونانِ، وعرفوا ما انطَوَتْ عليه نفوسُهُم من الإفسادِ والمَكرِ والتّخريبِ، لهذا لم يرفَعوا عنهم سِياطَ الذُّلِّ والتّعذيبِ، وجاء الرّومانُ إلى بلادِ الشّام، وورثِوا عنِ اليونانِ حُكم بني إسرائيلَ وإذلالَهم واستعبادَهم)[1].

---

(١) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، **الشخصية اليهودية**، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١٠٦ ـ ١٠٧.

قبل بعثة عيسى عليه السلام، قامت سلسلة من الحروب على بني إسرائيل، فكانت فترة عصر الانفسام والزوال، بخاصة بعد وفاة سيدنا سليمان عليه السلام، وقد سطرت كتب العهد القديم ما آلوا إليه من ضياع وحروب، كان في نهايتها ما تعرضوا له من حرب البابليين في عام ٥٩٧ق.م. وسقوط أورشليم سنى ٥٨٦ق.م على يد بختنصر، حيث قام البابليون بذبح بني إسرائيل وسيق الناجون منهم أسارى إلى بابل. وحول ذلك يقول أحد الكتاب: «إن اليهود الذين سيقوا إلى بابل هم الذين وضعوا بذور فكرة التعصب العنصري لليهود، وهم أصحاب فكرة العودة إلى صهيون، وأسطورة شعب الله المختار» أما مدن بني إسرائيل فقد خرّبت تخريباً تاماً، وهدم بيت المقدس (الهيكل بزعمهم).

عاش بنو إسرائيل في بابل، وهذه الفترة من التاريخ كانت حسرة عليهم لتركهم بيت المقدس، فصاروا يقفون على الأطلال وقلوبهم في لهفة للعودة إليها. (خورشيد، سيرين لبيب، حقيقة المهدي في الشرائع الثلاث، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ط١، ص٦٧. انظر إلى هذا الكتاب لأهميته.

وبمناسبةِ حلولِ شهرِ رمضانَ المباركِ أَقفَلَتِ مدرسة الأولاد أبوابَها التي كانت فتحَتْها قبل مَوعِدِها الأصليِّ خصِّيصًا لتُقْفِل في هذا الشّهرِ المبارَك، فيتسنّى للتّلاميذِ والمعلّمين صيامُ الشّهرِ وقيامُهُ دونَ أنْ يتأثَّرَ برنامَجُهُمْ الدّراسيُّ أو يُضطَرُّوا لتمديدِ العامِ الدّراسيِّ إلى فصلِ الصّيفِ.

سُرَّ الجميعُ بهذا الإقفالِ وعاهدوا أنفُسهم على استغلالِهِ بقراءَةِ كتابِ اللّهِ الكريمِ علَّهُم يختمونَهُ ولو مرّةً واحدةً.

وهكذا كان....

عندما وصلوا في تلاوتِهم إلى (سورةِ مريمَ) في الجزءِ السّادسَ عشرَ من أجزاءِ القرآنِ الكريمِ الثّلاثينَ، وَجَدُوا أنَّ هذه السّورة تَذْكُرُ عدَّةَ أنبياء كانوا يعيشُون في زمَنٍ واحِد ومكانٍ واحدٍ، وكلُّهم أنسباءُ وأقرباءُ ذوو أرحام، وهم زكريّا ويَحيى وعيسى، وأمُّه مريمُ الصِّدِّيقَةُ عليهِم جميعاً الصّلاةُ والسّلامُ. فقالت أمُّ أحمدَ: ما رأيُكم؟ هذه مناسبةٌ جليلةٌ نحاوِل فيها تفسيرَ هذه السّورةِ، وسَرْدَ قصّةِ هؤلاء الأنبياءِ في الوقتِ نفسه.

نَظَر الأولاد لبعضِهم وقالوا: ولكنَّ هذا سيؤخِّرُنا في عمليَّةِ ختمِ القرآنِ فنخسَرَ أجراً عظيماً.

الجدُّ: هذا غيرُ حقيقيٍّ، فعندما نقرأ القرآن يُعطينا اللّهُ تعالى أجرَ القراءةِ، وعندما نتدبَّرُهُ يُثِيبنا على القراءَةِ والتّدبُّرِ، فكيف ونحن نقرأ ونفسِّرُ ونروي قَصص أنبياءِ اللّهِ وننظُرُ ما إذا كان هناك أحكامٌ؟... وقد أُمِرنا بتدبُّرِ القرآنِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد: ٢٤]، كما أمَرَنا بتلاوتِهِ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

وافقوا على هذا الاقتراحِ وقد ازدادتْ شَهِيَّتهُم لنَيْلِ الأجورِ الكثيرةِ مِنْ ربِّ العالَمين. وهذا لَيْسَ عيباً، فالمُؤمِنْ يسعى دوماً للحصولِ على رضا اللّهِ وثوابِه، وهذا لا يُعَدّ طمعاً ولا شراهَةً!!

قرأ أحمد بصوت معتدل بعد التّعوُّذِ والبسملةِ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١].

جميل: نعلم أنَّ هذه الحروفَ المقطَّعةَ لم يستطِعْ أحدٌ الوصولَ لمعناها المرادِ، فأَوْكَلَ الجميعُ علمَها إلى اللّهِ سبحانَه وتعالى.

الأبُ (يتابعُ التّلاوةَ): ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٢ ـ ٦].

الأمّ: هكذا بدأ اللّهُ سبحانَه وتعالى سيرَةَ سيّدِنا زكريّا في كتابِهِ الكريم. لقد أوردها في هذه السّورة بسبَبِ العَلاقةِ المتينةِ التي كانت تربِطُهُ بالسّيّدةِ مريمَ بنتِ عمرانَ رضي الله عنها.

سامي: السّيّدةُ مريمُ بنتُ عمران، أي (مريم العذراء)؟

الأمّ: أجل، وهي أمُّ سيّدِنا عيسى عليهما السّلام التي أكرمَها اللّهُ إكراماً لا مثيل له!!

فقد بُعث سيّدنا زكريا ويحيى عليهما السّلام على بني إسرائيل وهما آخر أنبياء بني إسرائيل، ولم يأت بعدهما نبيٌّ لبني إسرائيل إلّا عيسى عليه السلام.

وتتداخل قصّة زكريّا ويحيى عليهما السّلام في القرآن، بحيث لا يمكن الفصل بينهما، كما تشترك قصّتهما مع قصّة مريم وابنها عيسى عليهما السّلام، لما بين الجميع من القرابة العائليّة، والاشتراك في وقوع الأحداث.

وسنتكلم هنا عن زكريّا ويحيى إن شاء الله، وعندما يمرّ بنا حديث عن مريم وعيسى عليهما السّلام سنؤخّره إلى قصّة عيسى عليه السلام.

الأب: حان دوري لذكر كم ورد اسمهما في القرآن الكريم، قبل إتمام شرح السّورة، ورد اسم زكريّا عليه السلام سبع مرّات في القرآن.

ـ ورد في سورة الأنعام ضمن أسماء مجموعة من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٥].

ـ وأشارت سورة الأنبياء إلى دعاء زكريّا عليه السلام أن يرزقه الله ولداً، واستجابة الله له، حيث أصلح له زوجه، ورزقه يحيى، في الآيتين [٨٩ ـ ٩٠].

وذكر هنا في سورة مريم مرّتين في بداية السّورة، حيث أشارت إلى دعائه لربّه أن يرزقه الولد، وقد بشّرته الملائكة بيحيى، وذكرت له الآية الدّالّة على ذلك في الآيات التي تلوتها يا أحمد من الآية [١ ـ ١١].

وذكر في سورة آل عمران المدنيّة ثلاث مرّات، وذلك أثناء الحديث عن حمل أمّ مريم بها، ثمّ ولادتها، وكفالة زكريّا لها، ولمّا رأى زكريّا عليه السلام كرامات الفتاة مريم رضي الله عنها طلب من الله أن يكرمه بالولد، واستجاب الله له، وبشّرته الملائكة بيحيى وهو قائم يصلّي في المحراب، وأزالت استغرابه، وقدّمت له الآية على ذلك. وهذا في الآيات: [٣٧ ـ ٤١].

وورد اسم يحيى عليه السلام خمس مرّات في القرآن في نفس السّور الأربعة التي ورد فيها اسم أبيه زكريّا: الأنعام، والأنبياء، ومريم، وآل عمران.

في سورة الأنعام ورد اسمه مقروناً باسم أبيه في آية ٨٥.

وفي سورة الأنبياء ورد اسمه مرّة واحدة، في أثناء الإشارة إلى استجابة الله لدعوة أبيه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي سورة آل عمران ورد اسمه مرّة واحدة، في تبشير الملائكة لأبيه: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وفي سورة مريم ورد اسمه مرّتين: مرّةً في تبشير الملائكة لأبيه:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]. ومرّة أخرى في مخاطبة الله له مباشرة: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢].

إنّ ما عرضه القرآن من قصّة زكريّا ويحيى عليهما السّلام، هو تأثّر زكريّا لمّا رأى الكرامات عند مريم البتول، حيث دعا ربّه، وذكر له شيخوخته وحاجته للولد، واستجاب الله له، وأرسل الملائكة تبشّره بيحيى، وهو يصلّي في المحراب، وأزالت استغرابه بالإشارة إلى قدرة الله المطلقة على فعل ما يريد، وقدّمت له آية معجزة يقدّمها لقومه.

ولمّا ولد يحيى وصار شابّاً أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوّة.

هذا ما عرضه القرآن من قصّتهما، عليهما الصّلاة والسّلام[1].

الجدّ: هل تعلمون أنّ سيّدنا زكريّا كان نجّاراً؟؟

الأولاد مستغربون!!! كيف عرفت يا جدّي ووالدي لم يذكر ذلك!!

الجدّ: سيّدنا زكريّا عليه السلام كان نجّاراً كما قال سيّدنا محمّد ﷺ....

سيّدنا زكريّا عليه السلام هو من أواخر أنبياء بني إسرائيل، ولعلّه كان مقيماً في بيت المقدس وما حولها، بدليل حديث القرآن عن ولادة مريم وكفالة زكريّا لها.

أمّا نسب سيّدنا زكريّا عليه السلام فمن مبهمات القرآن، التي لا نخوض فيها كما تعلّمتم ذلك سابقاً.

ودعوة زكريّا عليه السلام لبني إسرائيل، وتفصيل ما جرى بينه وبينهم، من مبهمات القرآن أيضاً[2].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص١١٠ ـ ١١١.

كلّ ما نعرفه أنّه كان نبيّاً في بني إسرائيل، وأنّه كان حوله مجموعة من صالحيهم، وأنّه كان مكرّماً عند هؤلاء الصّالحين.

أمّا كيف عرفت أنّه نجّار، فقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن مهنة زكريّا عليه السلام، لأنّ كلّ نبيّ كان يأكل من عمل يده.

روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**كان زكريّا نجّاراً**»[1].

وهذا من فضائله عليه السلام....

سامي: قلت يا جدّي إنّه كان يأكل من عمل يده فما معنى ذلك؟

الجدّ: كان يعمل ولا يأخذ مالاً من أحد ليتعيّش منه، وقد مدح سيّدنا محمّد ﷺ العاملين فقال: «**ما أكل أحدٌ طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[2].

كانت امرأة زكريّا عاقراً، لم تحمل ولم تنجب.

وتقدّم بزكريّا عليه السلام العمر، ونفسه تتطلّع ليكون له ولد.

ولمّا ولدت امرأة عمران ابنتها مريم، ووهبتها للمعبد، اختلف الكهنة والصّالحون فيمن يكفل هذه الطّفلة الصّغيرة، فاقترعوا فيما بينهم، وخرجت القرعة على زكريّا عليه السلام.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب: من فضائل زكريا عليه السلام، حديث رقم (٢٣٧٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم (٢٠٧٢).

وعاشت الطّفلة في كفالة زكريّا عليه السلام، وكانت في غاية الصّلاح والتّقوى أكرمها الله كرامة من عنده حيث كان ينزل عليها من رزقه طعاماً لها.

وكان زكريّا الشّيخ الهرم عليه السلام يدخل على مريم البتول، فيجد عندها الرّزق، فيستغرب ويسألها: يا مريم أنّى لك هذا؟ من أين لك هذا الطّعام ونحن لم نقدّمه لك؟

فتجيبه بإيمان ورضى: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب[1].

أحمد: هل أتلو الآيات يا جدّي فقد حفظت سورة آل عمران...

الجدّ: تفضّل بنيّ بارك الله بك.

أحمد: قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧].

أمّا الآيات التي أخبرت عن مريم، فقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٦].

جميل: كانت تُفَضِّلُ أن يكونَ مولودُها ذكراً؟

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١١٢.

الأمّ: نعم، هذا حقيقيّ، ولكنّ تفضيلها هذا لم يكن إلّا للسّبب الذي من أجله كان نذرها، ألا وهو تحرير هذا الولد لخدمة بيت المقدس، فالأنثى لا تستطيع القيام بالعملِ خيرَ قيام، فهي قد تتعرَّضُ لِما يمنَعُها مِنْ دخولِ المسجِدِ كالحَمْلِ والنِّفاسِ، أو الاهتمامِ بشؤونِ زوجِها وتربيةِ الأولادِ، على عكسِ الرَّجُلِ فهو أقوى منها في هذا المجال.

سامي: وهل كان الأنبياء يتواترون بهذا الشّكل؟

الأم: أجل، فقد روى سيّدُنا أبو هريرةَ حديثاً عن سيّدِنا محمّد ﷺ يقول: «**كانت بنو إسرائيلَ تسوسُهم الأنبياءُ، كلما هلك نبيٌّ خَلَفَهُ نبيٌّ، وأنه لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ خلفاءُ فيكثُرون**...»[1].

سامي: ماذا حدَثَ بعد ذلك؟

الأمّ: كفل زكريّا مريم حينما وهبتها أمّها للمعبد، وعاشت الطّفلة في كفالة زكريّا، وحينما سألها حين كبرت عن الطّعام الذي يجده عندها، أجابته هو من عند الله... فتحرّكت نفسه لطلب الولد الوارث له، وطمع في فضل الله وكرمه، فاللّه الذي أكرم هذه الفتاة، قادر على إكرام الشّيخ الهرم ومنحه الولد، فدعا ربّه طالباً منه ذلك[2].

يعقّب الجدّ على هذه الحادثة فيقول: إنّ هذا يرشدنا إلى وجوب التّوكّل على الله، وردِّ الأمر كلِّهِ إليه، فهو الرّزّاق، وهو الوهّاب، ولكن علينا ألّا نتّكل ونتكاسل، بل نعمل ونسعى ونبذل جهودنا ونستعين باللّه تعالى، وهذا ما وصّى به سيّدنا محمّد ﷺ ابن عمِّه الغلام عبدَاللّهِ بنِ

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأوّل، حديث رقم (١٨٤٢).

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١١٢.

عباسٍ رضي الله عنه: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، إذا سألت فاسأل الله... وإذا استعنت فاستعن بالله...**»[1].

الأمّ (تكمل حديثها) بعد هذا التّعقيب فتقول: لمّا عايَنَ زكريّا عليه السلام كرامات مريم عليها السّلام التفت نحو السّماء ورفع يديه ودعا بقلبه دعاءَهُ الشَّهيرَ الذي ينِمُّ عن مدى شوقه للولد ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨]. وقال أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ٤ ـ ٦].

أحمد: ما دام زكريّا عليه السلام يَعلَمُ عن نفسِهِ أنّه كبيرٌ في السّنّ ويعلمُ أنَّ امرأتَه عاقرٌ لا تنجِبُ، فكيف يخطرُ ببالِهِ طلبُ الولدِ من الله، وكيف يخطر بباله أنّ الله سبحانه وتعالى سيُلَبّي طلبه ويستجيبُ دعاءَه؟

الأمّ: «الدّعاء هو العبادة»[2].

وإنّ الله تعالى وَعَدَنا باستجابةِ الدّعاء، فالدّعاءُ هو أن تتوجَّهَ إلى الله بقلبك وروحك ومشاعرِك، بانكسارٍ وتذلُّلٍ.

وسيّدُنا زكريّا عليه السلام نبيّ الله، وهو موقِنٌ بالله، وقد رأى إكرامه (مريم) فدعاه من مكان رأى أنَّ قدرةَ اللّهِ تتجلّى فيه، فهو في محرابِ (مريم) التي يرزقها ربُّها الخيرَ الكثيرَ، وكانت حالتُهُ النّفسِيَّةُ مطابِقةً للدّعاءِ الذي خرج من صميم فؤادِه وجرى على لسانه، وكان خاشعاً منكسِراً متذلّلاً للّه، فلماذا لا يستجيب له الله وهو أكرم الأكرمين؟!!

---

(١) رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم (٢٥١٦).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب: الدعاء، حديث رقم (١٤٧٩)، عن النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الدعاء هو العبادة**» ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقد بيّن ربُّنا سبحانه لنا بعد ذلك العلّة من هذا العطاءِ الذي وهبَه لزكريّا رَغم كِبَرِ سنِّهِ وعُقْم زوجتِه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ومعنى خاشعين: راضين بِقَدَرِهم في العُقْم، ولا يُرْفَعُ قَضَاءٌ حتّى يَرْضَى صاحِبُه به... فإذا رضي بقضاء ربّه أوّلاً، ثمّ دعاه بعد ذلك، معَ يقينِهِ الكامِل بقدرته على كلّ شيء، وحكمتِهِ البالِغَةِ في كلّ ما كتبه على النّاس من أقدارٍ فإنّ الله يستجيب له.

الأب: ويجب أن تذكر دوماً أنّ الله خالق كلّ شيء، وهو مسبِّبُ الأسبابِ، إذا شاء أَعمَلَها، وإذا شاء أَبْطَلها، وإذا أراد شيئاً...

قاطعه جميل: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

ابتسم الجميع لحضور ذهن جميل وإجابته السّريعة.

الأمّ: وما كاد سيّدنا زكريّا يتلفّظ بكلمات دعائه حتّى جاءه الجواب ﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [مريم: ٧ ـ ٩].

أحمد: لقدِ استجابَ الله دعاءه بسرعة ورزقه ولداً يحمل اسمَهُ معه، اسمٌ ليسَ له وجودٌ سابق، ولم يسمَّ به أحدٌ من ذي قبل، وهذا غايةُ التّكريم لزكريّا!!

الجدّة: ولِمَ تتعجّب؟ الله كريم، ولا يمكن أن يدعوَه أحد من عباده بإخلاصٍ ويردَّه خائباً، فكيف لو كان هذا العبد نبيّاً صالحاً، يعطِف على المساكين؟ وقد قال سيّدُنا محمّدٌ ﷺ: «**مَن نفّس عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنيا نفّس الله عنه كُربة من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن يسَّر على معسرٍ يسَّر الله**

عليه في الدنيا والآخرة، ومَن سَتَرَ مسلماً ستَرَه الله في الدُّنيا والآخرة. . .»[1].

جميل: عندما دعا سيّدُنا (زكريّا) عليه السلام ربَّه، كان متأكّداً من الاستجابة، فلماذا تعجّبَ عندما جاءتْه البشرى؟

ـ الأمّ: تَعَجُّبُه هذا لم يكن ناتجاً عن عدمِ التّصديق، ولكن عن قوّة الصّدمة التي أعادته إلى حقيقة كونه كبيراً في السّنّ وحقيقةِ كونِ امرأته عجوزاً أيضاً ولا تلد أصلاً لأنّها عاقر، فهو مؤمنٌ بأنَّ اللّهَ على كلّ شيء قديرٌ، وهو يذكُرُ جيِّداً كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى منحَ إبراهيمَ الخليلَ ـ على الكِبَرِ ـ إسماعيلَ وإسحاقَ. والدّليل على هذه الصّدمة أنّه عاد إلى نفسِه وتاب إلى رُشدِه حين أرسل الله الملائكة لتبشّر زكريّا بأنّ الله قد استجاب دعاءَه، وسيهب له يحيى، وجاءتْه الملائكة وهو قائم يصلّي، فبشّرته البشرى، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٩ ـ ٤٠].

المحراب: مكان العبادة، وهو أفضل جزء من البيت، لتخصيصه بالعبادة والصّلاة والذّكر، والمحراب ورد في القرآن أربع مرّات، مرّة في محراب داوود عليه السلام، لمّا تسوّر عليه الخصمان محرابه.

وثلاث مرّات في قصّة زكريّا عليه السلام:

الأولى: محراب الفتاة الطّاهرة مريم، الذي كان يرزقها الله فيه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

الثّانية: محراب زكريّا الذي كان قائماً يصلّي فيه عندما نادته الملائكة

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والداؤ والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم (٢٦٩٩).

بالبشرى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

الثّالثة: المحراب الذي خرج منه زكريّا إلى قومه بعد تبشيره: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ [مريم: ١١].

وبما أنَّ زكريّا عليه السلام نبيٌّ كريم، فقد كان دائم الصّلاة والذّكر للّه، ولذلك كان يكثر من الذّهاب إلى المحراب للصّلاة والذّكر، والاتّصال باللّه ومناجاته.

نادى زكريّا ربَّه من المحراب نداءً خفيّاً، طالباً منه الولد الوارث، فاستجاب الله له، وأرسل الملائكة لتبشّره، وسمع البشرى وهو قائم يصلّي في المحراب فكان للمحراب دورٌ كبير في رحمة الله زكريّا عليه السلام، وفي حلّ مشكلته[1].

وقد طلب زكريّا عليه السلام من الله أن يجعل له آية، وأن يمهّد لمعجزة ولادة يحيى التي يَعْلَم بها هو وقومُهُ أنَّ امرأتَهُ حامِلٌ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ٩ ـ ١١].

ـ **أحمد**: كان يَجِبُ على سيّدِنا زكريّا الصّمتُ وعدمُ الكلامِ؟

ـ الأمّ: لا، السّكوتُ في هذه الحالِ وعدمُ الكلامِ لم يكن إراديّاً، ولكنَّ زكريّا عليه الصّلاة والسّلام لنْ يستطيعَ النّطقَ مهما حاول، فإذا حصلَ مَعَهُ هذا الأمرُ، فهو الإشارةُ التي سيشهَدُها جميعُ النّاسِ، وقد حلّ وَعْدُ الله فخرج زكريّا إلى قومِهِ وأشار لهم بيده أن يداوموا على التّسبيحِ ليلاً ونهاراً، وهذا معنى كلمة (أوحى).

آية زكريّا تجلت في صمته وعدم قدرته على الكلام ثلاثة أيّام،

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

وستكون هذه آية من آيات الله، لأنّه عجوز وامرأته عاقر.

وقد طلب زكريّا عليه السلام من الله أن يجعل له آية، وأن يمهّد لمعجزة ولادة يحيى له بمعجزة أخرى، يريها لقومه المؤمنين، فإذا شاهدوها استعدّوا لقبول المعجزة الكبرى، وهي ولادة ابن له.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: ٤١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم: ١٠ ـ ١١].

لم يكن زكريّا عليه السلام يريد الآية له ليؤمن بوعد الله وقدرته، ولكن لتكون دليلاً أمام القوم على تحقيق وعد الله له، فهو نبيّ كريم عليه السلام، يثق بوعد الله، ولا يحتاج إلى دليل عمليٍّ لتحقيقه.

إنّما كان يريد الآية لقومه وأتباعه المؤمنين، فولادة الولد له على وضعه ووضع امرأته المعروف عجيبٌ مثير، إنّه عجوز هرم، وإنّ امرأته عجوز عاقر، ومع ذلك سينجبان ولداً بأمر الله وإرادته.

أراد زكريّا عليه السلام الآية لقومه لتكون تمهيداً للآية الكبرى عندما يولد له يحيى[1].

واستجاب الله لطلب زكريّا عليه السلام، وأعطاه الآية المعجزة، فكانت الآية العجيبة والمعجزة الباهرة في لسان زكريّا عليه السلام!

إنّ قومه يعرفون أنّه متكلّم بفصاحة وطلاقة، ويعلمون أنّه لا عيب في لسانه، ولكن بعدما بشّر بالولد، فوجئوا به لا يكلّمهم إلّا بالرّمز والإيحاء والإشارة! واستمرّ الأمر على هذا ثلاثة أيّام بلياليها!

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٣٦ ـ ١٣٧.

خرج زكريّا على قومه من المحراب، الذي كان يذكر الله فيه ويسبّحُه فيه، وللمحراب دور كبير في حياة زكريّا عليه السلام، ففيه سمع البشرى من الله بالولد، وفيه كان يذكر الله ويسبّحه، ومنه خرج إلى قومه، مقدّماً لهم الآية المعجزة[1].

الجدّ: هل أكمل لأسلّط الضّوء على بعض النّقاط؟؟

الأمّ: تفضّل ومن غير استئذان، فقط أَشِرْ لذلك وكلّنا آذان مصغية.

ابتسم الجميع لما قالته أمّ أحمد....

الجدّ يقول: بارك الله بك يا ابنتي... صمت هنيهة وقال: فاجأ زكريّا عليه السلام قومه وأتباعه المؤمنين بدون كلام، ولعلَّها أوّل مرّةٍ يشاهدونه فيها صامتاً، فلا سلام ولا كلام، ولا تحيّة ولا مخاطبة!

وتعجّب القوم منه، فلماذا لم يطرح عليهم التّحيّة؟ وما الذي جرى له؟ ولعلّهم كلّموه وخاطبوه، واستفسروا عن سرّ صمته، فلم يسمعوا منه كلاماً ولا جواباً. فازداد تعجّبهم واستغرابهم، واستمرّ هو في صمته.

واستخدم الإشارة والرّمز والإيماء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١][2].

ومعنى ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: أشار إليهم بيده إشارة خفيفة سريعة، طالباً منهم تسبيح الله.

ووضّح لهم عن طريق الوحي والرّمز أن يقوموا بتسبيح الله في الصّباح والمساء[3].

فهم القوم المؤمنون إشارة زكريّا، وقاموا بتسبيح الله، وسْط

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٤١.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٤١.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٤٢.

استغرابهم من صمت زكريّا عليه السلام عن الكلام، ذلك الصّمت الذي استمرّ ثلاثةَ أيّام[1]!.

ساد السّكون والصّمت كأنّ السّكوت عن الكلام طال الجميع ممّا جعلهم يسبّحون الله عزّ وجلّ في قلبهم من غير تردّد.

قطع السّكوت أبو أحمد: يا لها من معجزة لسيّدنا زكريّا عليه السلام وأكاد أقول لا يوجد لدينا بالسّنّة والقرآن الكريم إلّا هذه الآيات الدّالّة على معجزة زكريّا عليه السلام، ليرزقه الله عزّ وجلّ يحيى عليه السلام على الكبر.... أليس كذلك يا والدي...؟

يتابع الجدّ كلامه ردّاً على ولده أبي أحمد ويقول: .... قدّم زكريّا عليه السلام لقومه الآية الأولى، وبعد انقضاء ثلاثة أيّام، أخبرهم أنّ الله هو الذي حبس لسانه عن الكلام أمامهم، وأنّه كان يطلق لسانه بذكره وتسبيحه عندما يغيب عنهم، وأنّه جعل هذا آية لهم، تمهيداً لآية أخرى أكبر، وهي الولد الذي سيمنحه الله له.

وسمع أتباعه المؤمنون منه أخبار المعجزة القادمة، فازداد إيمانهم بالله، وقدرته على خرق العادات والمألوفات، وحقّق الله لزكريّا عليه السلام معجزته، وحملت منه امرأته العاقر، وانقضت شهور الحمل التّسعة، وأنجبت مولودها، وسمّاه أبوه «يحيى» منفّذاً أمر الله بتسميته[2].

الأمّ: وبذلك ينسدل السّتار عن الحديث عن زكريّا عليه السلام ويأتي الدّور في الحديث عن يحيى عليه السلام.

الجدّ: أصبت أمّ أحمد، فلا يوجد لدينا أيّ إثبات، فلم يتكلّم القرآن عن زكريّا عليه السلام إلّا أنّه كان نبيّاً رسولاً، وأنّه دعا الله طالباً منه الولد

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٤٣.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٤٣.

الوارث، وأنّه كان إماماً في قومه، وحوله مجموعة من أتباعه المؤمنين، وأنّه كان داعيةً يدعوهم إلى الله تعالى.

ولم يَزِد الحديث الصّحيح على ما ذكره القرآن إلّا أنّه كان «نجّاراً» يعمل في النّجارة، ويأكل من عمل يده، وما سوى ذلك، ممّا يتعلّق بحياة زكريّا عليه السلام وقصّته، مبهم....

الأولاد بصوت واحد «من مبهمات القرآن»....

ابتسمت أمّ أحمد: حقّاً إنّه «من مبهمات القرآن»، لا نعرف عنه شيئاً.

لا نعرف ماذا جرى لزكريّا عليه السلام بعدما ولد ابنه يحيى، وبعدما صار شابّاً قويّاً وحكيماً نبيّاً. ولا نعرف كم عاش سيّدنا زكريّا وزوجه بعد حياة ابنهما، ولا مكان إقامتهما، ولا تفاصيل ما جرى بين زكريّا وبين بني إسرائيل[1].

الجدّ: وأهمّ ما في هذه المبهمات هو معرفة كيف مات زكريّا عليه السلام.

فوفاة زكريّا عليه السلام من مبهمات القرآن، فلم يتحدّث القرآن عن وفاته، ولم يرد حديث صحيح مرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين كيفيّة وفاته، فلا نعرف عن وفاته شيئاً.

وقد تحدّثت اليهوديّات عن كيفيّة وفاة زكريّا عليه السلام، وعن لحاق اليهود الكافرين به ليقتلوه...

ونحن لا نقول بهذه اليهوديّات، ولا نرضى عن ذكر معظم المفسّرين والمؤرّخين المسلمين لها، ولا نقبل أن نفسّر بها كلام الله، ولا نعتمدها في الحديث عن وفاة نبيّ الله زكريّا عليه السلام ولا نقول شيئاً في وفاة زكريّا عليه السلام، فنقول بما قال به القرآن، ونسكت عمّا سكت عنه القرآن[2].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥٤.

أحمد: تقصد يا جدّي أن لا نقول: قتل اليهود الكفّار زكريّا عليه السلام، فلا ندري هل مات زكريّا مقتولاً على أيدي اليهود، أم مات ميتة طبيعيّة.

الجدّ: نعم... وليس معنى هذا أن ندافع عن اليهود المجرمين، أو أن نقوم بتبرئتهم من قتل الأنبياء، فهم كفّارٌ مجرمون سفّاكون، وقد أخبرنا الله أنّهم قتلوا بعض الأنبياء، وهذا يقين وصدق.

قال الله عزّ وجلّ عن اليهود: ﴿...ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١].

وخاطب الله اليهود قائلاً لهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

اليهود قتلة الأنبياء، وهذه حقيقة قرآنيّة صادقة، ويكفيهم هذا جريمةً وشناعة، ويكفينا هذا لنكرهَهم ونبغضهم.

أمّا تعيينُ الأنبياء الذين قتلوهم، وتحديد أسمائِهم وأعدادهم وكيفيّات قتلهم، فهذا الذي لم يذكره القرآن، ولم يبيِّنه حديث رسول الله ﷺ.

يتابع الجدّ السّرد فيقول: الخلاصة أنّنا نتوقّف في حديث اليهوديّات عن تفاصيل مقتل زكريّا عليه السلام، ولا نقول شيئاً في وفاته عليه السلام، لسكوت القرآن والحديث الصّحيح عن ذلك.

هذا عن زكريّا ونهايته عليه السلام[1].

سبّح الجميع بقول واحد سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

الجدّة: نكتفي اليوم ونكمل غداً بقيّة تلاوة سورة مريم... ونتحدّث عن سيّدنا يحيى وعيسى عليهما السّلام.

وحتّى يتسنّى لنا ممارسة بقيّة العبادات بعدما نتناول طعام الإفطار...

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

فلا زال شهر رمضان في أوّله مع العلم سريعاً ما يمضي. . . وهكذا كان فما مضت أيّام قليلة حتّى عادوا إلى جلستهم المعتادة وذلك بعد صلاة العصر، وقبل حلول آذان المغرب. . .

قالت الأمّ: وصلنا إلى قصّة يحيى عليه السلام مع العلم أيضاً أنه لم يصلنا عنه شيء سوى ما ذكره الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم في سورة آل عمران: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

فذكرت الآيات صفات يحيى عليه السلام المذكورة هنا في الآية وهي أربعة: مصدّق بكلمة من الله، وسيّدٌ، وحصورٌ، ونبيّ من الصّالحين.

وحتّى لا أطيل عليكم بمعاني الكلمات سأدخل فقط إلى المعنى الإجماليّ لكلّ صفة:

فالصّفة الأولى: مصدّقاً لقول الله تعالى في كلام الله عزّ وجلّ عنه تعالى، ومصدّقاً لعيسى عليه السلام، وكان عيسى عليه السلام معاصراً ليحيى عليه السلام وكلاهما كان نبيّاً عليهما الصّلاة والسّلام، ولمّا بعث الله عيسى نبيّاً، كان يحيى هو أوّل من آمن بعيسى وصدَّقه وصدَّق به، وشهد أنّه عبدالله ورسوله، وأنّ الله بعثه نبيّاً رسولاً[1].

الثّانية: سيّداً: جعله الله سيّداً شريفاً في قومه، سادهم بالنّبوّة والعلم والعبادة والحلم.

وفسّرها الصّحابة والتّابعون بهذا المعنى:

قال ابن عبّاس والثّوريّ والضّحّاك: السّيّدُ هو الحليم التّقيّ.

وقال قتادة: كان يحيى عليه السلام سيّداً في العلم والعبادة.

---

(١) تفسير الطبري ٢/٢٦٠.

لقد جعل الله يحيى عليه السلام سيّداً شريفاً، سيّداً في الحلم والتّقوى، وسيّداً في العلم والعبادة، وسيّداً في الفقه والكرم[1].

أمّا الثّالثة: حصوراً، فيحيى عليه السلام منع نفسه عن النّساء برغبته وإرادته، وجاهد نفسه في عدم الرّغبة فيهن... قال القاضي عيّاض: «اعلم ثناء الله تعالى على يحيى أنّه كان «حصوراً» ليس كما قال بعضهم، إنّه كان هيّاباً يخاف معاشرة النّساء، أو أنّه لا ذكر له.

بل قد أنكر هذا حذّاق المفسّرين ونقّاد العلماء، وقالوا هذه نقيصة وعيب، لا يليق بالأنبياء عليهم السّلام.

وإنّما معنى «حصوراً» أنّه معصوم من الذّنوب لا يأتيها، كأنّه حصور عنها[2].

وعلَّقَ ابن كثير على كلام القاضي عيّاض بقوله: والمقصود أنّ مَدْحَ يحيى بأنّه حصور، ليس معناه أنّه لا يأتي النساء، بل معناه أنّه حصورٌ من الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنّساء الحلال، وغشيانهنّ... بل قد يفهم وجود النّسل له من دعاء زكريّا المتقدّم[3].

والصّفة الرّابعة: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: وهذا نصٌّ على نبوّة يحيى عليه السلام، حيث سيجعله الله نبيّاً، ويجعله من الصّالحين، بل هو إمام الصّالحين في عصره، وهذه بشارة ثانية لزكريّا عليه السلام، فقد بَشّرَهُ الله قبلها بأنّه سيرزقه بيحيى، وبشّره فيها بأنّه سيجعله نبيّاً من الصّالحين، وهي أعظم من البشارة الأولى[4].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير، الإمام الحافظ أبي الفداء، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، الجزء الأول، ص٣٧٠.

(٣) تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص٣٧٠.

(٤) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٤٦.

هذه الصّفات الأربعة الواردة في سورة آل عمران.

الجدّ: إذن نكمل ما أخبرتنا به الآيات في سورة مريم لنتابع قصّة سيّدنا يحيى عليه السلام، هلّا تلوت علينا الآيات يا أحمد بما أنّك حفظتها غيباً...

أحمد: نعم... بعد أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٥].

الجدّ: لا فضّ فوك بنيّ...

جزاك الله خيراً.

يتابع الجدّ فيقول: قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات: «وهذا أيضاً تضمّن محذوفاً، تقديره: أنّه وجد هذا الغلام المبشَّرُ به وهو يحيى عليه السلام، وأنَّ الله علَّمه الكتاب، وهو التّوراة... وكان سِنُّهُ إذ ذاك صغيراً، فلهذا نوَّهَ بذكره، وبما أنعم به عليه وعلى والديه...»[1].

الجدّ... يتابع السّرد.

خاطب الله يحيى عليه السلام بعدما صار صبيّاً، وأمره أن يأخذ الكتابَ بقوّة: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾، أي: تعلّم بقوّة، أي: بجدّ وحرص واجتهاد، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾، أي: الفهم والعلم والجدّ والعزم والإقبال على الخير، والانكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث[2]...

ومنّ الله على يحيى عليه السلام بأنّه آتاه الحنان من عنده، وهذه استجابةٌ

(١) تفسير ابن كثير، الجزء، الثالث، ص١١٩.

(٢) تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، ص١١٩.

لدعوةِ زكريّا عليه السلام، فلمّا طلب زكريّا عليه السلام الغلام، سأل ربّه أن يجعله رضيّاً: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾.

فاستجاب الله دعوته، ومنح يحيى الحنان: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾.

أمّ أحمد: هل يمكنني إعراب هذه الآيات...؟

أحمد... لا بل أنا وصوّبي لي إن كان هناك خطأ...

أمّ أحمد: تفضّل بنيّ، فإنّك رزقت هذه المهارة في الإعراب...

أحمد: و«حناناً» منصوبةٌ لأنّها معطوفةٌ على «الحكم».

والتّقدير: آتينا يحيى الحكم وهو صبي، وآتيناه الحنان من لدنّا، وكان بارّاً بوالديه...

أمّ أحمد: بارك الله بك بنيّ أصبت في الإعراب...

وأزيد على ما قلت أنّ كلمة «حنان» لم ترد في غير هذا الموضع من القرآن.

وأصل الحنان الإشفاق وقد ورد فيها معانٍ كثيرة لن ندخل بتفاصيل...

فقط نعرف من قول ابن عبّاس: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾: ورحمة من عندنا...

أمّا قول الله تعالى: ﴿وَزَكَوٰةٗۖ﴾ هنا هي الطّهارة من الذّنوب والمعاصي، وتطهير النّفس وتزكيتها ومجاهدتها، والإقبال على الطّاعة والعبادة[1].

﴿وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ كان يحيى عليه السلام تقيّاً عابداً للّه، خائفاً منه، مؤدّياً لفرائضه، مجتنباً محارمه، مسارعاً في طاعته[2]...

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٠.

الجدّ: وقوله: ﴿كَانَ تَقِيًّا﴾ نتيجة للصّفات السّابقة التي وصف الله بها يحيى عليه السلام . . .

أمّ أحمد: نعم. فمنذ كان صبيّاً، آتاه الله الحكم والفهم والعلم، وآتاه الحنان والرّحمة والإشفاق، وآتاه الزّكاة والتّزكية والطّهارة، ونتيجةٌ لكلّ ذلك صار يحيى عليه السلام تقيّاً عابداً خاشعاً[1].

أبو أحمد: أمّا ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ معطوفاً على ﴿تَقِيًّا﴾.

وصفٌ آخر ليحيى عليه السلام.

والمعنى: كان يحيى تقيّاً، وكان برّاً بوالديه.

وذكْرُ برّه بوالديه مقصودٌ هنا، لأنّ والديه كبيران عجوزان، وهما بحاجةٍ إلى برِّ ابنهما بهما، لتقدُّمهما في العمر، وحاجتهما إلى المساعدة وحسن المعاملة، لا سيّما أنّهما رزقا بابنهما على كبر.

ونعمة عظمى ينعم الله بها على الوالدين الكبيرين، عندما يوفِّقُ أبناءَهما إلى البرِّ بهما، لأنّهما في عمرهما المتقدّم يحتاجان إلى ذلك البرّ والإحسان[2].

كما وأدعو الله عز وجل أن أكون أنا بارّاً بوالديّ. . . ومن ذرّيّتي يجعلها بارّة بي.

الجميع بصوت واحد آمين يا ربّ العالمين آمين يا ربّ العالمين. . . آمين يا ربّ العالمين. . .

أمّ أحمد: يا ربّ تقبّل دعاء فها نحن في شهر الدّعاء شهر يجاب فيه الدّعاء لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص ١٥١.

فيا ربّ استجب فإنّك نعم المجيب...

وبعدما أتمّوا الدّعاء سرّاً أكملت أمّ أحمد قائلة: وبعدما وصف الله يحيى عليه السلام بوصفين إيجابيّين، نفى عنه وصفين سلبيّين، ونزّهه عن نقيصتيْن، فقال: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.

و«جبّار»: صيغة مبالغة من التّجبّر وهو التّكبّر والاستعلاء.

قال الإمام الرّاغب: «والجبّار في الإنسان: صفة، يقال لمن يجبر نقيصته بادّعاء منزلة التّعالي لا يستحقّها، وهذا لا يقال إلّا على طريق الذّمّ».

والإنسان لا يكون جبّاراً متجبّراً في الأرض إلّا ليسدَّ نقْصه وضعفَه، فيتكبَّر ويتجبَّر، ويتعالى وينتفش، ويظلمُ الآخرين ويحتقرُهم ويضطهدُهم[1].

﴿عَصِيًّا﴾: صفةٌ مشبّهة، بمعنى صاحب المعصية، والعصيُّ هو الجبّار، فكلّ إنسان جبّار متجبّر، فهو عصيّ عاصٍ، لأنّ المعصية مبنيّةٌ على التّكبّر والاستعلاء[2].

وعندما ننظر في هذه الآيات الكريمة التي أخبرت عن يحيى عليه السلام، فسوف نرى التّناسب والتّناسق والتّقابل في الصّفات المذكورة له...

قاطعها أبو أحمد وقال: أتحفينا بها فأنت ضليعه في اللغة العربيّة فتح الله لك فتوح الرّاسخين في العلم.

ابتسمت أمّ أحمد، وكم شجّعتها الكلمة الطّيّبة التي تحدّث بها أبو أحمد، لتشعر بالودّ والمحبّة المتبادلة بينهما...

تكمل أمّ أحمد السّرد فتقول: قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥١.

(٢) المرجع السابق.

وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٤].

آتى الله يحيى أمرين، وأنعم عليه بنعمتين، وهما: الحنان والزّكاة.

ووصفه بوصفين إيجابيّين، هما ثمرة الحنان والزّكاة، وهما: كان تقيّاً للّه، وكان برّاً بوالديه.

ونفى عنه أمرين قبيحين، يتناقضان مع ما سبق، فلم يكن جبّاراً ولا عصيّاً.

وهذه كلّها ثمرة للحكم الذي آتاه الله إيّاه وهو صبيّ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

وهذا كلّه تطبيق وتنفيذ لأمر الله له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[1].

ساد الصّمت المكان إلّا من صوت أمّ أحمد... وعند انتهائها قال أحمد: ...الله أكبر ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله.

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً بنيّ فأنت أيضاً على هذا الدّرب تسير...

تكمل السّرد وتقول: بقي لنا فقط شرح ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٥].

هذا خبر من الله سبحانه عن السّلام الذي أضفاه على يحيى ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ نكرة والتّنكير للتّكثير والتّفخيم والتّعظيم، أي أنّ الله جعله مغموراً بالسّلام المبارك في حياته كلّها.

وأبرزت الآية السّلام الذي تغشّاه في مواطن ثلاثة، هي بحاجة إلى السّلام من الله، أكثر من غيرها من المواطن.

﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾: أضفى الله السلام عليه يوم ولادته، ولذلك لم يمسّه الشّيطان بسوء.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥٢.

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ أضفى الله عليه السلام والأمان يوم موته، فجعله منعّماً في قبره، وعصمه من فتنة القبر وأجاره من عذاب القبر.

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: أضفى الله عليه السلام والأمان يوم القيامة، فأمّنه من الفزع من ذلك اليوم، الذي يفزع فيه الآخرون وأجاره من عذابه[1].

قال ابن عطيّة: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم ولد، فيرى نفسه خارجاً ممّا كان فيه. ويوم يموت، فيرى قوماً لم يعاينهم، ويوم يبعث، فيرى نفسه في محشر عظيم. فأكرم الله يحيى عليه السلام، وخصّه بالسّلام عليه في هذه المواطن: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[2].

الجميع: ما شاء الله لا قوة إلا بالله...

أبو أحمد: سأنهي القصّة سريعاً فلا زال متّسع لأذان المغرب... حتّى يتسنّى لكما (أمّ أحمد والجدّة) تجهيز طعام الفطور... ابتسم الجميع لذلك مع عدم شعورهم بالجوع والعطش، فكيف ذلك وهم يرتوون من تدبّر آيات الله عز وجل، وخاصّة في سرد قَصص الأنبياء، التي تثبّت الفؤاد...

قلنا في قصّة زكريّا عليه السلام، لا نعرف ماذا جرى له ولا نعرف كيف توفّي، ولا تفاصيل كيف صار يحيى عليه السلام شابّاً ولا نعرف كم عاش زكريّا وزوجه بعد حياة ابنهما، ولا مكان إقامتهما، ولا تفاصيل ما جرى بين زكريا وبين بني إسرائيل[3].

ولا نعرف كيف توفّي سيّدنا زكريّا عليه السلام ولا كيف توفّي يحيى عليه السلام، فوفاته من «مبهمات القرآن» التي لا نتعرّض لها بتفصيل أو بيان.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري، تقريب وتهذيب ٥/٢٢٣.

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٥٧ ـ ١٥٨ بتصرف.

وكما تحدّثنا عن سيّدنا زكريّا أنّ هناك من اليهوديّات ما تفصّل فيها وفاة سيّدنا زكريّا عليه السلام، أيضاً هناك من اليهوديّات ما تفسّر كيفيّة وفاة سيّدنا يحيى عليه السلام...

وبما أنّها من المبهمات فلا نتعرّض لذكر هذه اليهوديّات.

سكت الجميع... ولسانهم يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

* * * * * *

قصّة رقم ٢٨

السّيّدة مريم العذراء وابنها عيسى عليهما السلام

مضت الأيّام وها هو شهر رمضان يشارف على الانتهاء وها هي ليالي القدر يستعدّ لها جميع أفراد العائلة، والمهمّ صفاء التي بدأت بالكلام (تناغي) وتضحك، وتتحدّث لمن يلاعبها...

كانت لعبة البيت مع العلم أنّ أمّ أحمد تواظب على تربيتها التّربية الصّالحة... أي لا تدع أحداً يحملها حتّى لا تعتاد على الحملان... مواعيد الرّضاعة في أوقاتها المحدّدة، طعامها اللذيذ (البسكويت+ الموز+ عصير البرتقال) بدأت بإطعامها منه القليل القليل حتّى تعتاد أمعاؤها، يمضون أوّل النّهار بعد صلاة الفجر بالنّوم ليتمكّنوا من قيام الليل... وهكذا كان...

كانوا يستغرقون أوقاتهم بعبادات أخرى من صلوات نافلة، وأذكار مخصّصة لهذا الشّهر الفضيل، ولكنّ سعادتهم كانت مضاعفة هذا العام بسبب وجود جدّيهما لتمضية هذا الشّهر معهم، وذهابهم جميعاً يوميّاً لتأدية صلاتَيْ العشاء والتّراويح مع جماعة المسجد.

ولكن في يوم من أيّام الشّهر الفضيل ظلّ الأولاد مع أمّهم وجدّتهم المتعبتين بعد عمل ساعات متعدّدة في تحضير طعام الإفطار، فقد دعَوْا

بعض أقاربهم وجيرانهم الصّائمين تطبيقاً والتزاماً بسنّة رسول الله ﷺ الذي قال: «**من فطّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**»[1]. **وبالرّغم من عدم ذهابهم إلى المسجد فقد أدّوْا الصّلاة في البيت جماعة، وكان إمامهم أحمد.**

جلسوا بعد انتهائهم من صلاتهم يتسامرون، فقالت أمّ أحمد: تحدّثنا في قصّة سيّدنا زكريّا عليه السلام وابنه يحيى عليه السلام عن ظروف ولادة السّيّدة مريم بنت عمران رضي الله عنها، ونذر أمّها لها أن تجعلها محرّرة لخدمة بيت المقدس، ثمّ كفالة زكريّا لها يخدمها ، ويوفّر لها كلّ احتياجاتها، وسنعود قليلاً إلى القرآن الكريم ونرى مواضع ذكر مريم عليها السّلام في القرآن.

وتتابع الأم السّرد فتقول: ورد اسم مريم مجرّداً عن عيسى عليه السلام في سورة آل عمران ستّ مرّات، أثناء الحديث عن ولادتها وكفالة زكريّا عليه السلام لها، ومخاطبة الملائكة لها، وتبشيرها بعيسى عليه السلام.

وورد اسم عيسى عليه السلام مجرّداً في سورة النّساء مرّتين، في سياق ذمِّ اليهود لكفرهم واتّهامهم لمريم، وفي تقرير حقيقة كون عيسى كلمة الله، ألقاها إلى مريم.

وسورة مريم التي حملت اسمها تحدّثت بالتّفصيل عن قصّة بشارتها وحملها لعيسى عليه السلام، وورد اسمها فيها مجرّداً مرّتين، في بداية عرض قصّتها، وعندما أتت قومها تحمل ابنها، فاستغربوا ذلك منها، وأنكروه عليها.

وورد اسمها في سورة التّحريم مرّة واحدة، منسوبة إلى أبيها، مريم ابنة عمران، في مقام الثّناء عليها لإيمانها وتصديقها وقنوتها.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القربى، حديث رقم (٦٥٨)، وروى ابن ماجه حديث: «حديث الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القربى اثنتان: صدقة وصلة»، حديث رقم (١٨٤٤).

وتحدّثت سورة آل عمران عن بداية قصّة مريم ﵂، منذ حملت أمّها بها ونذرت أن يكون ما في بطنها للّه، وتقبّلها الله ورعاها، وقد اختلف الصّالحون فيمن يكفلها، وهي الطّفلة الصّغيرة، فألقَوْا أقلامهم مقترعين، فكانت من نصيب زكريّا ﵇، وتكفّل زكريّا بها ونشأت فتاة مؤمنة صالحة في كفالته، وكان الله يكرمها برزق مستمرّ عندها، وسألها زكريّا عن مصدره، وسط استغرابه، فأجابت بأنّه من عند الله، فدعا ربّه أن يرزقه غلاماً[1]، ورد هذا في الآيات: [٣٥ ـ ٣٦] من سورة آل عمران. هلّا تلوت علينا الآيات يا أحمد؟

أحمد: بالطّبع بفضل الله تعالى قد حفظت القرآن الكريم، وبقي الأجزاء الأخيرة، أدعو الله ﷻ أن أختمها في أواخر هذا الشّهر.

الجميع: آمين يا ربّ العالمين...

أحمد يتلو الآيات قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٨].

الأمّ: لا فضّ فوك بنيّ ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله...

وتكمل السّرد:

تحدّثت آيات السّورة عن تبشير الملائكة مريم ﵂، بأنّ الله قد

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٦٣ ـ ١٦٤.

اصطفاها على نساء العالمين، وعليها أن تقنت وتركع وتسجد للّه، وبشّرتها الملائكة أيضاً بأنّ الله سيهبها ابنها عيسى عليه السلام، وسيجعله نبيّاً رسولاً، ولمّا استغربت مريم ذلك، أخبرتها الملائكة بأنّ هذا من أمر الله، والله يخلق ما يشاء[1].

ورد هذا في ــ أحمد... مستدركاً كلام والدته ــ سورة آل عمران الآيات: [٤٢ ـ ٤٨].

وبدأ بتلاوة الآيات بصوت مزامير داوود، فسرَّ الجميع بتدبّر الآيات وهو يتلوها بخشوع!!

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٢ ـ ٤٨].

أمّ أحمد تقول: أمّا سورة مريم فتحدّثت عن حمل مريم بعيسى عليه السلام... ولا أريد تذكيركم أنّ سورة مريم مكّيّة ورقمها حسب النّزول (٤٤) وسورة آل عمران مدنيّة يعني الصّحابة الكرام سمعوا أوّلاً سورة مريم، وعرفوا قصّتها في مكّة المكرّمة... حيث بدأت الآيات بلقطة ابتعاد مريم عن أهلها نحو الشّرق، فلمّا كانت بعيدة عنهم وحيدة أرسل الله لها جبريل عليه السلام فتمثّل أمامها رجلاً بشراً سويّاً، وصارحها بأنّه رسول

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٦٤.

من الله ليهبها غلاماً زكيّاً، فاستغربت وسألت عن كيفيّة إنجابها الولد وهي الفتاة العذراء العفيفة، فأخبرها أنّ هذا أمر الله.

ونفخ جبريل فيها، فحملت بعيسى، ووضعته تحت النّخلة، ووجّهها إلى أكل الرّطب وشرب الماء والصّيام عن الكلام، وحملت ابنها وذهبت إلى قومها، ففوجئوا بابنها، ولمّا سألوها عنه أشارت إليه فالجواب عنده، فازداد استغرابهم، وبلغت دهشتهم ذروتها عندما سمعوه يتكلّم ويقدّم نفسه إليهم، ويخبرهم أنّه عبدالله، وأنّه سيكون رسولاً[1].

وورد هذا في الآيات... أحمد مسرعاً: [١٦ ـ ٣٤].

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً هلّا تلوت لنا الآيات...

أحمد: بعد أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم... ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٦٤.

كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ١٦ ـ ٣٤].

أمّ أحمد: وقبل أن نتحدّث عن عيسى عليه السلام يجب أن نتحدّث عن آل عمران؟ من هم ؟ ولماذا ذكروا في الآية؟ في هذه الأثناء انضمّ الجدّ وأبو أحمد إلى الجلسة ومعهم الحلويّات الرّمضانيّة الشّهيّة، فقالا: إذن نأكل الحلويّات الشّهيّة مع كوب العصير الطّازج ونكمل الحديث عن آل عمران.

ابتسمت أمّ أحمد وقالت لأحمد: إذن أسرع بجلب الأكواب ، والعصير جاهز في الثّلّاجة... وهكذا كان بين المرح والسّرور والابتسامة تعلو وجوههم جميعاً خاصّة وكأنّ صفاء أرادت مشاركة العائلة بقيام الليل...

ساد الفرح والسّرور عائلة أبي أحمد وتردّد دعاء الجدّ للعائلة بأن يحفظها الله ويحميها متمتماً بذكر الآيات والأدعية الحافظة للعائلة...

هنا قالت أمّ أحمد: وصلنا وللّه الحمد إلى معرفة من هم آل عمران؟ ولماذا ذكروا في الآية؟

مريم هي ابنة عمران، بنصّ الآيات القرآنيّة: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢].

وورد اسم عمران ثلاث مرّات في القرآن:

الأولى: آل عمران في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤].

الثّانية: امرأة عمران والدة مريم في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥].

الثّالثة: ابنة عمران، في قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [مريم: ١٢].

فمن هم آل عمران الذين ورد ذكرهم في السّورة الثّالثة ـ بحسب ترتيب المصحف ـ التي حملت اسمهم «سورة آل عمران"؟

من هو عمران الأوّل؟ ومن هو عمران الثّاني؟

هناك شخصان من بني إسرائيل، كلّ منهما اسمه عمران وبينهما فترة زمنيّة طويلة تمتدّ قروناً.

عمران الأوّل: هو عمران والد نبيّ الله موسى ونبيّ الله هارون عليهما السّلام.

والدّليل على أنّ والد موسى اسمه عمران ما أخرجه الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «**موسى بن عمران صفيّ الله**...»[(١)].

وما أخرجه مسلم عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران** عليه السلام...»[(٢)].

فنسب رسول الله ﷺ موسى عليه السلام إلى أبيه عمران.

عمران الثّاني: هو والد مريم رضي الله عنها.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ذكر النبي الكليم موسى بن عمران وأخيه هارون بن عمران، حديث رقم (٤٠٩٣/١٠٢) وحديث رقم (٤٠٩٥/١٠٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ٧٤، حديث رقم (١٦٥).

وأشار القرآن إلى حمل امرأته بمريم[1]، ونذرها للّه، كما أشار إلى شقيق لمريم اسمه هارون، وهو غير هارون النّبيّ شقيق موسى عليه السلام.

وهذا معناه أنّ أسرة عمران الثّاني المذكورة في القرآن والحديث كانت مكوّنة من خمسة أشخاص أيضاً، عرفنا أسماء ثلاثة منهم، وهم عمران الأبّ، وهارون الابن، ومريم الابنة، أمّا اسم امرأة عمران وابنته الأخرى فهذا من مبهمات القرآن.

وإذا كان عمران الأوّل قد عاش في مصر زمن الفراعنة، في بداية تاريخ بني إسرائيل، فإنّ عمران الثّاني قد عاش في بيت المقدس في آخر تاريخ بني إسرائيل، وبينهما عدّة قرون[2].

الجدّ: نعم، جزاك الله خيراً لهذا التّوضيح المهمّ، وقد أخبرنا الله أنّه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤].

فاصطفى آدم عليه السلام بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلّمه أسماء كلّ شيء، وأسكنه الجنّة، ثمّ أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة.

واصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أوّل رسول بعثه إلى أهل الأرض.

واصطفى آل إبراهيم، ومنهم سيّد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق، محمّد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٦٩ ـ ١٧٠، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، ص٣٣٩.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

واصطفى آل عمران، والمراد بعمران هذا والد مريم ابنة عمران أمّ عيسى عليه السلام[1].

والرّاجح أنّ آل عمران المذكورين هنا هم آل عمران والد مريم رضي الله عنها، ولو كانوا هم آل عمران والد موسى عليه السلام لكان في الآية تكرار، لأنّ أنبياء بني إسرائيل الذين هم من ذرّيّة موسى وهارون داخلون في قوله: «آل إبراهيم» لأنّ إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء.

وأخبر الله أنّ هؤلاء المفضّلين على العالمين ذرّيّة بعضها من بعض، أي أنّ السّلسلة متّصلة في هؤلاء، والموكب الكريم مستمرّ فيهم، فكانوا ذرّيّة طيّبة مؤمنة صالحة، بعضهم يتناسل من بعض.

وآل عمران هم أسرة عمران، وقد علمنا قبل قليل أنّ عمران أنجب ابناً وابنتين، الابن هو هارون، ولم نعرف عنه شيئاً، والابنتان هما: مريم وأختها امرأة زكريّا عليه السلام[2].

الجميع جزاك الله خيراً.

أبو أحمد: جاء دوري الآن فاسمحوا لي بتكملة القصّة المشوّقة وسنرى ذلك.

تكلّمت يا أبي عن امرأة عمران... وقلت: إنّها نذرت ما في بطنها للّه، وإلى أنّ حملها كان أنثى، وأنّها لمّا وضعتها سمّتها مريم واستلمها وكفلها زكريّا عليه السلام.

وهذه المعلومات من سورة آل عمران في الآيات قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٦٩ ـ ١٧٠، وتفسير ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، الجزء الأول، ص٣٣٩.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٧٠.

﴿ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٧].

أرادت امرأة عمران أن يكون ما في بطنها منذوراً للّه، موقوفاً على عبادة الله، خالصاً لدين الله، محرّراً من كلّ قيد يُقيّده في هذه الحياة.

إنّ النّاس أحرار من حيث الرّقّ، ليسوا أرقّاء ولا عبيداً ولكن ليس هذا كلّ شيء.

إنّ الحرّيّة الحقيقيّة للإنسان هي تحرّره من قيود الذّلّ والاستعباد المعنويّ، هي أن لا تقيّده أهواؤه وشهواته وملذّاته وأن لا تستعبده الدّنيا وما فيها، وأن لا ينشغل بما فيها عمّا أوجبه الله عليه وكلّفه به، وأن يستعلي على كلّ القيود التي تقيّده وتعيق عبادته[1].

إن كان المؤمن هكذا فهو الحرّ المحرّر الخالص للّه، وإن لم يكن كذلك فهو عبدالدّنيا والشّهوة وأسير الهوى والضّرورة.

وطلبت امرأة عمران من الله أن يتقبّل منها نذرها: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

وندعو إلى ملاحظة التّناسق بين الآيتين في خاتمتهما: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٤].

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

حيث ختمت كلّ آية بنفس الاسمين من أسماء الله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

كان حملها أنثى ، ولعلّ امرأة عمران كانت تأمل أن يكون ما في بطنها ذكراً، ليصلح أن يكون منذوراً للّه.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٧٤ ـ ١٧٥ بتصرف.

وفي الآية آيتان معترضتان، أدخلتا ضمن كلام امرأة عمران: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦].

الآية الأولى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: والهدف من هذه الآية التّأكيد على علم الله بما وضعت، وعلم الله بما في بطنها عندما نذرت نذرها، وعلم الله بما ستحمل وتضع قبل أن تحمل وتضع.

إنّ الله هو الذي قدَّر أن يرزقها أنثى، لحكمة يريدها، وهو العالم بذلك، وعلم الله شامل لكلّ شيء، محيط بكلّ شيء، يعلم الأشياء قبل وقوعها، ويوجدها وفق علمه بها.

فمعنى الآية ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: الله أعلم بالمولود الذي وضعته، وأنّها أنثى، وأنّه جاء على غير ما توقّعته وأرادته.

والآية الثّانية: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ وهي أيضاً ليست من كلام امرأة عمران، وإنّما هي تقرير لحقيقة قاطعة، أراد الله بيانها في هذه المواطن.

والمعنى: ليس الذّكر كالأنثى في هذا المجال، لأنّ خدمة بيت الله، والتّفرّغ لعبادة الله في بيت الله، لا يتساوى فيه الذّكر والأنثى، فهو يحتاج إلى مزيد من الجهد، والقوّة والجلد، والتّحمّل والصّبر، يبذل فيه صاحبه كثيراً من الطّاقة البدنيّة.

وليس الذّكر كالأنثى في هذا المجال، فالأنثى قد لا تقدر على أداء ذلك بصورة جيّدة فالذّكر أكثر قوّة وجلداً من الأنثى[1].

ولا نرى أن تعمّم هذه الآية ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لتشمل جميع مجالات الحياة بين الرّجال والنّساء، ولا نرى أنّ هذه الآية تدلّ على التّفضيل المطلق للرّجال على النّساء في كلّ شيء.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٧٦.

ولا يوجد نصّ صريح في تفضيل الذّكور على الإناث تفضيلاً ذكوريّاً، الذّكر أفضل باعتباره ذكراً من الأنثى باعتبارها أنثى، لا يوجد نصّ على ذلك، بل القرآن صريح في اعتماد التّقوى أساس التّفضيل والتّفاضل والتّكريم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، سواء كان ذكراً أم أنثى.

إنّ الله حكيم في خلق كلّ من الذّكر والأنثى، فلم يجعلهما متماثلين في كلّ شيء... وفي موضوع الشّدّة والصّلابة جعل الذّكر أقوى من الأنثى.

الذّكر هو الأشدّ والأمتن والأقوى والأصلب، ليؤدّي رسالته في الحياة.

والأنثى هي الأكثر ليونة وسهولة، هي المتكسّرة الرّقيقة اللّطيفة، لتؤدّي وظيفتها، وتكون مطلوبة مرغوباً فيها[1].

المهمّ من الآيات في سورة آل عمران وسورة مريم، أنّ ولادة مريم لم تكن مجرّد رحمة بوالديها، ولكنّها كانت تمهيداً لحدوث معجزتين أخريين: ميلاد يحيى عليه السلام من رجل عجوز وامرأة عقيم أي لا يمكنهما الإنجاب، ثمّ معجزة أكبر من تلك، ألا وهي ولادة ابنها عيسى من أمّ بلا أب، وهذا مخالف للسّنن الكونيّة، ألا وهي وجوب اجتماع الجنسين للإنجاب.

هذه المعجزة الأخيرة ليست مختصّة بعيسى عليه السلام ولكنّها متضمّنة مريم عليها السّلام في الواقع، وهذا ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم ـ

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٧٦ ـ ١٧٨ بتصرف.

القرآن ـ عندما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

فالاثنان سواء في الخبر، وليس لأحدهما تميّز على الآخر.

أحمد: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم ، هذا يدلّ على قدرة الله تعالى ، ويظهر للنّاس عظمة الذي برّأهم وخلقهم و(نوّع في خلقهم، فخلق أباهم آدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حوّاء من النّفس التي خلق منها آدم عليه السلام ، وخلق بقيّة الذّرّيّة من ذكر وأنثى إلّا عيسى عليه السلام فإنّه أوجده من أنثى بلا ذكر)[1].

الجميع: سبحان الخلّاق العظيم.

أمّ أحمد: وأهمّ ما في هاتين الآيتين أنّ الله عزّ وجلّ أعاذ مريم وابنها من الشّيطان قال تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

لجأت هذه المرأة المؤمنة إلى الله، ليحمي ويعيذ ابنتها من شرّ الشّيطان الرّجيم، وهذا من قوّة إيمانها باللّه واعتمادها عليه[2].

وعندما ننظر في الآيات التي سجّلت دعاء امرأة عمران، فإنّنا ندرك منها صفاء روحها، وعظمة إيمانها، وحرارة اتّصالها بالله، يظهر ذلك من قولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ومن قولها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

وذرّيّتها محصورة في ابنها عيسى عليه السلام لأنّ ظاهر السّياق القرآنيّ على أنّ مريم لم تتزوّج، وأنّها أنجبت عيسى عليه السلام بأمر من الله،

---

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، ص١٢١ ـ ١٢٢ تفسير آية ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٧٩.

وعيسى عليه السلام رفع إلى السّماء ولم يتزوّج، فليس له ذرّيّة ولا نسل.

وقد استجاب الله دعاء امرأة عمران فأعاذ مريم من الشّيطان الرّجيم، وأعاذ ذرّيّتها ـ ابنها عيسى عليه السلام ـ من الشّيطان الرّجيم أيضاً.

ولم يكن للشّيطان سبيل إلى مريم وابنها عيسى عليهما السّلام أيضاً حين ولادته.

بل إنّه لم يمسّ مريم حين ولادتها، ولم يمسّ عيسى عليه السلام أيضاً حين ولادته، وصرّح بهذه الحقيقة رسولنا ﷺ [1].

روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها**».

ثمّ قرأ أبو هريرة قول الله: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [2].

يفسّر لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث سرّ بكاء المولود عندما يخرج من بطن أمّه، ويبيّن أنّه بسبب مسّ الشّيطان له، وطعنه في بدنه!

تتابع أمّ أحمد السّرد فتقول لأولادها لأنّهم بانت في أعينهم أسئلة كثيرة، خاصّة أنّها لأوّل مرّة تتحدّث عن هذا الموضوع...

قالت: لا بدّ أن نأخذ كلام رسول الله ﷺ بالتّصديق كما قلنا سابقاً، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، وليس بالشّكّ والرّيب.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦﴾ [مريم: ١٦]، حديث رقم (٣٤٣١)، ورواه مسلم، حديث رقم (٢٣٦٦).

جميع الأولاد: ... صدّقنا يا أمّي...

سامي: ولكن هذه المرّة الأولى التي تحدّثت عنها!!!

جميل: نعم فلمَ تخبرينا عن ذلك؟؟؟

أحمد: يجب أن نقابل كلام رسول الله ﷺ بالتّصديق، وليس بالشّكّ والرّيب، كما قالت أمّي... فإنّنا نعلم أنّ العداوة بين الإنسان والشّيطان متأصّلة، وأنّ الشّيطان حريص على إيذاء الإنسان وإبعاده عن الله وإغوائه وإضلاله، وأنّ الله جعل له بعض القدرة على ذلك، امتحاناً من الله للإنسان(١).

أمّ أحمد: ولا يتعارض هذا الحديث الصّحيح مع أيّ تعليل ولا تفسير علميّ يقيني، لسرّ بكاء الطّفل عند خروجه من بطن أمّه، باعتباره سبباً آخر يضاف إلى مسّ الشّيطان له وطعنه في بدنه.

أمّا مريم وابنها عيسى عليهما السّلام فإنّ الله قد حماهما من هذه الطّعنة الشّيطانيّة، بفضل دعاء أمّها الصّالحة: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

ولمّا ولد عيسى عليه السلام وأراد الشّيطان أن يمسّه ويطعنه، حماه الله منه، فلم تصبه طعنةُ الشّيطان.

روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**كلّ بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن، فطعن في الحجاب**»(٢)(٣).

سامي: أريد أن أسأل سؤالاً من المرّة الماضية ولكن خجلت ولكن

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٨٠ بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/٥٢٣.

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٨٠ ـ ١٨١ بتصرف.

أعدت ذكر الدّعاء وأهمّيّته، قلت أنّ الله مدح آل زكريّا لأنّهم كانوا يسارعون في الخيرات، ويكثرون من الدّعاء، ولكنّني لم أفهم ما معنى رغباً ورهباً، فهل هذا يعني أنّه من الضّروريّ أن يتصدّق الإنسان وأن يكثر من الدّعاء.

الأمّ: طبعاً، ولكنّ الخيرات ليس معناها فقط تقديم الصّدقات، ولكن كلّ عمل ينفع النّاس فهو من الخيرات فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنًى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشرّ غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ**»[1].

جميل: هذا معناه أنّ على الإنسان المسارعة في الأعمال الجيّدة المفيدة لجهله بما يخبّئ له القدر، ولكن لم أفهم «**أو الدجال فشرّ غائب ينتظر**».

الأمّ: من علامات السّاعة خروج الدّجّال في آخر الزّمان وهو من أعظم علامات السّاعة، وسأخبركم به في حينه، إن شاء الله تعالى... لأنّنا سنتحدّث عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزّمان...

سامي: بقي الحديث عن الإكثار من الدّعاء، وما المقصود برغباً ورهباً.

الأمّ: هذا معناه أنّ الواجب أن يكثر الإنسان من الدّعاء كما ذكرنا سابقاً عن أهمّيّة الدّعاء... ألم نقل أنّ الدّعاء عبادة؟!... ولاحظنا أهمّيّة الدّعاء لكلّ الأنبياء من سيّدنا آدم عليه السلام إلى خاتم النّبيّين والمرسلين سيّدنا محمّد ﷺ وقد مرّت معنا في سورة البقرة آية توسّطت آيات الصّيام قال

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، حديث رقم (٢٣٠٦).

تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أمّا الحديث، عن سلمان عن النّبيّ ﷺ فقال: «**إنّ ربكم حييّ كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً**»[١] **وقال أيضاً**: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[٢].

ونهانا عن الدّعاء السّيّء على النّفس والأولاد والأموال فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توفقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**»[٣].

سامي: لا زال معنى ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾!!

الأمّ: كانوا يسارعون في الخيرات رغباً في رحمة الله، ورهباً من عذاب الله: أي خوفاً وطمعاً.

أحمد: وأنا أريد إيضاحاً ، فقد لفت نظري في سورة آل عمران أنّ الله تعالى كرّر كلمة اصطفاك مرّتين في آية واحدة فقال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ تكرّر ذكر اصطفاك فما السّبب يا ترى؟

الأمّ: هذا التّكرار كان لغاية إبلاغيّة، ولإظهار فضل هذه الصّدّيقة العذراء التي أحصنت نفسها عن الخطايا فقد خاطب الله تعالى الملائكة فأخبرها أنّ مريم عليها السّلام قد اصطفاها، أي اختارها لكثرة عبادتها وزهدها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانياً مرّة بعد

---

(١) رواه الترمذي، قال الترمذي: حديث حسن غريب، كتاب الدعوات، حديث رقم ٣٥٥٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط، حديث رقم (٣٠٠٩).

مرّة لجلالها على نساء العالمين، فهناك حديثان ذكرهما ابن كثير في تفسيره[1] لهذه الآية عن جلالة مريم على نساء العالمين فقال: عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»[2] **أخرجاه في الصّحيحين من حديث هشام به مثله، وقال التّرمذيّ... عن قتادة عن أنس أنّ رسول الله ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»**[3].

وبما أنّ الملائكة أخبرت مريم ﷺ بأن الله اصطفاها وفضّلها على نساء العالمين، فطالبتها بالصّلاة والعبادة... ولم تبيّن الآية عدد الملائكة التي أخبرت مريم باصطفاء الله لها وتطهيرها واصطفائها على نساء العالمين... طالبتها بالقيام بالعبادة والرّكوع والسّجود والصّلاة والقنوت شكراً منها لله الذي اصطفاها واختارها، فهي تقابل فضل الله عليها بطاعته وعبادته.

كما أنّ قيامها بذلك تهيئةٌ وإعدادٌ لتلقّي أمر الله، حيث سيحقّق فيها إرادته، ويجعلها تنجب ولداً من غير أب.

وهناك حديث آخر عن فضل مريم ابنة عمران عن موسى الأشعريّ ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص٣٧٠ ـ ٣٧١ بتصرف.

(٢) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، حديث رقم (٢٤٣٠).

(٣) رواه الترمذي، أبواب المناقب، باب فضل خديجة ﷺ، حديث رقم (٣٨٩٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ=

كمل عقل مريم لأنّ الله أجرى لها خارقة في ولادتها لعيسى وكمل عقل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، لأنّها اختارت الإيمان بالله، رغم أنّها امرأة لأظلم حاكم، وأعتى كافر، الذي ادّعى الألوهيّة والرّبوبيّة.

ولعائشة رضي الله عنها فضل على باقي النّساء كفضل الثّريد على باقي الطّعام، والثّريد هو الخبز يقطع ويفتّت، ثمّ يسكب عليه اللحم بالمرق.

الأب: إذن فضّل عائشة على نساء العالمين، وجعلها من خير وأفضل نساء العالمين، وهي خامسة أربع نساء ذكر رسول الله ﷺ فضلهنّ على باقي النّساء المؤمنات، وهناك أحاديث كثيرة تذكر تفضيل مريم ورجاحة عقلها[1].

تكمل أمّ أحمد وتقول: قنوت مريم وسجودها وركوعها مع الرّاكعين، والقنوت: هو طاعة مع الخشوع، والاستمرار على ذلك، والإخلاص في طاعة الله والخضوع له، والسّجود والرّكوع معروفان، باعتبارهما ركنين من أركان الصّلاة.

وقدّم السّجود على الرّكوع في الآية: ﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

حكمة تقديمه على الرّكوع أنّه هو الأنسب مع القنوت.

فالقنوت: هو لزوم الطّاعة مع الخضوع، كما قال الإمام الرّاغب في كتاب المفردات وهذا يناسبه ذكر السّجود بعده لأنَّ السّجود حركة عمليّة تمثّل غاية القنوت، وذروة الخضوع والخشوع.

= وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١١ ـ ١٢]، حديث رقم (٣٤١١).

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٨٩ ـ ١٩١ بتصرف... العودة إلى أحاديث رسول الله ﷺ بفضل مريم ابنة عمران على نساء العالمين.

فالإنسان عندما يسجد، ويضع جبهته على الأرض، ويناجي ربّه بخشوع يكون قانتاً خاضعاً خاشعاً.

كلّ هذا تحضيراً لها لتبشّرها بذلك الولد المعجزة، وكان هذا بعد فترة من الإخبار الأوّل، الله أعلم بمدّتها[1].

الأمّ مكمّلة حديثها بعد توقّف قصير قائلة: نعاود ذكر تلاوة الآيات من سورة آل عمران وإخبار مريم بعيسى عليه السلام.

أحمد: سأتلو الآيات بعد أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٨].

يتابع أحمد فيقول: «إذ» ظرف لما مضى من الزّمان، وهو في محلّ نصب مفعول به لفعل مقدَّر، وما بعده في محلّ جرّ مضاف إليه، والتّقدير: اذكر حين قالت الملائكة: أي اذكر قول الملائكة لمريم[2].

أمّ أحمد: بارك الله بك بنيّ...

وتتابع السّرد حتّى لا تنقطع الفكرة فتقول: الخطاب لرسول الله ﷺ ولكلّ مؤمن ذاكر متذكّر من بعده.

واختلف المفسّرون في الملائكة التي قالت لمريم هذا القول، وقدّمت لها هذه البشرى، هل هي مجموعة من الملائكة أم جبريل وحده؟

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٩٥.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٩٦.

ذهب بعضهم إلى أنّهم مجموعة من الملائكة، أرسلهم الله إلى مريم لتبشيرها بالبشرى، قبل أن يأتيها جبريل عليه السلام وينفخ فيها كما ذكرت آيات سورة مريم[1].

ولعلّ الحكمة من هذه الزّيارات المتكرّرة من الملائكة لمريم رضي الله عنها، تهيئتها وإعدادها للمعجزة القادمة، لتستعد لها نفسيّاً، فلا تكون مفاجأتها بها قاضية عليها عندما تقع.

إنّ الله يمهّد للحدث العظيم القادم، فقدّم لمريم كرامات متتابعة: فها هو رزقها يأتيها من عند الله بدون كسب ولا سعي، وها هي الملائكة تبشّرها بأنّ الله فضّلها على نساء العالمين، وها هو جبريل عليه السلام يبشّرها بأنّها ستلد ولداً من غير أب[2].

تابعت الأمّ سردها وقالت: جبريل عليه السلام يبشّرها بعيسى عليه السلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، هذه البشارة من الله لمريم، ولهذا أسندت في ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ ودور جبريل هو نقل البشرى وتوصيلها لها.

والتّبشير: هو إخبار المرء بالخبر الذي يسرّه.

اللّه يبشّر مريم: ويقدّم لها الخبر السّارّ، بأنّها ستنجب ولداً من غير أب، ورغم أنّ الحدث عظيم مدهش، يهزّ صاحبه هزّاً، إلّا أنّه سارٌّ مؤثّر، لأنّه يرفع مريم رضي الله عنها عند الله، ويعلي منزلتها عنده... ويكفيها فخراً ونعمة وذكراً أنّ الله اصطفاها من بين جميع النّساء، وجعلها المرأة الوحيدة في الدّنيا التي تحمل من غير زوج، وهي بكر عذراء، وتنجب بدون زواج ويكون ابنها نبيّاً رسولاً عليه السلام.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٩٨ ـ ١٩٩ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٩.

إنّها بشرى عظيمة، تحمل نعمة من الله غامرة رغم عظم دهشة ومفاجأة الحدث، ولهذا أرسل لها جبريل عليه السلام ليزفّ لها البشرى[1].

قال الله تعالى لمريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

يقاطعها سامي ويقول: لم أفهم!! ما معنى كلمة اللّه؟؟

أمّ أحمد: مهلاً... سأشرحها لكم، وسأشرح كيف يكون عيسى كلمة اللّه؟...

تتابع السّرد فتقول: سمّى الله عيسى عليه السلام بأنّه كلمة اللّه؟

سمّى الله عيسى عليه السلام بأنّه كلمته في هذه الآية ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لأنّ عيسى خلق ووجد بكلمة الله «كن» حيث أراد أن يخلقه خلقاً خاصّاً مباشراً فقال له: «كن»، وهذه هي الكلمة الإلهيّة، فكان ووجد كما أمر الله.

وهي الكلمة الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

خلق الله عيسى عليه السلام بكلمة «كن» وعبّر بأنّه كلمة منه، كما خلق آدم بكلمة «كن».

وأحال القرآن المستغربين من خلق عيسى عليه السلام على خلق آدم عليه السلام الذي خلقه الله بكلمة «كن» بدون أب أو أمّ. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

جميل: ولماذا وصف الله عزّ وجلّ عيسى بأنّه المسيح؟

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص١٩٩ ـ ٢٠٠ بتصرف.

أمّ أحمد تقول: أمامنا ثلاث كلمات: المسيح، وعيسى وابن مريم.

المسيح: لقب وعيسى هو الاسم، وابن مريم هو الوصف.

إنّ الاسم الصّريح هو عيسى، وهو النّبيّ الرّسول المذكور اسمه ضمن أسماء الأنبياء المذكورين في القرآن.

كما في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

ولقب عيسى هو «المسيح» ورد هذا اللقب إحدى عشرة مرّة في القرآن.

سمّي عيسى عليه السلام مسيحاً لكونه ماسحاً في الأرض، أي ذاهباً فيها[1].

وقيل: سُمّي مسيحاً لأنّه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ.

أمّا لماذا نسب عيسى إلى أمّه، لأنّه لا أب له عليه السلام ووردت جملة «ابن مريم» ثلاثاً وعشرين مرّة في القرآن ينسب عيسى فيها كلّها إلى أمّه مريم.

إنّ القرآن ـ كلام الله عزّ وجلّ ـ حريص على تمييز عيسى عليه السلام بالكلمات الثّلاث لما رافق خلقه وولادته وحياته من معجزات، ليؤكّد على بشريّته، وينقض مزاعم النّصارى حول ألوهيّته.

اسمه عيسى، ولقبه المسيح، ونسبته إلى أمّه مقصودة ومراده، ليكذّب النّصارى في زعمهم أنّه ابن الله ، تعالى الله عمّا يصفوه علوّاً كبيراً.

وقول الله تعالى إنّه ابن مريم، وأمّه معروفة، أنتم تعرفونها عن يقين، فكيف صار ابناً لله مع إنّه ابن مريم؟

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ بتصرف.

وهو المسيح في أعماله، ممسوح مسحه الله بالبركة، وماسحٌ يمسحُ على المرضى ويعالجهم فيشفون بإذن اللّه[1].

أحمد: ولقد ذكر الله ﷻ في سورة آل عمران تكملة للآيات يذكر فيها خمس صفات لعيسى ابن مريم، فبعدما بشّرها جبريل عليه السلام بعيسى، ذاكراً اسمه ووصفه ولقبه: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ذكر بعد ذلك أحواله فقال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٦].

ومن صفات عيسى عليه السلام المذكورة في هذه الآيات:

١ ـ ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: إنّه ذو وجاهة ومنزلة عالية، وذو شرف وكرامة عند الله، في الدّنيا حيث حفظه وحماه من أعدائه، وفي الآخرة، حيث جعله في أعلى منازل الجنّة مع سائر المرسلين.

٢ ـ ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: عيسى عليه السلام من عباد الله المقرّبين، الذين قرّبهم الله منه، وأعلى منازلهم عنده، والمقرّبون هم السّابقون الذين يسبقون أصحاب اليمين إلى الجنّة، ومنازلهم في الجنّة أعلى من منازل أصحاب اليمين، والمرسلون هم أئمة المقرّبين السّابقين.

٣ ـ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾: عيسى عليه السلام سيكلّم النّاس في المهد، فور ولادته، وذلك عندما يفاجؤون بمريم تحمله، وتذهب بهم الظّنون كلّ مذهب، فينطقه الله وهو ابن ساعات، ويكلّم النّاس، ويقدّم نفسه إليهم، ويبرئ أمّه من كلّ تهمة.

٤ ـ ﴿وَكَهْلًا﴾: كما أنّه سيكلّمهم في حال كهولته وشيخوخته: «وكهلاً» ولعلّ هذه إشارة إلى نزول عيسى عليه السلام في آخر الزّمان، عند نزوله من السّماء إلى الأرض.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٠٢.

ويكون الإخبار عن صفات وأحوال عيسى عليه السلام هكذا: إنّ الله يبشّرك بعيسى المسيح: وجيهاً في الدّنيا والآخرة، ومقرّباً عند الله في الدّنيا والآخرة، وكلّم النّاس كهلاً شيخاً، وصالحاً من الصّالحين[1]!.

أمّ أحمد: نعود من جديد إلى الأحداث بالتّفصيل الممتع والحوار الذي دار بين جبريل عليه السلام وبين مريم...

أحمد: هل تقصدين الآيات في سورة مريم؟؟ سأتلوها إذن... بعد أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: ١٦ ـ ٢١].

أمّ أحمد: المراد بالكتاب هنا القرآن الكريم الذي أنزله الله عزّ وجلّ على محمّد ﷺ... أي اذكر يا محمّد للمشركين بما أنّها نزلت بمكّة وترتيبها حسب النّزول كما قلنا سابقاً (٤٤) أي في الثّلاث سنوات السّرّيّة، فمن سمع بمحمّد ﷺ ذكر هذه الآيات، اذكر قصّة مريم وحملها بعيسى ووضعها له، واتل عليهم هذه الآيات، وأسمعهم إيّاها...

وذكرك يا محمد لهذه الآيات دليل على أنّك رسول الله، وأنّ الله هو الذي أنزلها عليك فلولا إنزالها عليك من الله لما علمت بها، لأنّك أُمّيّ لم تتعلّمها من أحد ولم ترد في كتب النّصارى على ما وردت عليه في القرآن[2]!

وحتّى نعرف ذلك نعود لسيرة رسول الله ﷺ فبعد الجهر بالدّعوة

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ بتصرف.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢١٣.

وتعرّض المؤمنين لأذى كفّار قريش هاجر المؤمنون الضّعفاء إلى الحبشة، وكان النّجاشيّ ملك الحبشة... وهي قصّة طويلة لن نذكرها هنا ولكن فقط أسلّط الضّوء على ما قاله النّجاشيّ بعدما سمع من جعفر[1] ﷺ في حديث رواه الإمام أحمد في المسند[2]، حين قرأ جعفربعضاً من سورة مريم... بكى النّجاشيّ حتّى اخضلّت لحيته، وبلّلها بدموعه، وبكى البطارقة والأساقفة، حتّى بلّلوا مصاحفهم بدموعهم متأثّرين بما سمعوا من آيات القرآن.

بعد ذلك قال النّجاشيّ: هذا القرآن الذي سمعناه، والذي جاء به موسى يخرجان من مشكاة واحدة[3].

الجدّ: بارك الله بك أمّ أحمد... هناك آيات في سورة المائدة أنزلها الله ﷻ في النّجاشيّ وأمثاله، قال تعالى: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥].

إنّ موقف النّجاشيّ الرّائع من سماعه آيات سورة مريم وما نزل فيها من الآيات دليل على أنّ النّصارى الصّادقين يتأثّرون عندما يسمعون الآيات، ويؤمنون بها، ويعتبرونها دليلاً على إثبات نبوّة محمّد ﷺ[4].

---

(١) جعفر ابن أب طالب ابن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، وهو ابن عم الرسول ﷺ.
(٢) رواه أحمد بن حنبل في المسند.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢١٤ ـ ٢١٥ بتصرف.
(٤) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢١٦.

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً... نتابع ما حدث مع مريم ﵂ وقد فارقت قومها: أي اعتزلت قومها، ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: أي انفردت عن أهلها، وذهبت إلى مكان جهة الشّرق ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: ١٦]، لمّا ذهبت إلى ذلك المكان الشّرقيّ، اتّخذت حجاباً ساتراً، يسترها عن أهلها وعن النّاس الآخرين.

ولم تُحَدِّد الآيات السّبب الذي دفع مريم إلى الانتباذ من أهلها، وهذا من مبهمات القرآن، التي لا نخوض في بيانها، ولسنا مع المفسّرين الذين قالوا: إنّها ابتعدت عن أهلها لمّا جاءها الحيض، فهذا ممّا لا دليل عليه.

كذلك لم تحدّد الآيات المكان الذي كان يقيم فيه أهلها، ولا المكان الذي انتبذت منهم إليه، ولا المسافة بين المكانين، وهذا أيضاً من مبهمات القرآن، فقد يكون المكانان في بيت المقدس، وقد يكونان في غيرها، وقد يكون ذهابها إلى المسجد الأقصى، وقد يكون ذهابها إلى مكان قريب منه، أو إلى مكان آخر. فهذا ما لا نخوض فيه، ولا إمكانيّة لمعرفته الجازمة، ولا فائدة من ذلك[١]!

إنّ قوله تعالى: ﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ يدلُّ على أنّ مريم ﵂ كانت تحبّ أن تخلوَ إلى نفسها، وأن تنفرد عن أهلها والنّاس الآخرين، وأن تقبل على عبادته وذكره ومناجاته...[٢]. بينما كانت في ذلك المكان الشّرقيّ وحيدة، تخلو إلى نفسها، وتنشغل في أورادها وأذكارها ومناجاتها، شاء الله أن يحقّق البشارة السّابقة التي بشّرها بها جبريل ﵇، وأن ينفّذ لها وعده بإنجابها الولد.

أرسل الله لها وهي في ذلك المكان جبريل ﵇[٣]، ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢١٧.
(٢) المرجع السابق، ص٢١٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢١٨.

رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ والفاء في ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ حرف عطف، وما بعدها معطوف على ما قبلها، أي: أرسلنا إليها روحنا بعدما اتّخذت حجاباً في ذلك المكان الشّرقيّ.

﴿رُوحَنَا﴾ هنا هو جبريل عليه السلام.

وأطلق القرآن على جبريل عليه السلام ﴿رُوحًا﴾ في أكثر من آية[1].

أحمد: هل أذكرها؟

أمّ أحمد: تفضّل بنيّ ما دمت قد حفظت آيات الله عز وجل.

أحمد: في سورة الشّعراء: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤]، سورة الشّعراء مكّيّة ترتيبها حسب النّزول ٤٧، وهي السّورة التي أمر الله نبيّه بها ﷺ أن يبلّغ رسالته وهذه الآيات الواضحة بنزول الوحي جبريل عليه السلام لإثبات نبوّته ورسالته ليكون من المنذرين.

ونزلت أيضاً في سورة القدر ومنها قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٣ ـ ٤] ورقمها حسب النّزول ٢٥ أي في أوائل ما تنزّل على قلب رسول الله ﷺ.

وعطف في الآية «الرّوح» على الملائكة، مع أنّ جبريل عليه السلام أحد الملائكة من باب عطف الخاص عّلى العامّ، لإبراز أهمّيّة هذا الخاصّ.

ومنها قوله تعالى في سورة النّحل: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠١ ـ ١٠٢]، سورة مكّيّة ورقمها حسب النّزول

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢١٨.

(٧٠)، والكلام في الآية عن إنزال القرآن على رسول الله ﷺ، وأطلقت الآية على جبريل عليه السلام أنّه «روح القدس»، أي: الرّوح الأمين المقدّس المصهر، الذي هو مُنَزَّهٌ عن كل مخالفةٍ أو ذنبٍ أو معصية.

وإضافة جبريل إلى الله في قوله: ﴿رُوحَنَا﴾ من باب تكريمه وتعظيمه، وذلك كإضافة الرّسول إلى الله في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة: ١٩].

والمراد بقوله: «رسولنا» هنا محمّد ﷺ.

ووصف جبريل عليه السلام بأنّه روح، لأنّه ينزل بالوحي على أنبياء الله ورسله، وهذا الوحي المتضمّن كتب الله وأحكامه فيه حياة قلوب وأرواح المؤمنين.

فكلام الله روحٌ يحيي به الله القلوب والأرواح، وحامل هذه الرّوح هو جبريل روح الله عليه السلام[١].

الجدّ والجدّة: ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله، حفظك المولى من كلّ عين لامّة ومن كلّ شيطان وهامّة[٢].

الوالدان: آمين يا ربّ العالمين.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، حديث رقم (٢٠٥٩)، «أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله إنَّ وَلَدَ جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم؟ فقال: نعم، فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين». وحديث رقم (٢٠٦٠).

عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**». ويقول: هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السّلام».

أمّ أحمد تتابع قصّة مريم عليها السّلام فتقول: لمّا أرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم مكّنه من أن يتحوّل من صورته الملائكيّة الحقيقيّة الضّخمة التي خلقه عليها، إلى صورة آدميّة بشريّة: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ و﴿بَشَرًا﴾ حال من جبريل منصوب. و﴿سَوِيًّا﴾ نعتٌ للحال منصوب. ومعنى ﴿سَوِيًّا﴾ مستوياً، سويَّ الخلق، كاملَ الآدميّة.

وهذا الوصف للتّأكيد على بشريّة جبريل عليه السلام عندما واجه مريم في خلوتها.

ومرّ معنا ﴿سَوِيًّا﴾ في الآيات السّابقة من سورة مريم، في خطاب الملائكة لزكريّا عليه السلام ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

وتحوّل الملك جبريل عليه السلام إلى بشر سويّ، دليل على قدرة الملائكة على التّحوّل من صورتهم الملائكيّة إلى صورة بشريّة، وأنّهم يفعلون ذلك بإذن الله ومشيئته سبحانه، وأنّهم عندما تنتهي مهمّتهم التي كلّفهم الله بها، يعودون إلى صورتهم الملائكيّة الحقيقيّة.

وعندما يتحوّلون إلى الصّورة البشريّة فإنّهم يتمثّلون في صورة رجال، وليس في صورة نساء ـ كما ذكرنا في قصّة إبراهيم ولوط عليهما الصّلاة والسّلام ـ.

وعدم تمثيلهم في صورة نساء ليؤكّدوا على تكذيب الكفار الذين زعموا أنّ الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً[1].

فوجئت مريم العذراء البتول برجلٍ غريب واقفاً أمامها، وهي وحيدة بعيدة عن أهلها، وأصابها خوف كبير.

ماذا تفعل؟ هل تصرخ؟ وتستنجد بالنّاس؟ إنّهم بعيدون عنها! هل تقاوم هذا الرّجل؟ إنّها فتاة ضعيفة لا تقدر على دفعه ومقاومتّه لأنّه أقوى منها!

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٢٠.

ليس أمامها إلّا أن تلجأ إلى الله ربِّها، وأن تلوذ إليه وتحتمي به، وهي توقن أنّ الله سيحميها ويعيذها، ولذلك خاطبت هذا الرّجل بأنّها تعوذ باللّه الرّحمن منه، واستحيت التّقوى في قلبه[1]!

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٨].

قالت للرّجل الغريب: إنّي أعوذ بربّي الرّحمن منك، وأطلب من ربّي أن يحميني منك.

و﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ جملة شرطيّة ﴿كُنتَ تَقِيًّا﴾ فعل الشّرط، وجواب الشّرط محذوف مفهوم من السّياق. والتّقدير: إنْ كنتَ تقيّاً تخاف الله، فلا تقترب منّي، ولا تمسّني بأذى[2].

أحمد: أي أستجير بالرّحمن منك أن تنال منّي ما حرّمَهُ الله عليك إن كنت ذا تقوى، تتقي محارم الله، وتتجنب معاصيه، لأنّ من كان تقيّاً لله يتجنب ذلك[3].

جميل: هل معنى هذا أنّ على الإنسان مدافعة الشّرّ عن نفسه بالكلام الليّن؟ هذا شيء يُطْمِع الأعداء!!

الأمّ: أوّلاً بارك الله بك بنيّ أحمد على هذا التّوضيح ليصل المفهوم إلى سامي أيضاً، أمّا ردّاً على جميل، ألَمْ أذكر لكم أن الاستعاذة والتّخويف لا يؤثّران إلّا في التّقيّ، فإذا لم يتأثّر المهاجم عليك اتّخاذ إجراءات غيرها، ولكن عليك أوّلاً، وبادئ ذي بدء أن تبدأ بالدّفاع السّلمي كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٢٠.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٢١.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٢١.

سامي: أي إنّ الإنسان يأثم إذا بدأ دفاعه عن نفسه بأسلوب القوّة؟

الأمّ: هذا صحيح فلماذا تقاتل إذا كان بإمكانك الحصول على مرادك بشكل سلميّ؟ إنّك بهذا تكون أهوجَ وسفيهاً[1].

تصوّر لو أنّ السّيّدة مريم ﵂ عندما فوجئت بوجود الرّجل الغريب أمامها بادرته بالصّراخ والعويل، أو إبداء الجزع، فما الذي كان سيحصل؟ لا شيء، فالرّجل سيختفي من أمامها لأنّه ملك وليس إنساناً...

سامي: بماذا أجابها الرّجل؟ أقصد المَلك جبريل ﵇؟

الأمّ: زرع الطّمأنينة في قلبها عندما أخبرها بحقيقته ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩].

فوجئت بهذه المصارحة، هي وحدها، وهو رجل أمَامها وأن تحمل هي بغلام!

مع العلم أنّ جبريل ﵇ سبق وجاءها في صورة رجل، وأخبرها بالبشرى السّارّة، وهي أن الله سيجعلها تحمل بولد من غير بعل[2].

قال تعالى في سورة آل عمران وهي مدنيّة وترتيبها حسب النّزول (٣): ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧].

فهي قد سبق علمها بذلك، ولكن لعلّها مع الهزّة المفاجئة، والخوف الشّديد، والخجل البالغ من رؤية الرّجل الغريب أمامها نسيت ذلك، وسيطر عليها الفزع والتّوتّر والقلق والخجل.

---

(١) السفيه: من يتصرّف بدون تفكير سليم.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٢٢.

إنّه يخبرها أنّه رسول من ربّها، فهل تثق به وتطمئنّ إليه؟

وبما أنّه صارحها بأنّه سيهب لها غلاماً زكيّاً ـ والزّكيُّ هو الطّاهر من الذّنوب، المطهّر من الخبائث والمعاصي والنّقائص ـ فلا بدَّ أن تستعلي على خجلها وهي العذراء البتول العفيفة، ولا بدّ أن تصارحه، فهذا الموقف لا ينفع به إلّا المصارحة[1].

قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٢١].

جميل: (كذلك) وردت مرّتين في قصّة زكريّا ومريم فلماذا حرّكت بالفتح في المرّة الأولى، وبالكسر في المرّة الثّانية؟

الأمّ: إنّ هذه الكلمة اسم إشارة للبعيد، والكاف فيه ضمير متّصل للمخاطب يمكن تصريفه إفراداً وتثنية وجمعاً... كباقي الضّمائر.

أحمد: أي: ذلكَ، ذلكِ، ذالكما، ذلكم، ذلكنّ...؟!

الأمّ: أجل لكنّ اللغويين اكتفوا بواحدة منها، لذا استغربتموها.

تابعت الأمّ: سكتت مريم رضي الله عنها عن هذا الكلام لعلمها أنّ الله تعالى لا يُسأل عمّا يفعل، وما دام قد قال «كن» فلا بدّ أن يكون، وهو جلّ جلاله قادر على أن يخلق ما يشاء بغير أسباب.

استأنفت الأمّ السّرد: لن ندخل في تفاصيل الحمل، وكم استمرّ، وماذا فعلت مريم في ذلك الوقت، فقد خاض فيه المفسّرون كثيراً.

نقول: أخبرنا الله أنّ جبريل عليه السلام نفخ في مريم من روح الله فحملت بعيسى عليه السلام.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٢٢.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: ٩١].

وفي سورة التّحريم: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: ١٢].

(وبما أنَّ جبريل عليه السلام نفخ في مريم من روح الله، وتكوّن من تلك النّفخة عيسى عليه السلام، فقد اعتبر عيسى كلمة الله التي ألقاها إلى مريم، كما اعتبر روحاً من الله سبحانه، والتي لا يعلم سرّها ولا حقيقتها أحدٌ من خلقه)[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٧١].

الجدّ: فقط أودّ تسليط الضّوء على النّفخ في مريم... هو غيبيّ، لا نعرف كيفيّة النّفخ، وعقولنا لا تدركها... وانتقلت هذه «الروح» النّفخة من فرج مريم إلى رحمها، وهناك صارت هذه النّفخة الرّوح جنيناً حيّاً، ولا نعرف كيف انتقلت ولا كيف صارت جنيناً حيّاً، ولا ما الذي جرى في رحم مريم من تطوّرات وتفاعلات لتتحوّل هذه النّفخة الرّوح إلى جنين حيّ.

لا نعرف ذلك لأنّه عالم الغيب وعقولنا البشريّة لم تجهَّز بوسائل للخوض في عالم الغيب، لأنّ الله زوّدها بالوسائل التي تعينها على تحقيق خلافة الإنسان في الأرض.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٣٣.

أمّا عالم الغيب فطريق العقل المسلم إلى معرفته هو النّصّ، المتمثّل في الكتاب والسّنّة، حيث يؤمن بما ورد في النّصّ، ويكون دوره هو تدبّر النّصّ وحسنُ فهمه وفقهه وتأويله.

وهكذا حملت مريم ﵂ وهي البكر العذراء البتول الطّاهرة بابنها عيسى، بعدما نفخ جبريل فيها من روح اللّه[1].

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً يا عمّي فقد قرأت السّؤال في وجه جميل وسامي، ومع تبسيطك للمعلومة إلّا أنّني متأكّدة أنّ الفكرة لم تصل بعد... حتّى تصلوا إلى صفّ أحمد لدراسة كيفيّة معرفة الأمور الغيبيّة!!! فلا تتعبوا تفكيركم وقولوا آمنّا بما قال تعالى وبما قال رسول الله ﷺ.

جميل وسامي: يردّدان ما قالته والدتهما...

استأنفت الأمّ القصّة: ولمّا ذهبت إلى المكان القصيّ... هناك أحاديث تدلّ على مكان ولادة عيسى ﵇ فقد جاء في حديث رواه النّسائيّ ليلة مرّ رسول الله ﷺ ببيت لحم، وأمره جبريل ﵇، أن ينزل فيصلّى فيها، أخبره أنّها مكان ميلاد عيسى ﵇[2].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٣٥ بتصرف.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك ﵁ واختلاف ألفاظهم فيه، حديث رقم (٤٤٨)، حدثنا أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا فَرَكِبْتُ وَمَعِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَسِرْتُ، فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَفَعَلْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ، صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ وَإِلَيْهَا الْمُهَاجَرُ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ، صَلَّيْتَ بِطُورِ سَيْنَاءَ حَيْثُ كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلْتُ فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ، صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْم حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِي الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَام، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَإِذَا فِيهَا ابْنَا الْخَالَةِ عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَام، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَإِذَا فِيهَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صُعِدَ=**

جميل: لِمَ ذهبت مريم إلى ذلك المكان القصيّ في بيت لحم؟

أمّ أحمد: أحسّت بآلام المخاض والطّلق والوضع قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾.

الفاء في الفعل: (فأجاءها) حرف عطف، يدلُّ على التّرتيب والتّعقيب الفوريّ، وما بعدها معطوفٌ على ما قبلها، والتّقدير: فحملته، فانتبذت به، فأجاءها المخاض...!!

والتّعبير عن مراحل حملها بعيسى وولادته بالفاء، الدّالّة أصلاً على التّرتيب مع التّعقيب الفوريّ، جعل العلماء يختلفون في مدّة حملها بعيسى: هل حملته حملاً طبيعيّاً، استمرَّ مدّة تسعة أشهر كما تحمل النّساء، أم كان حملاً خاصّاً لم يستمرّ أكثر من ساعات.

ذهب بعض العلماء إلى أنّ حملها استمرّ تسعة أشهر.

وممّن قال بذلك الإمام ابن كثير، وحمل «الفاء» الدّالّة على

= بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَإِذَا فِيهَا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَإِذَا فِيهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صُعِدَ بِي فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ فَأَتَيْنَا سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَتْنِي ضَبَابَةٌ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، فَقِيلَ لِي: إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَرَجَعْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ يَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَمْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِهَا أَنْتَ وَلاَ أُمَّتُكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ أَتَيْتُ مُوسَى فَأَمَرَنِي بِالرُّجُوعِ، فَرَجَعْتُ فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ رُدَّتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّهُ فَرَضَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ صَلَاتَيْنِ فَمَا قَامُوا بِهِمَا، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلْتُهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ: إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً فَخَمْسٌ بِخَمْسِينَ فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِرًّى، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ صِرًّى أَيْ حَتْمٌ فَلَمْ أَرْجِعْ».

التّعقيب، على ترتيب وتعقيب مراحل الحمل التي يمرّ بها الجنين، على التّفاوت الزّمنيّ بينها[1].

الجدّ: مداخلة بسيطة فقط حتّى نعرف أنّه لم يرد مدّة الحمل إلّا هنا في الآيات التي ذكرت ولادة عيسى عليه السلام فيمكن أن يكون الحمل لساعات... «فالمشهور الظّاهر ـ والله على كلّ شيء قدير ـ أنّها حملت به كما تحمل النّساء بأولادهنّ»[2]. أمّا ابن عبّاس فذهب إلى أنّ مدّة حملها كانت سريعة.

والله أعلم بمدّة حمله لا زال العلماء يختلفون في تحديد مدّة الحمل لذا إن كان خلال تسعة أشهر أو كما قال ابن عبّاس لم يستمرّ أكثر من ساعات وأنّها ما أن حملت به وهي في «المكان الشّرقيّ»، حتّى انتبذت به إلى «المكان القصيّ» ـ بيت لحم ـ وهناك أجاءَها المخاض إلى جذع النّخلة، مع العلم أنّني أميل إلى قول ابن عبّاس وممّا يقوّي ميلنا هو التّعبيرُ بالفاء الدّالّة على التّرتيب والتّعقيب الفوريّ، والتي ترتّب المراحل ترتيباً سريعاً فوريّاً[3] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٢ ـ ٢٣].

أمّ أحمد تتابع السّرد فتقول: لجأت مريم إلى جذع النّخلة الموجودة في «المكان القصيّ»، سكتت الأمّ فقد لفت نظرها ما يدور في ذهن أبي أحمد.

أبو أحمد: لقد ورد في الآية الكريمة ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣].

---

(١) ابن كثير، الجزء الثالث، ص١١٤.
(٢) الخالدي، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٤٣.
(٣) الخالدي، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٤٤.

جاءت كلمة نخلة معرّفة بأل، ممّا يدلّ على أنّها نخلة معروفة شهيرة عندهم، ولولا ذلك التّعريف لكان المعنى أنّ مريم ﵂ ذهبت إلى مكان كثير النّخل فجلست إلى إحداها، ويقال إنّ هذه النّخلة كانت عقيماً ويقال إنّها كانت يابسة ولكنّها أثمرت لاكتمال المعجزة.

جميل: لماذا ذهبت إلى النّخلة؟

الأب: لتستند إليها عند الولادة، فالحامل ـ عادةً ـ تحتاج عند الولادة أن تتمسّك بشيء قويّ تستعين به. عندما وصلت السّيّدة مريم إلى هذه السّاعة، أحسّت بخطر ما هي مقبلة عليه، فماذا ستقول لأهلها وقومها؟

ومن هو والد هذا الغلام؟

هل سيصدّقون ما حصل معها؟ لم تعد تحتمل التّفكير في هذا الأمر فتمنت لو أنّها لم تولد، أو لو أنها ماتت قبل هذا ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

أحمد: هل يجوز للإنسان أن يتمنّى الموت؟ لقد قرأت أنّ النّبيّ ﷺ نهى عن هذا، فقال: «**لا يتمنَّ أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً**»(١).

الأب: يكون تمنّي الموت جائزاً في مثل حال السّيّدة مريم. فهي «إنّما قالته عليها السّلام مع أنّها تعرف ما جرى بينها وبين جبريل ﵇ من الوعد الكريم استحياءً من النّاس وخوفاً من لائمتهم، أو حذراً من وقوع النّاس في المعصية بما يتكلّمون فيها. وروي أنّها سمعت نداء:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت، لضر نزل به، حديث رقم (٢٦٨٢).

«اخرج يا من يعبد من دون الله تعالى، فحزنت لذلك وتمنّت الموت...»[1].

استعادت الأمّ زمام القصّة: لمّا تمنّت السّيّدة مريم العذراء الموت ناداها منادٍ من تحتها يطمئنها ويزرع الأمان والسّلام في قلبها ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤].

سامي: ومَن هو المنادي؟

الأمّ: اختلف المفسّرون في ذلك والرّاجح أنّ ابنها هو الذي ناداها من تحتها وقد ذكرنا الآيات في سورة مريم [٢٤ ـ ٢٦].

إنّ الله هو الذي ألهم عيسى عليه السلام أن يقول لأمّه هذا القول، وأنطقه بهذا الكلام، وإلّا فما أدراه بهذه الخطّة العلميّة الحكيمة، ولم تمضِ على ولادته إلّا لحظات[2].

سامي: أيّ وادٍ؟

الأمّ: وادي بيت لحم.

جميل: ما معنى «سريّاً"؟

الأمّ: السّريّ هو الجدول أو النّهر، وهي كلمة سريانيّة. لقد طمأنها المنادي إلى وجود ما يغنيها في هذا الوقت عن المعين من البشر، فجذع النّخلة يسندها، وجدول الماء يسير من أمامها، ولم يبقَ ماينقصها إلّا الطّعام، لذا قال لها الملَك: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥]. وهذه كرامة عظيمة لمريم، لأنّ أفضل غذاء للمرأة الحامل أو النّفساء التّمر والرّطب.

---

(١) الألوسي، محمود، روح المعاني، المجلد الرابع، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٤٠٠٠.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٥٢.

أحمد: هل كانت السّيّدة مريم تستطيع في حالتها هذه هزّ الأشجار؟ لماذا لا يتساقط عليها التّمر دون هزّ؟

الأمّ: كان ذلك لحكمة شاءها الله تعالى هي الأخذ بالأسباب، فيكفي أن تضع يدها الشّريفة على الجذع وتهزّه بشكل خفيف لتبدي طاعتها التّامّة لأوامر الله تعالى.

سامي: ولكنّ النّخل لا يتساقط ثمره بالهزّ، فهو شجر قاسٍ، كالأعمدة.

الأمّ: إنّ السّيّدة مريم الطّائعة لأوامر ربّها كانت تعلم مدى صلابة هذه الشّجرة، ومع ذلك فقد نفّذت أمر ربّها، وهذا منتهى العبوديّة والطّاعة.

ولزيادة الطّمأنينة في قلبها أمرها ابنها عيسى عليه السلام، إذا رآها أحدٌ ممّن يعرفها، وسألها عن شيء من حالها أن لا تردّ عليه، ولكن تشير إليه أنّها قد نذرت صوماً للّه، وهذا الصّوم عبارة عن عدم الكلام ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

أحمد: لم يرد في الآية عبارة "أشيري» بل «قولي».

الأمّ: من معاني (قال) أشار، وقد ورد هذا المعنى في حديث لسيّدنا محمّد ﷺ في باب التيّمّم: «... **إنما كان يكفيك أن تقول بيدك هكذا، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه**»[1].

جميل: هذا يشبه ما حدث لسيّدنا زكريّا عندما صام عن الكلام.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب التيمم ضربة، حديث رقم (٣٤٣)، وصحيح مسلم (٣٦٨).

الأب: هناك فرق (بين صوم مريم وصمت زكريّا، إنّ صمت زكريّا كان لا إراديّاً حيث كان الله يمسك لسانه عن الكلام إذا واجه النّاس، وعندما كان يحاول الكلام كان لسانه لا يطاوعه، ولا تخرج الكلمات منه. أمّا صوم مريم عن الكلام فقد كان صوماً إراديّاً واختياريّاً، فهي صامتة لأنّها نذرت بإرادتها لربّها صوماً، وكلاهما صمت وامتناع عن الكلام، وكلاهما كان آية لصاحبه...)[1].

جميل: ولكنّه شيء صعب! كيف يستطيع الإنسان أن يظلّ صامتاً بينما النّاس يكلّمونه؟

الأب مبتسماً: (دخل على عبدالله بن مسعود ﷺ رجلان، فسلّم أحدهما ولم يسلّم الآخر. فقال ابن مسعود: ما شأنك؟ فقال أصحابه: حلف أن لا يكلّم النّاس اليوم، فقال له ابن مسعود: كلّم النّاس، وسلِّم عليهم، فإن تلك المرأة علمت أنّ أحداً لا يصدّقها أنّها حملت من غير زوج...)[2].

ابتسم الجميع وقال سامي: ماذا حدث بعد ذلك؟

الأمّ: لقد حدث ما كانت تخشاه، رآها بعض النّاس وشاهدوا معها وليدها الذي كانت تحمله إلى قومها، فسألوها عنه ففعلت كما أمرت، ولم تردّ بأيّة كلمة.

لم يرتدع اليهود ـ قومها ـ بما قالت، بل نادوا بعضهم ونعتوها بأقبح النّعوت، حتّى الحكماء منهم الذين يعرفون كيف يتكلّمون وكيف يتصرّفون جاؤوا وقالوا لها: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [مريم: ٢٨].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٦٦.

(٢) الخالدي، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٦٦، من تفسير الطبري تقريب وتهذيب ٢٣٢/٥.

الأمّ: بما أنّ السّيّدة مريم ﵂ صائمة، وكانت في غاية القوّة والشّجاعة والثّقة والطّمأنينة، لأنّها توقن أنّ الله معها، وتعلم أنّها لم ترتكب خطأ والله هو الذي خلق في رحمها عيسى ﵇، فلماذا تخشى مواجهتهم؟ وصلت مريم إلى أهلها، ونظروا إليها وقد سيطرت الدّهشة عليهم! إنّ ابنتهم طاهرة عذراء عفيفة، وهم يعلمون هذا عن يقين، فما الذي يرونه منها؟ لقد أنطقتهم الدّهشة والمفاجأة بعبارة ساخرة مُتّهمَة. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٢٨].

أشاروا إلى طهارة منبتها، وعفّة أفراد أسرتها، واستقامة أخيها ووالديها فقالوا: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾... ذكرنا سابقاً أن أخاها هارون ولم أذكر الحديث.

روى مسلم والتّرمذيّ عن المغيرة بن شعبة ﵁ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران.

فقالوا: ألستم تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾؟

قلت: بلى.

قالوا: وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته.

فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم**»[1].

فهذا الحديث الصّحيح صريح في أنّ هارون أخٌ شقيق لمريم كما شرحنا سابقاً.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم (٢١٣٥)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم، حديث رقم (٣١٥٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

تتابع أمّ أحمد السّرد فتقول: لمّا سمعت مريم كلام قومها عزّ عليها اتّهامهم الضّمنيّ لها ولو تكلّمت فقد لا يسمعون لها، ثمّ هي ناذرةٌ للرّحمن صوماً عن الكلام، وبما أنّها سمعت كلام وليدها لها، فور ولادته، فإنّها أحالت الجواب عليه!

فقد أشارت إلى الوليد بمعنى أن اسألوه... فلمّا سألوه قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

ـ تدخّل جميل قائلاً: كيف عرفت السّيّدة مريم أنّ الطّفل سيتكلّم؟!

ـ **الأمّ**: قلت لكم مسبقاً إنّ المفسّرين اختلفوا في تفسير الذي ناداها من تحتها. سؤالك هذا كان أحد الأسباب لإيجاد تفسير آخر. فبعض المفسّرين قالوا إنّ المنادي كان عيسى عليه السلام، وهو الذي قال لها: لا تخافي ولا تحزني ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٣٣].

ـ **جميل**: طفل صغير لم يتجاوز عمره اليوم أو الأيّام يتكلّم؟!

ـ **الأمّ**: أتسأل أم تتعجّب؟

ـ **جميل**: لا هذا ولا ذاك، ولكنّني أتفكّر بصوتٍ عالٍ في عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى. هل تكلّم أحد غير سيّدنا عيسى المسيح في المهد؟

ـ **الأمّ**: نعم. فقد ورد عن سيّدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام عدّة أحاديث بهذا الخصوص، سأكتفي بواحد منها: «لم يتكلّم في المهد إلّا ثلاثة: عيسى، وصاحب جريج، وصبي آخر...»[1].

---

(١) رواه أبو هريرة.

ـ **أحمد**: ومن هو صاحب جريج؟ ومن هو جريج؟

ـ الأب: كان جريج رجلاً عابداً، فاتّخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمّه وهو يصلّي، فقالت: يا جريج، فقال: يا ربِّ أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت. فلمّا كان من الغد أتته وهو يصلّي، فقالت: يا جريج، فقال: أي ربِّ أمّي وصلاتي. فأقبل على صلاته، فلمّا كان من الغد أتته وهو يصلّي فقالت: يا جريج، فقال: أي ربِّ أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته فقالت: اللَّهمَّ لا تمته حتّى ينظر إلى وجوه المومسات[1]. فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغيٌ يُتَمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتنّنه، فتعرّضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها، فحملت. فلمّا ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك. قال: أين الصّبيّ؟ فجاؤوا به فقال: دعوني حتّى أصلّي، فصلّى، فلمّا انصرف أتى الصّبيَّ فطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الرّاعي. فأقبلوا على جريج يقبّلونه ويتمسّحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا[2].

ـ **سامي**: كلّ هذا لأنّه تابع صلاته ولم يُجِبْ أمّه؟

ـ **الأمّ**: طبعاً، فبرّ الوالدين من أفضل الأعمال التي يقوم بها الإنسان بعد الإيمان باللّه تعالى.

ـ **أحمد**: إذن، لقد أعلن عبوديّته لله بقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، فهو مخلوق كسائر المخلوقات، بل إنّه أخو (آدم) في طريقة الخلق، فآدم

---

(١) المومسات: الزواني.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، حديث رقم (٣٤٣٦).

مخلوق بلا أب ولا أم، بل من التّراب، ونفخ الرّوح، وكلمة كن، وعيسى خلق بالنّفخ في مريم، وكلمة كن، وبهذا أعلن براءة أمّه ممّا نسبه إليها اليهود المفترون.

ـ الأب: أجل، وقد ورد تشبيه عيسى بآدم في طريقة الخلق في القرآن الكريم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]. وقد نهانا الله تعالى عن مجادلة المكذّبين الذين لا يريدون التّسليم بالحقّ، كما حدث لرسول الله ﷺ عندما قال له وفد نجران: ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنّه عبده، قال: أجل، إنّه عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦٠ ـ ٦١].

تابعت الأمّ كلامها: بعد أن أعلن عيسى عليه السلام عبوديّته لله عزّ وجلّ، وأبطل حجّة القائلين ببنوّته له ـ حاشا لله أن يكون له ولد ـ أعلن أيضاً أنّه الرّسول القادم، فاللّه سبحانه وتعالى قد قدّر له من الأزل حمل الإنجيل ليكون نبيّاً رسولاً، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٣٤ ـ ٤٠].

والهدف من الآيات هو تأكيد لوحدانيّة الله وحده لا شريك له، فهو الخالق، وكلّ ما سواه مخلوق، وعيسى مخلوق من المخلوقين.

والله وحده هو المالك للسّماوات والأرض والدّنيا والآخرة، وهو الذي يرث الأرض ومن عليها من البشر، وهو الذي يفني هذه الدّنيا ويأتي بالآخرة، وهو الذي يبعث النّاس يوم القيامة، ويحاسبهم ويثيبهم أو يعاقبهم.

تتابع الأمّ السّرد وتقول: لم يذكر الله ﷻ عمّا جرى لمريم ﵂ بعد قدومها إلى قومها، ولا نعرف كيف كانت حياتها بعد ذلك ولا كيف ومتى وأين كانت وفاتها.

كما سكت القرآن عن تفاصيل طفولة عيسى ﵇، ومحطّات إقامته وما جرى له في صباه. فهذا ليس من مقاصد العرض القرآنيّ.

ونحن نسكت عمّا سكت عنه القرآن ولا نأخذه من مصادر غير الكتاب والسّنّة[1]!!

وصلت الأمّ إلى هذا الكلام وقالت: غداً ـ بإذن الله ـ نكمل هذه القصّة، وهكذا كان...

قام الجميع قبل موعد السّحور لصلاة قيام الليل ومنهم من همّ لممارسة عبادة أخرى من عبادات شهر رمضان... وذلك قبل وقت السّحور فقد أوصانا رسول الله ﷺ بالتّسحّر رواه البخاريّ عن أنس بن مالك ﵁ قال: «**تسحروا فإنّ في السحور بركة**».

وفي الليالي العشر من رمضان لا زالت العائلة مشمّرة عن سواعدها للاستزادة من بركة هذا الشّهر الفضيل، والأهمّ من ذلك الانتهاء من قصّة عيسى ﵇ ليأتي عيد الفطر السّعيد بالفرح والسّرور لطاعة ربّ العالمين، جلست العائلة في الحديقة مع تحضير أكواب الشّاي السّاخنة، وكلّهم شوق لمعرفة ما حدث مع سيّدنا عيسى ﵇.

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٨٥.

أمّ أحمد: من بعد الصّلاة والسّلام على رسول الأنام محمّد عليه أفضل الصّلاة والسّلام. . .

وصلنا في قصّتنا إلى ما سكت عنه القرآن الكريم وخاصّة ما جرى لمريم ﵂ بعد قدومها إلى قومها، ولا نعرف كيف كانت حياتها بعد ذلك، ولا كيف ؟ومتى؟ وأين كانت وفاتها؟

وكذلك سكت القرآن عن تفاصيل طفولة عيسى ﵇ وكما اتّفقنا نحن نسكت عمّا سكت عنه القرآن، ولا نأخذه من مصادر غير الكتاب والسّنّة[1]!!

شبّ عيسى ﵇، وعاش صباه وشبابه طاهراً تقيّاً يحفظه الله ويحميه ويرعاه، ويُبعدُ عنه الشّيطانَ ووساوسَه، حتّى أنزل عليه الوحي، وجعله نبيّاً رسولاً، وبعثه إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه كتابه ولا يحدّد لنا القرآن عمره عندما بعثه الله وأنزل عليه كتابه، فلا نخوض في ذلك، ونبقى مع ما ورد في صريح القرآن وصحيح الحديث.

وكانت بعثةُ عيسى ﵇ وإنزال الإنجيل تحقيقاً للبشرى التي قدّمها الله إلى أُمّه قبل حملها به[2]: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٤٩].

وهي تحقيق لما أخبر هو عن نفسه، عندما كلّم قومه وهو في المهد قائلاً: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣١].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٨٥.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٨٥.

الجدّ: هل تعلمون لماذا نتدارس القَصَصْ للأنبياء؟؟؟

أحمد: نعم يا جدّي لقد تعلّمنا أنّ أركان الإيمان باللّه ستّة أركان منها الإيمان بالرّسل.

الجدّ: إذن يجب أن نؤمن بأنّ عيسى عبدالله ورسوله عليه الصّلاة والسّلام ويجب الإيمان بنبوّته ورسالته إلى بني إسرائيل.

أحمد: نعم، ونعرف أنّ من أنكر كونه نبيّاً رسولاً فقد كفر، ولهذا كان من أسباب كفر اليهود إنكارهم نبوّة ورسالة عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

الجدّ: جزاك الله خيراً لا فضّ فوك بنيّ.

أمّ أحمد: هذا ما أخبر الله نبيّه محمّداً ﷺ أنّه أخذ الميثاق منه كما أخذه من أولي العزم من قبله، ومنهم عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾ [الأحزاب: ٧].

وهذا ما قرّره رسولنا ﷺ حيث روى البخاريّ ومسلم عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنّة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل**...»[1].

والإيمان بنبوّة عيسى عليه السلام يجب أن يكون إيماناً بالأمور التي ذكرها

---

(١) أخرجه الخباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]، حديث رقم (٣٤٣٥).

رسول الله ﷺ، من أنّه: عبدالله، ورسول الله، وكلّمة الله ألقاها إلى مريم، وروحٌ من الله خلقها في رحم مريم[1].

أبو أحمد: يردّد حديث رسول الله ﷺ ويقول لقد صرّح القرآن في أكثر من موضع بأنّ عيسى عليه السلام «مُقَفّى» قَفّى الله به على آثار الأنبياء السّابقين، وبعثه بعدهم، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٦ ـ ٢٧].

والمقفّى اسم مفعول من الفعل الرّباعيّ «قفّى» بمعنى: أَتْبَع.

يقال: قَفّى على آثاره: ذهب بها، وقَفّى به فلاناً: أتبعه بفلان[2].

معنى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: ٢٧]: أتبعنا على آثار الرّسل السّابقين كنوح وإبراهيم برسل لاحقين جاؤوا بعدهم كموسى وهارون.

ومعنى: «وقفّينا عيسى ابن مريم»: أتبعنا الرّسل اللاحقين كموسى وهارون برسولنا عيسى ابن مريم، وآتيناه الإنجيل، وجعلناه آخر أنبياء بني إسرائيل.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٨٦.

(٢) المعجم الوسيط: ٧٥٢.

وهكذا جعل الله عيسى عليه السلام خاتم أنبياء بني إسرائيل، ولم يبعث بعده رسولاً إلّا خاتم الأنبياء والمرسلين، والرّحمة لجميع العالمين، محمّداً ﷺ[1].

والمهمّ معرفة أنّ عيسى عليه السلام رسول إلى بني إسرائيل فقط.

وورد صريحاً بالقرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦].

خاطب عيسى عليه السلام بني إسرائيل وصارحهم وأخبرهم أنّه رسول الله، وأخبرهم أنّه مصدّق لما سبقه من التّوراة، وأنّه يبشّرهم بالنّبيّ الخاتم الذي سيبعثه الله من بعده: محمّد بن عبدالله ﷺ.

وبعثةُ عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل فقط، لأنّ كلّ نبيّ كان يبعث إلى قومه خاصّة، إلّا رسولنا محمّداً ﷺ الذي بعثه إلى النّاس كافّة[2].

أبو أحمد: نعم لدينا حديث صحيح ورد في صريح الحديث، حيث روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود. وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان. ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر. وأعطيت الشفاعة**»[3].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٨٧.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢١).

والشّاهد من الحديث قوله، كان كلّ نبيّ يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى كلّ أحمر وأسود[1].

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً.

أبو أحمد: فقد أردت أن أوضّح معلومة مهمّة ألا وهي أنّ عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل فقط، بنصّ القرآن الصّريح والحديث الصّحيح، فإنّ هذا معناه أنّ النّصرانيّة كانت خاصّة لبني إسرائيل، وأنّ الأقوام الآخرين من غير بني إسرائيل ليسوا مدعوّين من قِبَلِ عيسى عليه السلام، وليسوا مطالبين بالإيمان به والدّخول في دينه!!

ولكنّ واقع التّاريخ لا يتّفق مع هذه الحقيقة، حيث دخل أفرادٌ من غير بني إسرائيل بعد رفع عيسى عليه السلام في النّصرانيّة، واتّبعوا عيسى عليه السلام، وانتشرت النّصرانيّة في بلاد الشّام ومصر، ثمّ امتدّت إلى الحبشة في الجنوب، واليونان وتركيا في الشّمال، ووصلت إلى روما في الغرب بعد رفع عيسى عليه السلام بفترة وجيزة[2].

الجدّ: الحقيقة أنّ هذا الانتشار العالميّ للنّصرانيّة، ودخول أقوام من غير بني إسرائيل فيها، كان خلاف أصلها وطبيعتها، وكان أمراً خارجيّاً خارجاً عنها، وله أسباب كثيرة ليس هذا موطن بيانها.

جعل الله عيسى عليه السلام رسولاً، وبعثه إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل، وجعله مكمّلاً للتّوراة ومصدّقاً لها[3].

أمّ أحمد: نعود إلى قصّتنا والحديث عن معجزات عيسى عليه السلام وأنّ الله علّمه الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل، وأنّه يستطيع ـ بإذن الله ـ أي أنّ الله سبحانه وتعالى زوّده بالقدرة على الخلق، والقدرة على إبراء الأكمه

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٨٩.
(٢) المرجع السابق، ص٢٩٠.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٢٩٠.

والأبرص وإحياء الموتى، وإخبارهم بما يأكلون وما يدّخرون ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٤٩ ـ ٥١].

ـ **سامي**: يخبرهم بما يأكلون وما يخبّئون؟ أليس هذا ما يفعله الكاهن والمنجّم؟ فكيف يستطيع المرء التّمييز بين النّبيّ المؤيّد بسلطان الله تعالى، والكاهن والمنجّم؟

ـ **الأمّ**: الفرق في هذا أنّ النّبيّ يخبر بإعلام الله من غير اعتماد على شيء آخر، أمّا الكاهن والمنجّم فيعتمد على طرق الاحتيال واستخدام بعض الأسباب المؤدّية إلى معرفته كالنّجوم والجنّ وبعض الإنس؛ ولكن ألا يكفي أنّهم شاهدوا بأمّ أعينهم كيف انبرى يخاطبهم وهو ما يزال في المهد؟ هل من الكهّان من حصل هذا له؟

ـ **أحمد**: لقد أعلن سيّدنا عيسى عليه السلام أنّه قادر على إبراء الأكمه والأبرص، فهل كان الطّبّ متأخّراً في ذلك الوقت لهذه الدّرجة؟

الأمّ: قال الإمام ابن كثير في جعل إبراء عيسى عليه السلام للأكمه والأبرص آية له، وهي توافق الطّبّ في الظّاهر وجعل هذا الموضع مناسباً للحديث عن تناسب المعجزات معجزات الأنبياء لما ذاع وانتشر بين أقوامهم.

قال: «قال كثير من العلماء: بعث الله كلّ نبيّ من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه.

فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السّحر وتعظيم السّحرة، فبعثَهُ

بمعجزات بهرت الأبصار، وحيّرت كلّ سَحّار، فلمّا استيقنوا أنّها من عند العظيم الجبّار، انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأمّا عيسى عليه السلام فبعث في زمان الأطبّاء وأصحاب علم الطّبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحدٍ إليه إلّا أن يكون مؤيّداً من الذي شرّع الشّريعة، فمن أين للطّبيب القدرة على إحياء الجماد أو مداواةِ الأكمه والأبرص، وبَعْثِ من هو في قبره رهين إلى يوم التّناد؟

وكذلك محمّد صلى الله عليه وسلم، بعث في زمن الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشّعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله عزّ وجلّ، فلو اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ من مثله، أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبداً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً...»[1].

ومن لطائف التّعبير القرآنيّ أنّ «الأكمه والأبرص» قرنا معاً في القرآن، ولم يذكر إلّا مرّتين، في سياق الحديث عن آيات عيسى عليه السلام، في إبراء الأكمه والأبرص[2].

وكان عيسى عليه السلام يمسح بيده على الأكمه، وهو الذي لم يرَ النّور منذ ولادته، فيعيد الله له بصره، ويزول عنه عماه، ويكون مبصراً قويّ البصر.

ولم يتوصّل الطّبّ في القديم ولا في الحديث إلى علاج الأكمه، وإعادة بصره إليه، فكان علاج عيسى عليه السلام له، وهو ليس طبيباً دليلاً على أنّه رسول الله، وأنّ هذا العلاج كان معجزة من الله.

و«الأبرص» هو: بياض يكون في جسم الإنسان، في مواضع متفرّقة منه، بسبب علّةٍ أصابته. والأبرص هو الذي في جسمه هذه البقع البيضاء.

والبرصُ مرضٌ منفّر، حيث ينفر النّاس من الأبرص ويتجنّبونه[3].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص٣٧٣.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٠٧.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦.

الجدّ: المهمّ في إبراء الأبرص والأكمه بإذن الله، هو دليل على نبوّته، لأنَّ الأكمه والأبرص لا علاج لهما من قبل الأطباء[1].

أمّ أحمد: هناك معجزات أخرى فالآية الثّالثة هي إحياء الموتى:

قال تعالى: ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ [المائدة: ١١٠].

وظاهر هذه الآية الباهرة أنّ عيسى عليه السلام كان يمرّ بالموتى فيدعو الله أن يحييهم، فيستجيب الله دعاءه ويحييهم، فيخرجون من قبورهم أحياء.

إنّ إحياء عيسى عليه السلام للموتى مظهر عمليّ لإرادة الله سبحانه هو الذي أحياهم في الحقيقة، هو المسبّب والمقدِّر والمريد، لأنّه هو الذي يحيي ويميت.

وما يفعله عيسى عليه السلام لإحيائهم هو سبب ظاهريّ، الله هو الذي مكّنه من ذلك وأقدره عليه وجعل الحياة تدبُّ في ذلك الميّت على يديه، فلا نقف عند السّبب وننسى إرادة المسبّب سبحانه وتعالى.

وإحياء الموتى آيةٌ بيّنة دالّةٌ على نبوّةِ عيسى عليه السلام، لأنّ البشر جميعاً لا يستطيعون إحياء ميّت.

فخروج الميّت من قبره حيّاً بدعاء عيسى عليه السلام دليل على أنّ الله هو الذي أحياه، وجعل حياته على يد عيسى عليه السلام، ليكون ذلك آية بيّنة على أنّه رسولٌ من عند اللّه[2].

الجدّ: أودّ أن أعقّب على السّورتين، سورة آل عمران وسورة المائدة.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٦، تفسير الطبري، تقريب وتهذيب ٢/٢٧٤.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨.

ومن لطائف التّعبير القرآنيّ عن آية إحياء عيسى للموتى أنّه فيه نوع من التّعاقب والمرحليّة!

ففي سورة آل عمران قال لبني إسرائيل: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

وفي سورة المائدة قال تعالى ممتنّاً عليه: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾.

فهو أوّلاً أحياهم بإذن الله، فدبَّت فيهم الحياة وصاروا أحياء وهذا ما تكفّلت بالإشارة له آية سورة آل عمران.

وهو ثانياً أخرجهم من قبورهم أحياء، فبعدما دبَّتْ فيهم الحياة دعاهم إلى الخروج من قبورهم، فخرجوا منها بإذن الله، وهذا ما تكفّلَتْ بالإشارة له آية سورة المائدة.

فلا تكرار في إخبار القرآن عن الحالة الواحدة أكثر من مرّة، وإنّما هو التّنويع في العرض، وإفادة جديدة في كلّ مرّة جديدة، وسبحان من أنزل القرآن!

إنّ ما أخبر عنه القرآن من معجزة إحياء عيسى عليه السلام للموتى كان مبهماً، ولم يرد في غير هاتين الآيتيين، ولم يذكر الله لنا موتى معيّنين أحياهم عيسى عليه السلام.

وكذلك كان إخبار القرآن عن الأكمه والأبرص مبهماً.

وبما أنّ السّنّة الصّحيحة لم تبيّن لنا أشخاصاً معيّنين، كان أحدهم أكمه أو أبرص، فعالجه عيسى، أو كان ميّتاً فأحياه، فإنّنا لا نخوض في تعيين وتحديد من عالجهم أو أحياهم، ولا نذهب إلى الأناجيل لنأخذ منها أمثلة على ذلك، لأنّ النّصارى حرّفوا الإنجيل[1].

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً على هذا التّعقيب لأنّ المبهمات زادوا في سردها والأهمّ ذكر الأسماء التي ما وردت لا في القرآن ولا في السّنّة.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

نتابع أيضاً معجزات عيسى عليه السلام . . .

عيسى عليه السلام يخبرهم بما غاب عنه من أصناف الطّعام، وهي آية رابعة، يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم: قال تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]، والمعنى: أخبركم بما تأكلون، ممّا لم أشاهده ولم أعاينه، ولم أكن معكم وقت أكلِكم، وأُنبّئكم أيضاً بما ترفعونه وتخبّئونه وتدّخرونه في بيوتكم من أصناف الطّعام.

فإذا ما اجتمع مجموعة على أصناف طعام، وكان عيسى عليه السلام في مكان آخر لم يشاهدهم، فإنّه يخبر من معه بأصناف الطّعام التي على مائدة المجموعة، وكأنّه جالس معهم يرى ما أمامهم[1]!

وعلم عيسى عليه السلام بأصناف الطّعام المأكولة والمدّخرة ممّا لم يشاهده دليل على أنّ الله هو الذي أخبره بذلك وأعلمه به، فمن المعلوم عندنا أنّ الله اختصّ بعلم الغيب، وأنّه يُعْلِمُ منه من شاء من عباده[2].

وتتابع الأمّ السّرد وتقول: وسنتحدّث عن هذا الأمر حينما نتحدّث عن أشراط السّاعة الصّغرى والكبرى، والمهمّ علينا أن نعرف أنّ معجزة عيسى عليه السلام دليل على نبوّته وأنّه رسولٌ من عند الله عز وجل.

وبقي لدينا معجزة خلق الطّير من الطّين بأمر الله، قال تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩].

كان يصنع الطّين تمثالاً على شكل طائر، وبعدما يجفّ التّمثال وييبس، كان ينفخ فيه فيتحوّل هذا التّمثال إلى طائرٍ حيّ حقيقيّ، وكان هذا بإذن الله وإرادته[3].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٠٩.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣١٠ بتصرف.
(٣) المرجع السابق، ص٣٠٢.

الجدّ: أرى في عينيك سؤالاً يا سامي!! هل تقصد كيف كان خلق عيسى عليه السلام؟

الجدّ يتابع: هل درستم اسم الله عز وجل الخالق وتعرّفتم أنّ خلق الله عز وجل هو خلق من العدم! أمّا خلق عيسى عليه السلام ليس إيجاداً من العدم، ولا إبداعاً من لا شيء، وإنّما هو تحويل أشياء خلقها الله من العدم وأوجدها الله في الأرض، فأخذها عيسى عليه السلام فحوّلها من حالةٍ إلى حالة: تراب خلقه الله، وماء خلقه الله، فأخذ عيسى هذين العنصرين فمزجهما معاً، فصارا طيناً، ثمّ جعلهما تمثالاً، فهل أوجد عيسى شيئاً من العدم[1]؟

سامي: نعم يا جدّي هذا السّؤال كان يدور في رأسي! هل خلق لهم طيراً؟ بارك الله بك أن وضّحت هذه المعلومة.

الجدّة: بارك الله بكم جميعاً، فيا ربّ إن كانت هذه ليلة القدر فيا ربّ يفقهكم في دينه، ويزيدكم علماً وفقهاً فيه.

الجميع بصوت واحد آمين يا ربّ العالمين...

اللَّهمَّ إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.

أمّ أحمد... سنتوقّف هنا لكي نكمل باقي الطّاعات مع الدّعاء «اللَّهمَّ إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا» وسنتحدّث عن باقي معجزات سيّدنا عيسى عليه السلام وعن الأحداث التي جرت معه وتدل على أشراط الساعة.

نهضوا جميعاً لإتمام طاعتهم مع الحمد والشّكر لله عز وجل أن هداهم لهذا وما كانوا ليهتدوا لولا أن هداهم الله.

* * * * * *

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزءالرابع، ص٣٠٢.

قصّة رقم ٢٩

عيسى عليه السلام وعلامات السّاعة الصّغرى والكبرى

بفضل الله تعالى تتمّ الصّالحات فهاهو عيد الفطر قد ثبتت رؤية هلاله، وأُعلِن عن قدومه، وكم غمرتهم الفرحة بوجود جدّيهم لقضاء الأوقات السّعيدة بصحبتهم في لقاء الأهل والأصحاب، واستقبالهم بعد غياب طويل.

وهكذا مرّت الأيّام وبدأت عطلة الصّيف بعد أن خطّط الوالدان لقضائها في بلدهم (لبنان) فصفاء لا زالت صغيرة ولا تتحمّل أعباء السّفر... وقد تخلّل هذه العطلة الذّهاب إلى المناطق السّياحيّة للاستمتاع والتّفكّر في آيات الله (فلبنان) يتمتّع بطبيعة خلّابة بين الجبل والسّاحل وبين النّهر والبحر...

وبعد وداع الجدّ والجدّة والوعد بعودتهم مرّات عديدة عاد أفراد الأسرة إلى مكان إقامتهم وكلهم أمل بلقاء جديد مع الجدين.

اتّفق سامي وجميل وأحمد على الذّهاب إلى المكتبة العامّة لاستعارة الكتب النّافعة التي ذكرتها لهم والدتهم وخاصّة فيما يتعلّق بقصّة عيسى عليه السلام، وأشراط السّاعة...

وفي إحدى الليالي المقمرة جلس الجميع في حديقة المنزل؛ يلعبون

مع صفاء التي بدأت المشي بخطى وهنه... مع ضحكات سامي معها، لقد اشتروا لها جميع الألعاب التي تناسب هذا العمر من أرجوحة وكرة وألعاب أخرى تستطيع اللعب بها...

دخل أحمد إلى الحديقة ومعه أكواب العصير اللذيذ (الليمون مع النّعناع المثلّج) الذي اشتهر أحمد بتحضيره...

جلس الجميع كما اعتادوا وتركوا لصفاء حرّيّة اللعب بما تريد، ليتسنّى للأسرة إكمال قصّة عيسى عليه السلام.

قالت أمّ أحمد: سبحان الله مرّت الأيّام على سفر الجدّ والجدّة ونحن نفتقدهم في جلستنا هذه...

الأولاد... بصوت واحد لا إراديّ... وعدنا جدّنا وجدّتنا بأن نخبرهم باقي القصّة...

ابتسم الأبوان لسرعة بديهة الأولاد ودعَوا الله لهم بالتّوفيق دوماً وحفظ صحتهم وحبهم للعلم.

أمّ أحمد: وصلنا بفضل الله تعالى إلى معجزات سيّدنا عيسى عليه السلام، ونلاحظ أنّ القرآن حرص على بيان أنّ ما قَدّمه عيسى عليه السلام لبني إسرائيل من الآيات هو آيةٌ من آيات الله وفضله سبحانه، ولذلك تكرّرت كلمة «آية» في النّصّ القرآنيّ الذي أخبر عن تلك الآيات، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٤٩ ـ ٥١].

تكرّرت كلمة آية ثلاث مرّات: ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ في

البداية. و﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في الوسط. و﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وفي النّهاية...

وهذا التّركيز القرآنيّ على آيات عيسى عليه السلام، دليل على أهمّيّة الآيات للأنبياء، ودليل على أنّ عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله، كان يتلقّى الآيات من الله، ويقدّمها لبني إسرائيل...

وبعدما قدّمَ عيسى عليه السلام آياته لبني إسرائيل أخبرهم أنّ رسالته هي استمرار لرسالة سلفه موسى عليه السلام في أساسها وروحِها، ولهذا هو مصدّق للتّوراة[1]: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ﴾... [آل عمران: ٥٠].

أبو أحمد: نعم لقد كانت الآيات تشير دوماً إلى أنّه عبدالله ورسوله، عَلِمَ الله عزّ وجلّ أنّهم سيسارعون إلى الكفر بهذه الآيات جميعاً... كان عيسى عليه السلام حريصاً على التّأكيد على الفصْلِ بين الألوهيّة والعبوديّة، وعلى أنّه عبدالله ورسوله، وأنّ الله ربُّه وربّ العالمين. وكان يخبر بني إسرائيل المدعوّين بذلك، ولهذا ختم بيانه الدّعويّ إلى بني إسرائيل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٥١].

جميع الأنبياء مسلمون، وجميع الأنبياء دعَوْا أقوامهم إلى الصّراط المستقيم، جميع الأنبياء توحيدهم واحد... فلا حجّة لهم بأن لا يتّبعوا رسالة محمّد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم...

أمّ أحمد: نعم. ألا تلاحظون أنّ الآيات السابقة تثبت هذه المعلومات التي جاء بها رسول الله ﷺ وقد دعا النّصارى واليهود بعد صلح الحديبيّة إلى الإيمان بها حينما أرسل الرّسائل لجميع الأمم ليدخلوا في دين الله... أي يتّبعوا منهج الله عزّ وجلّ والسّير على الصّراط المستقيم... ولكنّهم لم يتّبعوا هذا النّبيّ الأمّيّ ﷺ المذكور لديهم في

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣١٠ ـ ٣١١.

الإنجيل والتوراة... ترى ما كان موقفهم من عيسى عليه السلام في زمانه... هل آمنوا به؟ هل اتّبعوا هذا الرّسول؟

لكنهم بعد كلّ هذه المعجزات وبعد كلّ هذه الآيات كفروا به وكذّبوه، واتّهموه بأنّه ساحر كذاب، وأنّ ما معه سحرٌ مبين[1].

ولم يؤمن به إلّا عدد من الصّالحين منهم، وصفهم الله عزّ وجلّ في كتابه المبين «الحواريّين».

أبو أحمد: ما معنى «الحواريين» التي وردت في القرآن خمس مرّات، وكلّها في وصف أتباع عيسى عليه السلام المؤمنين، وكلّها واردة بصيغة الجمع؟

لن ندخل بالمعنى اللغوي لمعنى الحواريين سوى ما رجّحه الإمام ابن كثير أنّهم سُمّوا الحواريّين لأنّهم آمنوا بعيسى عليه السلام وأيّدوه ونصروه، لأنّ الحواريّين مشتقّة من «حور» وهذه المادّة عربيّة أصيلة.

والحواريّ هو: الصّاحب والنّاصر، الذي ينصر النّبيّ ويؤيّده ويتّبعه[2]...

ودليل ذلك ما رواه البخاريّ ومسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: ندب النّبيّ صلى الله عليه وسلم النّاس يوم الخندق، فانتدب الزّبير، ثمّ ندب، فانتدب الزّبير، ثمّ ندب النّاس، فانتدب الزّبير.

فقال صلى الله عليه وسلم: «**إنّ لكلّ نبيّ حواريّاً، وإنّ حواريَّ الزّبير بن العوام...**»[3].

أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم واحدٌ من أصحابه لينظر ما يفعل

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣١٢.
(٢) المرجع السابق، ص٣١٤ بتصرف.
(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب هل يبعث الطليعة وحده؟ وأخرجه مسلم: حديث رقم ٢٤١٥.

المشركون يوم الأحزاب، فنَدَبهم وخيَّرهم، وكان الزّبير بن العوّام هو الذي يقوم في المرّات الثّلاث.

وهذه الحادثة مع الزّبير غير الحادثة الأخرى التي بعث فيها رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ليدخل معسكر الأحزاب، فهما حادثتان منفصلتان[1].

وعلَّقَ رسول الله ﷺ على قيام الزّبير في المرّات الثّلاثة بأنّ الله جعل لكلّ نبيٍّ حواريًّا يؤيِّدُه وينصره وإنّ حوارِيَّه هو الزّبير بن العوّام رضي الله عنه. أي أنّ الزّبير هو ناصر رسول الله ﷺ من البشر، ومؤيِّده ومتابِعُه.

وليس معنى هذا قصر النّصرة على الزّبير وحده، ونفيَها عمّن سواه من المهاجرين والأنصار. وإنّما معناه أنّه كان أبرزَ حواريٍّ وناصرٍ لرسول الله ﷺ في تلك الحادثة.

وإلّا فإنّ الصّحابة كانوا جميعاً حواريّين لرسول الله ﷺ، نصروه واتّبعوه وأيّدوه، وكانوا أفضل من الحواريّين أتباع عيسى عليه السلام[2].

سامي: قلت إنّهم بعد كلّ هذه المعجزات كفروا!!

أمّ أحمد: نعم بنيّ، فبعد كلّ هذه المعجزات، فقط الحواريّون هم من لبّى دعوته وأجابوه قائلين: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾.

أبو أحمد: لقد أحسّ عيسى عليه السلام منهم الكفر قال تعالى: ﴿۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٢ ـ ٥٣].

جميل: الآيات واضحة جدّاً بأنّهم مسلمون صحيح اسمهم نصارى

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣١٤ ـ ٣١٥.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣١٤ ـ ٣١٥.

ولكنّهم مسلمون... مؤمنون باللّه وحده والآية واضحة ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ كيف ينكرون ذلك في وقتنا الحاضر؟؟

أمّ أحمد: نعم. بنيّ... الحواريّون في وقت عيسى عليه السلام مسلمون... أمّا في وقتنا الحاضر فنسمّيهم بما سمّاهم الله عزّ وجلّ به ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وقد ذكر الله عزّ وجلّ في آيات في سورة آل عمران فقد ورد ٦ مرّات. ٤ مرّات في سورة آل عمران ومرّة واحدة في سورة النّساء ومرّة واحدة في سورة المائدة بالنّداء ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٠].

وأيضاً في سورة [آل عمران: ٧١]، وفي سورة [النساء: ١٧١] وفي سورة [المائدة: ١٩]، وأهل الكتاب هم من لم يؤمن برسالة محمّد ﷺ، وبعدما حارب رسول الله ﷺ اليهود الذين يقطنون يثرب قبل الهجرة والمدينة بعد الهجرة (بني قينقاع وبني نضير وبني قريظة) سمّوا (أهل الكتاب)، وسنرى لاحقاً أنّ لهم أحكاماً من عند الله عزّ وجلّ في كيفيّة التّعامل معهم نذكرها لاحقاً.

المهمّ الآن ما فعل الحواريّون الذين شهدوا بأنّهم مسلمون فهذا دليل (أنّهم آمنوا بعيسى عليه السلام، ودخلوا في دينه، ويكونون قد استسلموا وأسلموا وخضعوا لله سبحانه لأنّ الإسلام ــ في معناه العامّ ــ هو الخضوع المطلق للّه)[1].

أبو أحمد: نعم كلّ نبيّ جاء بالإسلام، وإنّ دين كلّ نبيّ هو الإسلام، وإنّ أتباع كلّ نبيّ مسلمون، الإسلام بمعناه التّاريخيّ العامّ،

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣١٨.

وليس بمعناه الخاصّ المحدّد الذي هو دين محمّد ﷺ!

وهذه الآية صريحة بأنّ عيسى عليه السلام جاء بالإسلام، وأنّ دينه هو الإسلام، وأنّ أتباعه هم المسلمون، فهاهم الحواريّون يصرّحون قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، والأهمّ كيف توجّهوا إلى الله يتضرّعون إليه ويعلنون أنّهم آمنوا به رباً ويتبعون دينه منهجاً[1].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣]، ورغم ذلك طالبوا سيّدنا عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة... ذُكرت هذه الحادثة في سورة المائدة هَلّا تلوتها علينا بنيّ...

أحمد: بعد أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٢ ـ ١١٥].

الوالدان: لا فضّ فوك بنيّ...

أمّ أحمد: قريباً تلبسنا تاجاً فقد ورد أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن وعَمِلَ بما فيه أُلبِسَ والداهُ تاجاً يوم القيامة: ضوؤُه أحسن مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ في بيوتِ الدُّنْيا لو كانت فيكم، فما ظَنُّكُمْ بالذي عمل بهذا؟!**»[2].

فما ظنّكم بمن حفظ القرآن الكريم فهو من أهل الله وخاصّته، عن

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣١٩.

(٢) رواه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، حديث رقم (١٤٥٣).

عائشة، عن النّبيّ ﷺ قال: «**مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظٌ لَهُ، مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران**»[1].

فيا ربّ تكونون من الذّرّيّة الصّالحة، جميعكم، سامي وجميل ومعكم صفاء...

سرّ جميل وسامي بدعوة والدتهم لهما وتشجّعا لإكمال حفظ القرآن الكريم فقد بدءا بالحفظ أيضاً.

أبو أحمد: حتّى لا ننسى القصّة علينا العودة إلى الآيات في سورة المائدة، ومعرفة معجزة المائدة التي نزلت على الحواريّين.

جميل: قال تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هل وصلت بهم الجرأة إلى هذا الطّلب؟ مع العلم أنهم هم الحواريون الذين آمنوا واستسلموا لمنهج اللّه!!

أبو أحمد: اختلف العلماء!! هل كانوا شاكّين في قدرة الله على إنزال المائدة؟ أم كانوا مؤمنين بقدرته على ذلك!!

والرّاجح من سياق الآيات يدلُّ عليه. فقد كانوا مؤمنين بالله، ومصدِّقين لعيسى عليه السلام، لكنّ إيمانهم باللّه لم يكن تاماً، وإنما فيه بعضُ الضّعف، رغم ما شاهدوا من معجزات عيسى عليه السلام وآياته الدّالّة على قدرة الله المطلقة.

فبعدما شاهدوا تلك المعجزات تطلّعت نفوسهم إلى ما هو أعلى، فأرادوا آيةً يستفيدون منها مادياً، فائدة إيمانيّة ودنيويّة، أرادوا مائدة يأكلون منها!!

فكأنّهم قالوا لعيسى عليه السلام: عرفنا من الآيات السّابقة التي شاهدناها

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿عَبَسَ﴾ حديث رقم (٤٩٣٧).

على يديك أنّ الله قد استطاع إجراءَها، وقدر على إيجادها، وأيقنّا أنّه قادرٌ على ذلك، فهل يستطيع ربّك الذي استطاع إنزال الآيات عليك ، أن ينزل علينا مائدة من السّماء؟

ومع ذلك دلّ سؤالهم على ضعف إيمانهم بقدرة الله المطلقة، وكره عيسى عليه السلام سؤالهم[1]، فقال لهم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

ومعنى كلامه: راقبوا الله وخافوه، واحذروا أن ينزل بكم عقوبة على قولكم هذا، فإنّ الله لا يعجزه فعل شيء أراده، وشكُّكُم في قدرة الله على إنزال المائدة من السّماء كفرٌ بالله، فتخلّوا عن ذلك واتّقوا الله إن كنتم مؤمنين به ومصدّقين لي[2].

أحمد: إن أكملنا الآيات في سورة المائدة سنرى حجّتهم وما هو هدفهم من هذا الطّلب.

أبو أحمد: صدقت بنيّ فقد ذكر الله عزّ وجلّ أنّ هدفهم من إنزال المائدة يتمثّل في أربع نقاط:

الأولى: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ وهذا يدل على أنّ القوم جائعون، وليس عندهم طعام، وشاهدوا آيات الله السّابقة، فأرادوا أن يكرمهم ربُّهم بإنزال مائدة ليأكلوا منها.

الثّانية: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾... نريد أن تطمئنَّ قلوبنا بعد أن نأكل من المائدة، فنزداد يقيناً وطمأنينة بأنّ الله معنا، يكرمنا وينعم علينا.

ومعلوم أنّ المؤمن بالله، تزداد طمأنينة قلبه عندما يرى آيةً مادّيّةً من الله، ويشاهد معجزة باهرة منه أمامه.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٢٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري تقريب وتهذيب ٣٥٩/٣، الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٢٦.

وهذا يذكّرنا بجواب إبراهيم عليه السلام، يعلّل فيه هدفه من طلبه أن يريه الله كيفيّة إحياء الموتى، وهذا مذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

الثّالثة: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: نزداد علماً بأنّك قد صدقتنا في نبوّتك وآياتك ومعجزاتك، فمعجزاتك السّابقة موجّهة للآخرين، ونحن لم ننتفع منها منفعة دنيويّة، ونريد من الله آية خاصّة لنا، تصدقنا وتكرمنا بها.

الرّابعة: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: نريد أن نشهد على إنزال المائدة، ونقدّم شهادة بذلك على أنّ الله أيّدك بهذه الآية، وجعلها برهاناً ودليلاً على نبوّتك، ونخبر الآخرين[1].

أحمد: هل أرادوا أن يكونوا شاهدين آية بإنزال المائدة بعد كلّ هذه المعجزات التي تثبت نبوّة عيسى عليه السلام، وعلى قدرة الله المطلقة على فعل ما يريد؟[2].

أبو أحمد: نعم بنيّ... مع ذكرهم أهدافهم الأربعة من طلبهم إنزال المائدة، إلّا أنّ الطّلب يدلُّ على شكِّهم في قدرة الله المطلقة، ممّا دعا عيسى عليه السلام إلى الإنكار عليهم، وهذا مأخذ يؤخذ عليهم[3].

أمّ أحمد: ومع هذا كلّه بعدما عرف عيسى عليه السلام أهدافهم من طلب المائدة، اطمأنّ إلى إيمانهم، واستجاب لطلبهم، فدعا الله ربّه أن ينزل عليهم المائدة من السّماء.

جميل: مائدة مائدة؟!!

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٢٧.
(٢) المرجع اسابق، ٣٢٧ بتصرف.
(٣) المرجع السابق، ٣٢٧ بتصرف.

أمّ أحمد: نعم مائدة من السّماء!!

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

دعا عيسى عليه السلام ربّه بتضرّع وخشوع، أن ينزل عليهم مائدة ليكون هذا اليوم عيداً للأحياء منّا وقت نزولها، ولمن يجيءُ بعدنا.

طلب من الله عزّ وجلّ أن تكون المائدة آية ومع الدّعاء بأن يرزقهم فهو خير الرّازقين[1].

وبعدها جاءه الجواب من عند الله ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

هكذا أجرى الله هذه الآية الباهرة والمعجزة الخارقة، فبينما كان الحواريّون جالسين مع عيسى عليه السلام بعدما دعا ربّه، أنزل الله عليهم مائدة من السّماء وكان إنزالها تصديقاً من الله لعيسى عليه السلام وتكريماً من الله له وللحواريّين المؤمنين، وحقّقوا مرادهم منها فأكلوا واطمأنّت قلوبهم وعلموا أنّ الله يكرمهم، وأنّ عيسى قد صَدَقهم، وكانوا عليها من الشّاهدين.

هذا هو حديث القرآن عن إنزال المائدة على الحواريّين، ولم يرد إلا في سورة المائدة في هذه الآيات الأربع.

وتكرّرت كلمة مائدة فيها مرّتان، فمن لطائف التّعبير القرآنيّ أنّ كلمة «مائدة» لم تذكر في القرآن إلّا في سورة المائدة[2]!!

أحمد: هل لي أن أشرح كلمة مائدة؟؟

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٣١.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٣٢.

أمّ أحمد: تفضّل بنيّ...

أحمد: كلمة «مائدة» في الآيات نكرةٌ منوّنة: ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ و﴿يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾...

وهذا التّنكير والتّنوين يدلّ على الإبهام، فهي مبهمةٌ في القرآن، وليس هناك أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، تضيف جديداً إلى آيات القرآن[1]، وهذا بعد البحث والتّدقيق.

أمّ أحمد: بارك الله بك بنيّ على هذا الإيضاح، لذا نحن نبقى مع القرآن في حديثه المبهم المقصود عن المائدة ولا نذهب إلى اليهوديّات وروايات السّابقين في تفصيل الحديث عنها، فإنّها كلّها مشكوك فيها عندنا، وموقفنا منها هو «التّوقّف» عندها!

وما رأيكم أن نتوقّف هنا اليوم ونكمل غداً بإذن الله فصفاء بحاجة لعنايتي الآن...

وافق الجميع على أن يكتبوا ما رواه الوالدان عن قصّة عيسى عليه السلام التي لم تنتهِ بعد ليخبروا جدّيهما بما آلت إليه أحداث القصّة...

أمضت الأسرة يومها كالمعتاد من مساعدة الوالدة والذّهاب إلى المكتبة العامّة، ومع ممارسة الألعاب التي اعتادوا على ممارستها في النّادي الرّياضيّ... والمهم مساعدة الوالدة في أعباء المنزل فقد زادت مهامها من خلال تربية صفاء وتأمين جميع حاجياتها وراحتها والأهمّ ما تقوم به أمّ أحمد وهو تنظيم أوقات الطّعام والاستحمام والنّوم... كما فعلت مع إخوتها حينما كانوا صغاراً.

صفا الجوّ وأصبح الجلوس في الحديقة في هذا الوقت بعد صلاة

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٣٣.

المغرب رائعاً حيث يخيّم الهدوء إلّا من أصوات المارّة والجيران البعيدة عنهم...

وكالمعتاد جهّزت أمّ أحمد أكواب العصير اللذيذ وهذه المرّة أعدّت بعض الفطائر الخفيفة للعشاء...

أمّ أحمد: قلنا سابقاً أنّ عيسى عليه السلام بَشّر بقدوم رسول الله ﷺ وهو مذكور في الإنجيل (غير المحرّف).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١ ـ ٨٢].

هناك في تفسير ابن كثير، قال عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن عبّاس رضي الله عنهم في معنى هذه الآية: ما بعث الله نبيّاً من الأنبياء إلّا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعِثَ محمّد ﷺ وهو حيٌّ ليؤمنّن به ولينصرنَّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمّته، لئن بعث محمّد ﷺ وهم أحياء، ليؤمننَّ به ولينصرنّه...»[1].

وقد أكّد رسول الله ﷺ الحقيقة التي قرّرتها هذه الآية، فبيّن أنّه لو كان أحد الأنبياء السّابقين حيّاً، وأدرك بعثته لوجب عليه أن يتّبعه.

فروى أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتى النّبيّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النّبيّ ﷺ.

فغضب عليه الصّلاة والسّلام وقال: «**أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية. لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم**

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص٣٨٦ في شرح الآية ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، وهناك أحاديث صريحة كتبها ابن كثير في شرح هذه الآية.

بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنّ موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني. . .»[1].

أبو أحمد: نعم لقد بَشَّرَ الأنبياء السّابقين بمحمّد ﷺ وكانت البشارة بشكل أخصّ على لسان موسى وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام، كما ذكر الله بعض صفات النّبيّ الخاتم محمّد ﷺ في التّوراة والإنجيل.

وهذا معناه أنّ اليهود والنّصارى كانوا يعرفون من هذه البشارات أنّ الله سيبعثُ النّبيّ الخاتم عليه الصّلاة والسّلام، ولكن لما بعث الله محمّداً رسولاً ﷺ كفروا به وكذّبوه[2].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

لقد بشّر عيسى بالنّبيّ محمّد ﷺ، لأنّ عيسى عليه السلام هو آخر أنبياء بني إسرائيل، ولم يكن هناك نبيّ بين عيسى وبين محمّد عليهما الصّلاة والسّلام.

ولهذا كان رسولنا ﷺ هو أولى النّاس بعيسى ابن مريم عليه السلام[3].

روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى النّاس بعيسى ابن مريم، في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة، أبناء علّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وليس بيني وبين عيسى نبي»[4].

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص٣٨٦، الحديث حسن. ورد هذا الحديث برواية أخرى على الشكل التالي: (فقرأها على الرسول).
وذكر الشيخ الألباني شواهد أخرى للحديث يتقوى بها، ويكون حسناً. انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» ٦/٣٤ ـ ٣٨.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٣٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، حديث رقم (٣٤٤٢).

جميل: إن كان هذا قول رسول الله ﷺ، إذن لماذا اليوم نجد العداوة والبغضاء والكره!!!

أبو أحمد: لقد وضّح رسولنا الكريم محمّد ﷺ هذا الأمر بأحاديث صحيحة وشبّه الأنبياء جميعهم بأبناء العلّات، وهو الإخوة لأب، بينما أمّهاتهم شتّى، فبما أنّ الإخوة لأب اجتمعوا على الأب رغم اختلاف أمّهاتهم، فكذلك الأنبياء اجتمعوا على العقيدة والإيمان رغم اختلاف أَحكامهم وتشريعاتهم[1]...

وأيضاً نستنتج من هذا الحديث أنّه ليس بين عيسى عليه السلام وبين محمّد ﷺ نبيّ، وهذه معلومة تاريخيّة مهمّة، فبينهما قرابة ستّة قرون لم يبعث الله فيها نبيّاً، ولهذا كانت بعثة محمّد ﷺ على فترة من الرّسل... كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ [المائدة: ١٩].

أمّ أحمد: وصلنا أخيراً إلى نهاية قصّة عيسى عليه السلام فبعد هذه المعجزات، وبعد الدّعوة إلى الله، دعا عيسى عليه السلام بني إسرائيل إلى اتّباعه والإيمان باللّه وحده لا شريك له، ولكنّهم رفضوا دعوته وكفروا به.

ولما ظهر كفرهم واضحاً دعا الحواريّين إلى الانحياز إليه فلبَّوْا الدّعوة.

قال تعالى: في سورة [آل عمران: ٥٢ ـ ٥٣] وقد ذكرناها سابقاً وشرحناها شرحاً وافياً.

لم يكتفِ بنو إسرائيل بالكفر به وتكذيبه واتّهام أمّه بالباطل، بل ارتقَوْا إلى مستوى أشنع وأفظع، حيث تآمروا عليه ومكروا به وأرادوا قتله، فحماه الله منهم.

وقد امتنّ الله على عيسى عليه السلام في ذلك[2].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٣٥.

(٢) الخالدي، صلاح ، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٤٦.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

تتحدّث الآية عن حماية الله له بإجمال، فلمّا أراد بنو إسرائيل إيذاءه وقتله، كفَّ الله أيديهم عنه.

ففي سورة آل عمران تبيّن لنا مكرهم وخبثهم[١]، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٤ ـ ٥٥].

مكر بنو إسرائيل وأرادوا ايقاع الضّرّ بعيسى عليه السلام بل أرادوا قتله، ورسموا لذلك خطّة دقيقة، ومكروا به مكراً شيطانيّاً خبيثاً، لكن الله سلّمه وحفظه.

والله عزّ وجلّ حمى عيسى عليه السلام من مكرهم وخبثهم ونجّاه الله عزّ وجلّ فأنقذه من بين أيديهم بأن ألقى شبهه على غيره، فأخذوا شَبَهَهُ وقتلوه، ظانّين أنّهم قتلوا عيسى عليه السلام، وبهذا مكر الله بهم.

أخرج الله عيسى عليه السلام من وسطهم حيّاً وحفظه بحفظه، وحماه بحمايته[٢].

جميل: هل تقصدين أنّ هناك من الحواريّين من ألقى الله شبه عيسى عليه السلام عليه، وأخذوه وقتلوا هذا الشّخص كأنّهم قتلوا عيسى عليه السلام!!

أمّ أحمد: نعم بنيّ، الله شبّه لهم شخص عيسى عليه السلام وأبطل مكرهم عندما توفّاه ورفعه إليه وطهّره منهم.

---

(١) الخالدي، صلاح ، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٤٦ ـ ٣٤٧.
(٢) الخالدي، صلاح ، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٤٨.

وتفصيل ذلك في الآية التّالية[1]: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

أبو أحمد: سأدلو بدلوي الآن، لأنّ هذه الآية من متشابهات القرآن، وفي معناها إشكالات كثيرة عند النّاس: فما معنى قوله: «متوفّيك"؟ وهل توفّى الله عيسى وأماته على الأرض؟ أم رفعه بروحه وجسمه إلى السّماء؟ وإذا كان الأوّل فكيف سينزل في آخر الزّمان؟ وإذا كان الثّاني فكيف قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾:

١ ـ فقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير. والتّقدير: إنّي رافعك إليّ، ومطهّركَ من الذين كفروا، ومتوفّيك، وذلك بعد إنزالي لك في آخر الزّمان.

وعلى هذا يكون معنى «متوفّيك» مميتك، وإماتته له عند نزوله قبيل قيام السّاعة. فالوفاة على هذا القول بمعنى الموت .[وبه قال ابن عبّاس وقتادة].

٢ ـ وقال آخرون: الوفاة هنا بمعنى القبض.

والتّقدير: إنّي قابضك ورافعك إليّ.

فاللّه قبض عيسى عليه السلام من الأرض حيّاً، ورفعه إليه، وطهَّره من الذين كفروا.

قال ابن زيد: إنّي «متوفّيك»: قابضك، ولم يمت عيسى بعد، حتّى يقاتل الدّجّال، وسيموت بعد ذلك.

لأنّ الله يقول: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] فرفعه الله قبل أن يكلّم النّاس كهلاً، وسينزل كهلاً.

ورجّح هذا القول الإمام ابن جرير الطّبريّ.

---

(١) الخالدي، صلاح ، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٤٨.

٣ ـ وقال آخرون: الوفاة هنا وفاةُ موتٍ حقيقيّ.

فالآية على ظاهرها.

والرّاجح هنا أنّ الوفاة هي النّوم:

٤ ـ وقال آخرون: الوفاة هنا بمعنى النّوم.

فاللّه ألقى النّوم على عيسى عليه السلام، ولما نام رفعه إليه ومعنى الآية: إنّي منيّمك، ورافعك إليّ في نومك، ورجّح هذا القول ابن كثير[١].

ونحن مع الإمام ابن كثير في ترجيحه أنّ المراد بالوفاة هنا النّوم، وأنّ الله ألقى على عيسى عليه السلام النّوم، ثمّ رفعه إليه وهو نائم[٢].

ولن نخوض فيما خاض به الآخرون، ما دام هناك أحاديث ثابتة وصحيحة على عودة عيسى عليه السلام في آخر الزّمان، والخلاصة في معنى الآية: يا عيسى إنّني سأتوفّاك، بأن أُلقى عليك النّوم، عندما يأتي بنو إسرائيل لقتلك، وسأرفعك إليّ في السّماء عند نومك، وبذلك سأطهّرك من بني إسرائيل الذين كفروا، فلن تمتدَّ أيديهم إليك، ولن يؤذوك.

ولما هجم عليه بنو إسرائيل مع الجنود: أنامه الله، ثمّ رَفَعَهُ إلى السّماء، رفع روحه وجسده، وهو حيّ، بطريقةٍ معجزة[٣]!!

أمّ أحمد مع الأولاد: جزاك الله خيراً يا والدي واضح جدّاً ما شرحته...

سامي: حتّى أنا فهمته لا تخف يا والدي ...الله عزّ وجلّ رفع عيسى عليه السلام إلى السّماء وهو نائم. والأهمّ أنّه ألقى الشّبه على أحد أنصار الله فأخذوه بدل عيسى عليه السلام.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص٣٧٤.
(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٤٩ ـ ٣٥١.
(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٥٧.

أبو أحمد: الحمد لله ربّ العالمين أن وصل الشّرح وافياً لكم.

أمّ أحمد: لِمَ الاستغراب!! ونحن نعلم علم اليقين أنّ سيّدنا محمّداً ﷺ ليلة المعراج عُرِج به ﷺ إلى السّماء، بينما لم يدم العروج بمحمّد ﷺ إلى السّماء أكثر من ساعات، حيث أعاده الله إلى مكّة قبل بزوغ فجر تلك الليلة، فإنّ الله الحكيم شاء أن يُبقي عيسى عليه السلام في السّماء حتّى قبيلَ قيام السّاعة[1].

أبو أحمد: والآيات واضحة «وما قتلوه» وسنرى ذلك في قول الله تعالى، حينما تحدّث عن محاولة بني إسرائيل قتل عيسى عليه السلام، في سورة المائدة، وفي سورة آل عمران، وفي سورة النّساء، ففي سورة المائدة: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، أمّا في سورة آل عمران، فحديث مجمل في حماية عيسى عليه السلام منهم، بأن ألقى عليه النّوم ثمّ رفعه إليه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، وفي سورة النّساء، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٥٨.

﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٣ ـ ١٥٩].

بنو إسرائيل كفّار ملعونون بسبب موقفهم من عيسى عليه السلام، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ لعنهم الله بسبب كفرهم... فبعد هذه الآيات البيّنات يكفرون بالله، ويكفرون بالرّسل، وموقفهم من مريم عليها السّلام بسبب افترائهم عليها، واتّهامها بالزّنا وهي الطّاهرة العفيفة...

المهمّ ما قتلوا عيسى عليه السلام وما صلبوه ولكن نزل الشّبه على أحد الحواريّين!! إنّ قضيّة قتل عيسى عليه السلام وصلبه، يختلط فيها اليهود والنّصارى، فاليهود يقولون إنّهم قتلوه، ويسخرون من قوله: إنّه رسول الله، والنّصارى يقولون: إنّه صلب ودفن، ولكنّه قام بعد ثلاثة أيّام...

والتّاريخ يسكت عن مولد عيسى عليه السلام ونهايته، كأن لم تكن له في حساب!!

وما من أحد من هؤلاء يقول ما يقول عن يقين...

فلقد تتابعت الأحداث سراعاً، وتضاربت الرّوايات، وتداخلت في تلك الفترة، بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين... إلّا ما يقصُّه ربُّ العالمين!

والأناجيل الأربعة التي تروي قصّة القبض على المسيح عليه السلام وموته ودفنه وقيامته... كلّها كُتِبَتْ بعد فترةٍ من عهد المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته.

وخير من لخّصَ تلك الأحداث الإمام ابن كثير، ونسجّل قوله فيما يلي:

«وكان من خبر اليهود عليهم لعنات الله وسخطه وغضبه وعقابُه ـ أنّه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبيّنات والهدى حسدوه على ما آتاه الله من النّبوّة والمعجزات الباهرات... خالفوه وكذّبوه... فلمّا أحسّ

عيسى عليه السلام بمكرهم ومحاصرتهم البيت الذي مكث فيه هو والحواريّون، قال لأصحابه: أيّكم يلقى عليه الشّبه وهو رفيقي في الجنّة؟

فانتدب لذلك شابّ منهم، فكأنّه استصغره عن ذلك! فأعادها ثانية وثالثة، وكلّ ذلك لا ينتدب إلّا ذلك الشّابّ!

فقال له: أنت هو!

وألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام، حتّى كأنّه هو!!

وفتحت «روزنةٌ» من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنَةٌ من النّوم، فرُفع إلى السّماء وهو كذلك...

فلمّا رفع عيسى عليه السلام من سقف البيت، خرج أولئك النّفر من البيت...

فلمّا رأى اليهود والجنود ذلك الشّابّ ظنّوا أنّه عيسى، فأخذوه في الليل، وصلبوه، ووضعوا الشّوك على رأسه...

وأظهر اليهود أنّهم سعَوْا إلى صلبه، وتبجّحوا بذلك...

وسلّم لهم طوائف من النّصارى ذلك، لجهلهم وقلّة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنّهم شاهدوا رفعه... وأمّا الباقون فإنّهم ظنّوا كما ظنّ اليهود أنّ المصلوب هو المسيح ابن مريم... حتّى ذكروا أنّ مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت...

وهذا كلّه من امتحان الله عباده، لما له في ذلك من الحكمة البالغة.

وقد أوضح الله الأمر وجلّاه وبيّنه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم حيث بيّن أنّهم ما قتلوا عيسى عليه السلام وما صلبوه، ولكن شُبِّه لهم، حيث ألقى الله شَبَهه على ذلك الشّاب، فبدا لهم عيسى، فقتلوا اشابًّا وصلبوه ظانّين أنّه عيسى!

وأخبر الله أنّ الذين اختلفوا في عيسى عليه السلام من اليهود الذين ادّعوا

قتله، والنّصارى الجهّال الذين سَلَّموا لهم بذلك، كلّهم في شكّ وحيرة وضلال من ذلك.

وأخبر الله أنّهم ما قتلوه متيقّنين أنّه هو، وإنّما كانوا شاكّين متوهمّين.

أمّا عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إليه، والله هو العزيز الحكيم[1].

كبّر الجميع وهلّلوا وسبّحوا الله عز وجل أن حفظ عيسى عليه السلام.

وهنا قالت لهم أمّ أحمد نكتفي اليوم بهذا، ونعاود الحديث عن نزول عيسى عليه السلام مع حديثنا عن أشراط السّاعة الكبرى... حين ينزل في آخر الزمان...

قام الجميع كالمعتاد وهم يتمتمون بالتّهليل والتّسبيح وبحمد الله على نجاة عيسى عليه السلام من الكفّار اليهود...

وفي اليوم التّالي، جلس أحمد في غرفة المكتبة مستغرقاً في قراءة بعض الكتب التي تتحدّث عن أشراط السّاعة، فقد تشوّق للحديث عن أشراطها وخاصّة ما حدث منها وانتهى وما سيحدث في المستقبل أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في هذا الحين دخل أبو أحمد وسامي إلى غرفة المكتبة فبادر أحمد بالسّؤال، ها أنت ذا هنا، كنّا نبحث عنك. جهزّنا طعام الغداء ولم نجدك! أمّك وأخواك ينتظرون حضورنا.

أحمد: كنت أتلذّذ بغذاء العقول. (ورفع كتاباً بيده) إنّه يتحدّث عن أشراط السّاعة...

أبو أحمد: حسناً سيساعدك في التّحدّث عنها حين نتدارس ذلك هذه

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص٣٧٤ ـ ٣٧٥، والخالدي، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٧٠ ـ ٣٧٢ بتصرف.

الليلة، أمّا الآن فتعال لنأكل ونغذّي بطوننا، وفيما بعد تعود لمتابعة غذاء العقول والأرواح.

وهكذا كان.

تسامروا أثناء الطّعام، فقد كان حديثهم عمّا فعله أحمد... وبعد انتهائهم من الطّعام، اختاروا غرفة الجلوس للرّاحة قليلاً بعد الطّعام... أدار أبو أحمد جهاز التّلفاز ليشاهدوا الأخبار و... فجأة انقطعت الأخبار المحلّيّة ووضع مكانها كلمة «ملحق»، وإذ بخبر مثير يطرق أسماعهم ومناظر مروّعة تمرّ أمام أعينهم: لقد ضرب زلزال قويّ في إحدى مناطق قارّة آسية...

نظرت أمّ أحمد إلى وجوه الأولاد وهم يتطلّعون إلى هذه المناظر الطّبيعيّة التي حدثت بسبب هذا الزّلزال وفي حضنها صفاء... وقالت:

سبحان الله أردنا الحديث عن أشراط السّاعة فسبقتنا الأحداث عن الإخبار عن هذا الزّلزال... أغلقوا التّلفاز واستداروا إلى والدتهم التي حاولت تخفيف وطأة المصاب بالذّكر والدّعاء والحفظ والرّعاية بأن يحميهم من هذه المخاطر...

وقالت: سبحان اللّه! إنّ هذه الزّلازل تذكّرني بيوم القيامة.

وهي شرط من أشراطها وعلامة من علاماتها.

سامي: ذكرت سابقاً أشراط السّاعة، والآن تقولين أشراط يوم القيامة!!

الأمّ: السّاعة هي نفسها يوم القيامة.

جميل: لقد أخبرتنا البارحة أنّك ستحكين لنا عن الأشراط، فمتى سيكون هذا.

الأمّ: ألم نتّفق أن نتحدّث عنها اليوم في سهرتنا.

أحمد: نعم، واتّفقنا أن نحضّر عن هذه الأشراط وهذا ما فعلته قبل موعد طعام الغذاء.

الأمّ: إذن نجهّز أنفسنا لهذه الأمسية...

وسأحاول وضع صفاء في سريرها لعلّها تنام لتتمكّنوا من الانتباه الجيّد...

قام الجميع للتّجهيز لهذه الأمسية... أمّا أمّ أحمد فأنهت مستلزمات صفاء، وما يحتاجه المطبخ من تنظيف وترتيب بعد تناول طعام الغداء... كالمعتاد جهّزت أكواب العصير اللذيذ الطّازج مع بعض أنواع الحلوى اللذيذة...

جلست العائلة بعد صلاة المغرب كما اعتادت وهذه المرّة أحضرت أمّ أحمد بعض الكتب التي ستستعين بها في الشّرح في هذه الأمسية...

أمّ أحمد: يجب أن تعلموا أوّلاً أنّ السّاعة هي (الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسمّيت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنّها تفاجئ النّاس في ساعة، فيموت الخلق كلّهم بصيحة واحدة)[1].

وأشراط السّاعة هي علامات القيامة التي تسبقها وتدلّ على قربها[2]...

ومن الأمور المعلومة من الدّين بالضّرورة الإيمان باليوم الآخر، أي اليوم الذي يحيي الله فيه الخلق بعد موتهم، ويبعثهم من قبورهم ثمّ يحاسبهم، فيجزيهم خيراً ويثيبهم الجنّة إن كانوا محسنين، أو يعاقبهم ويدخلهم النّار إن كانوا مسيئين مشركين أو كافرين، ومن لا يؤمن بهذا اليوم فهو كافر والعياذ بالله.

---

(١) لسان العرب ١٦٩/٨.

(٢) الوابل، يوسف بن عبدالله، أشراط الساعة، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط٩، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٧٤.

ـ **سامي**: تقصدين أركان الإيمان، الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟.

الأمّ: نعم يا سامي وأفهم قصدك... تقصد كيف نحكم على أمر لا نراه؟؟

وسؤالك هو لِمَ حكم الله ﷻ على من لا يؤمن بيوم القيامة من الكافرين؟ أليس كذلك!!

سامي: نعم. كيف يحكم بالكفر على من لا يؤمن بما لا يرى؟

الأمّ: يا سامي، يا حبيبي، بما أنّك آمنت باللّه الذي لا تراه بعينيك؛ والملائكة الّذين لا تراهم أيضاً بعينيك، فأنت تؤمن بالغيب، أي ما لا تستطيع أن تراه أو تلمسه أو تسمعه... فكيف آمنت بهم وأنت لا تراهم؟

ـ سكت سامي ولم يُجرِ جواباً...

الأمّ: يا بنيّ، إنّ حواسنا محدودة، أي إنّ القدرة التي زوّدنا بها الله تعالى محدودة، لها حدّ أدنى وحدّ أعلى، لا تستطيع إدراك ما هو دون حدِّها الأدنى ولا ما هو فوق حدّها الأعلى.

بمعنى أنّنا لا نرى أو نسمع أو نشمّ أو نلمس أو نذوق إلّا بالقدرة المحدودة التي وهبنا الله إيّاها. هذا لا يعني أن ليس هناك إلّا ما نستطيع إدراكه بهذه الحواس، فالعلم توصّل لمعرفة مخلوقات أخرى تعيش معنا، ونحن لا نراها ولا نشعر بوجودها كالجراثيم والبكتيريا وهذا ما يسمى بالحشرات المجهرية، فهل يستطيع أحد إنكار ذلك؟

سامي: لا.

الأمّ: لماذا؟

سامي: لأنّ العلماء لا يخبرون إلّا عن أشياء حقيقيّة، وذلك بعد كثير من التجارب والجهد والعناء والتّقصّي.

الأمّ: إذاً حواسنا هي السّبيل الوحيد لنا للتّعرّف على الوجود من حولنا، وهي منافذ قصيرة المدى، محدودة كمّاً وكيفاً

(ولو منح الإنسان بعض حواس أخرى ـ غير التي هي داخلة في تركيبه لاكتشف من حوله أشياء أخرى...

وقد اكتشف العلم الحديث أنّ الفضاء مملوء بالصّور التي لا نستطيع أن نشاهدها بأبصارنا، وذلك لفقد الانسجام والتّوافق بين وضعها ووضع أبصارنا؛ كما أنّه مملوء بالأصوات التي هي فوق مستوى سمعنا أو دون مستواه الأدنى، ونحن لا نسمع من ذلك شيئاً...)[1].

تابعت الأمّ قائلة: فكيف نعرف إذاً الغيبيّات؟

جميل: ما دامت حواسّنا محدودة كما تقولين، فليس لنا سبيل لمعرفة الغيبيّات إلّا العقل والعلم.

الأب: العقل! هل تعتقد أنّ العقل يستطيع الوصول إلى الغيبيّات بدون عون من أحد؟ عقولنا أيضاً محدودة لا تستطيع التّعرّف إلّا على ما هو موجود بالفعل على وجه الأرض، أي أنّ هذه الأشياء تكون موجودة، قد تمّ خَلْقُها، فيستطيع العقل بواسطة القدرة المودعة فيه الوصول إليها بقليل من الجهد أو كثير منه، ولكنّه لا يمكنه التّوصّل إلى الغيبيّات، أي الأشياء التي ما تزال في علم الله، فلا يمكن لأحد معرفة ماذا سيحصل غداً، وهناك أمور (من مصلحة الإنسان أن لا يدركها بمجرد عقله، لأنّها غير داخلة في مجال العقل ودائرته، «فمن أين للعقل معرفة الله تعالى ـ بأسمائه وصفاته...؟ ومن أين له معرفة شرعه ودينه الذي شرعه للنّاس... إنّ الذي يدرك تفاصيل ما جاء به الشّرع بعقله وإن أدرك التّفاصيل فهو إدراك لبعض الجزيئيّات وليس إدراكاً كلّيّاً

(١) المرعشلي، يوسف، معرفة الله تعالى، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٩ ـ ٥٠ بتصرف.

شاملاً)[1]... ولو كان العقل يستطيع الوصول إلى الحقائق الغيبيّة لوحده ما عبد أحد النّيران ولا الحيوانات ولا الشّمس ولا القمر...

جميل: ما هو طريقنا إذاً لمعرفة ما حولنا؟

الأمّ: لدينا ثلاث طرق لمعرفة الأشياء وهي الحواس والعقل، والخبر الصّادق، وقد علمتم أنّ حواسّنا وعقولنا محدودة وقاصرة، فلم يعد لنا وسيلة إلّا الخبر الصّادق الذي يصل إلينا عن طريقين وهما: كتاب الله، القرآن الكريم، وسنّة رسوله ﷺ.

فإذا أخبرنا القرآن بشيء غيبيّ، أو إذا أخبرنا الرّسول بشيء لا نراه أو نشعر به، ولم نصدّق نكون قد كفرنا، لأنّ المؤمن هو الذي وصفه الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

سامي: أعرف من القرآن الكريم ذكر «يوم القيامة»، وكأنّها كثيرة أليس كذلك؟

الأمّ: أجل، لقد ذكر الله ﷻ يوم القيامة قرابة الأربعين مرّة، وتهدّد الذين لا يؤمنون بها ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤﴾ [الروم: ١٢ ـ ١٤].

سامي: وهل هناك من لا يؤمن بيوم القيامة؟

---

(١) الأشقر، عمر، الرسل والرسالات، الأردن، دار النفائس، ط٦، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٣٥ ـ ٣٦ بتصرف.

الأمّ: نعم. هناك من لا يؤمنون بيوم القيامة، مع العلم إنّهم يرون الموت كلّ يوم، والموت هو أوّل منازل الآخرة!

هل يعقل أن يعيش النّاس حياتهم بشكل طبيعيّ فيحسنون ويسيئون، ويؤمنون باللّه أو يكفرون، ثمّ يموتون فيتساوى الجميع بعد الموت فلا يثاب المحسنون ولا يجازى المسيئون؟

فهل يعقل هذا؟ الله ﷻ أنكر هذا الكلام، أي أنّه أنكر المساواة بين المؤمنين والكافرين، والخيّرين والشّرّيرين في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

والله ﷻ أكّد كثيراً حدوث يوم القيامة لأنّ عدم وجوده سيغري الكثيرين بظلم النّاس، ولماذا لا يفعلون ما دام أحد لن يحاسبهم؟ ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٧ ـ ١٨].

جميل: ومتى سيكون ذلك اليوم؟

أحمد: كثير من العاملين في مجال الحساب والفلك وغيرهم يقومون بدراسات حسابيّة لما تبقّى من عمر الأرض، ويزعم بعضهم أنّه توصّل لمعرفة ذلك الوقت.

الأب: لا يا أعزّائي، لا تصدّقوا هذا الكلام، فاللّه ﷻ لم يخبر أحداً بذلك، وهو لم يخبر به أحبّ الخلق إليه، سيّدنا محمّداً ﷺ، ولن يسمح لأحد بالوصول إليه، عن طريق الحساب أو التّنجيم، لأنّه من الغيبيّات التي لا سبيل إلى معرفتها إلّا عن طريق الخبر اليقينيّ. وعلم السّاعة اختصّ الله ﷻ نفسه بمعرفته وأمر سيّدنا محمّداً ﷺ أن يجيب من يسأله عنها أن يرجع علمها إلى الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا

عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال أيضاً: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٦].

تتابع الأمّ فتقول: هناك شيء آخر مهمّ: لن يعرف أحد موعد السّاعة لأنّها لن تأتي إلّا بصورة مفاجئة.

وهذا ما قاله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقد ورد ذكر مجيء السّاعة بغتة ثلاث عشرة مرّة في القرآن الكريم. منها مرّة جاءت مقترنة بأشراطها: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨].

جميل: وما هي أشراطها؟

أمّ أحمد: أشراط السّاعة نوعان: صغرى وكبرى. واليوم بإذن الله سنتحدّث عن الأشراط الصّغرى، ونترك الأشراط الكبرى ليوم غدٍ إن شاء الله تعالى.

الجميع: إن شاء الله تعالى. هيّا، إنّا نستمع.

الأمّ: أعلمنا الصّادق المصدوق سيّدنا محمّد ﷺ أنّ هناك عدداً لا بأس به من العلامات والأحداث ستجري بين يدي السّاعة، كلّها تدلّ على اقتراب موعد حساب المخلوقات وإثابتها أو معاقبتها.

وقد اختلف العلماء على تسمية هذه العلامات «صغرى» لا لأنّها غير ذات خطر، وغير ذات تأثير، ولكن هي صغرى بالنّسبة للعلامات الأخرى الكبرى التي يكون لها تأثير كامل وشامل لكلّ الأرض...

وقد بلغ عدد هذه العلامات الصّغرى سبعاً وخمسين علامة، أوّلها بعثة سيّدنا محمّد ﷺ وآخرها يكون بظهور الأعور الدّجال، الذي هو أوّل علامات الكبرى.

سامي (مقاطعاً): ظهور سيّدنا محمّد ﷺ وبعثته إحدى علامات السّاعة؟

الأمّ: أجل، فقد قال سيّدنا محمّد ﷺ: «**بعثت أنا والسّاعة هكذا**» ويشير بإصبعيه فيمدّ بهما[1].

وقال أيضاً في الحديث الذي رواه عنه أنس رضي الله عنه: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[2].

وقال في حديث آخر إنّ بعثته هي أوّل أشراط السّاعة: «بعثت في نسم[3] الساعة»[4]، أي بعثت في أوّل أشراط السّاعة وضعف مجيئها.

أحمد: سبحان الله، الرّسول الذي أرسله رحمة للعالمين كافّة، والذي اختتم الله به الأنبياء والرّسل يكون هو أوّل شرط أو علامة ليوم القيامة!!

الأب: طبعاً بما أنّ أوامر الله وشرعه قد وصلت جميعها إلى النّاس عن طريق رسله الكرام، فهذا معناه أنّ الهدف من خلق آدم عليه السلام وإنزاله إلى الأرض قد تحقّق، وما دام قد تحقّق فمن الضّروريّ أن يستعدّ الخلق لبدء الحساب.

الأمّ: لقد تحقق الكثير من الأشراط التي ذكرها سيّدنا محمّد ﷺ وبقي القليل. منها قبض العلم وظهور الجهل، وانتشار الزّنا والرّبا، وظهور المعازف واستحلالها، وكثرة شرب الخمر وتقارب الزّمان، والأسواق، وغيرها ممّا سنتكلّم عنه اليوم، ولكن بدون ترتيب زمنيّ.

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة النازعات، حديث رقم ٤٩٣٦، ٥٣٠١.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث رقم ٢٩٥١.

(٣) نسم: هو من النسيم، أول هبوب الريح الضعيفة.

(٤) رواه الدولابي في الكنى، وصححه الألباني في كتابه (صحيح الجامع الصغير) رقم الحديث (٢٨٣٢).

أنصت الأولاد جيّداً وشنّفوا آذانهم حتّى لا تفوتهم كلمة.

ـ أكملت الأمّ: سنبدأ الآن بعلامة نعيشها وتؤثّر في حياتنا اليوميّة ألا وهي تقارب الأسواق، فقد صار الواحد منّا بفضل ما تمّ من اختراعات علميّة وخصوصاً ما يسمى «الإنترنت"ـ قادراً على معرفة ما يتمّ عرضه في جميع أسواق العالم من بضائع وسلع، ومن مؤلّفات علميّة وأدبيّة ومن أدوية وعقاقير، ولم يعد الإنسان مضطراً لترك أعماله والسّفر إلى أماكن بعيدة لقضاء حوائجه أو الاتّصال بأقاربه وأصحابه، ولكنّه ينجز ذلك في دقائق معدودة من خلال الاتّصالات عبر «شبكة التّواصل الاجتماعيّ»، وبعد أن كان في القديم ينتقل بالدّوابّ والحيوانات والوسائل البدائيّة، صار لديه الطّائرة والسّيّارة، كان التّاجر يمضي الشّهور الطّويلة للوصول إلى مدينة بعيدة ليحضر منها ما يريد، ولكنه الآن صار يحقّق ذلك بدقائق قليلة.

وهذا التقارب في الأسواق ورد في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول قال ﷺ: «لا تقوم السّاعة حتّى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق»[1].

الأب: صدق رسول الله ﷺ، فقد كثرت الفتن في أيّامنا هذه، فلا تكاد تجد بلداً في الكرة الأرضيّة يعمّه السّلام والمحبّة، بل صار جميع النّاس متحفّزين للقتال، لا يطيق الواحد منهم سماع كلمة تعارض أفكاره وآراءه وتخالف ما يعتقد به، وفشا التّملّق والكذب، فلا تكاد تعثر على إنسان صادق، صار الصّدق عُمْلَة نادرة لا يجرؤ على التّعامل بها إلّا القلّة القليلة من النّاس الذين يحاولون التّمسّك بدينهم وأخلاقهم والتّشبّه بالأنبياء والصّالحين، هؤلاء النّاس ارتضوا مواجهة آراء النّاس المخالفين لهم الذين يتّهمونهم بالغباء والغفلة ويسخرون منهم لتمسّكهم بالصّدق والأمانة، وقد

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٥١٩.

حذّرنا سيّدنا محمّد ﷺ من تصديق الكذّابين في الحديث الذي رواه أبو هريرة: «يكون في آخر الزّمان دجّالون كذّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيّاكم وإيّاهم، لا يضلّونكم ولا يفتنونكم»[1].

(وبسبب كثرة كذب النّاس في هذا الزّمان؛ صار الإنسان لا يميّز بين الأخبار، فلا يعرف صحيحها من سقيمها)[2].

الأمّ: نأتي الآن إلى علامة أخرى من علامات يوم القيامة، ألا وهي: قبض العلم وظهور الجهل.

جميل: كيف هذا والعلماء يتكاثرون والنّاس يتعلّمون، والاختراعات كثيرة؟

الأمّ: المقصود بالعلم هنا «العلم الدّينيّ» وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السّلام، فإنّ العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يذهب العلم، وتموت السّنن وتظهر البدع، ويعمّ الجهل.

أحمد: ولكنّي أعرف الكثيرين ممّن يتعلّمون في كلّيّات الشّريعة والعلم الدّينيّ، وأعرف أنّهم يتزايدون سنويّاً. فكيف يكون الجهل؟

أبو أحمد: وهل تعتقد أنّ كلّ من يذهب للتّخصّص في العلم الدّينيّ سيصبح عالماً فقيهاً؟!

كثير منهم يظلّون على جهلهم أو يكادون، ولو افترضنا أنّهم جميعاً نجحوا في دراستهم وأبدَوْا تفهّماً لكلّ ما يتعلّمون، فهل تعتقد أنّهم سيكونون أمثال من فقدنا من أعلام العلماء الذين أوصلوا لنا ديننا سليماً، وفسّروا لنا آيات القرآن الكريم بشكل مقنع يدلّ على مدى تمكّن كتاب الله في قلوبهم؟ لا يا بنيّ، لقد خسرنا جهابذة العلماء ولن يستطيع أحد إلّا

---

(١) رواه مسلم في المقدمة، حديث رقم ٧.

(٢) الوابل، أشراط الساعة، ص١٩٦.

من أنعم الله عليه وأكرمه الوصول إلى ما وصلوا إليه، فإنّ القلوب قد قست، والعلم الدّينيّ لا يتقنه إلّا ذوو القلوب النّقيّة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**التقوى هاهنا ـ التقوى هاهنا ـ التقوى هاهنا**»[1].

قال الإمام الشّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنّ العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي[2]

تابعت الأمّ كلامها: ولو نظرتم إلى حال العلماء اليوم لرأيتم أنّهم قلّة من النّاس، يكلّمون النّاس بعلم يجهله أكثرهم ولا يصدّقونهم...

وهذا ما قصده سيّدنا محمّد ﷺ بقوله: «**إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جُهّالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلّوا**»[3].

ولا يزال العلم يقبض، والجهل يكثر، حتّى لا يعرف النّاس فرائض الإسلام، فقد روى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدرس[4] الإسلام كما يدرس وشي[5] الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة؟ ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا**

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).
(٢) ديوان الإمام الشافعي.
(٣) صحيح بخاري، كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، حديث رقم (١٠٠).
(٤) يدرس: يمّحى.
(٥) وشي: زخرفة، تلوين.

آباءنا على هذه الكلمة؛ يقولون: (لا إله إلا اللّه)، فنحن نقولها. فقال له صلة[1]، ما تغني عنهم (لا إله إلا اللّه) وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثمّ أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة! تنجيهم من النار ثلاثاً[2][3].

سامي: ينجو من النّار فقط لقولهم: (لا إله إلا اللّه)!؟

الأب: هذا من كرم الله ﷻ يوم القيامة «يخرج من النّار من كان في قلبه مثقال ذرّة من إيمان» فعلم أنّه من كان معه الإيمان أقلّ القليل لم يخلد في النّار، وإن كان معه كثير من النّفاق فهو يعذّب في النّار على قدر ما معه من ذلك، ثمّ يخرج من النّار[4].

وقد قال سيّدنا محمّد ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في اليوم، مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان، يومه حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك**»[5].

راح الجميع يردّدون هذا الدّعاء ليكتسبوا المزيد من الحسنات.

ثمّ استأنفت الأمّ كلامها عن أشراط السّاعة.

العلامة الثّالثة التي سنتحدّث عنها هي انتشار الزّنا، وهو مصيبة كبرى ابتلي بها النّاس في زماننا هذا، فكثرت دور البغي التي تحرّض النّاس على

---

(١) صلة: هو صلة بن زفر العبسي الكوفي، تابعي كبير.
(٢) ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، حديث رقم (٤٠٤٩).
(٣) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص١٣٤.
(٤) فتاوى الإمام ابن باز. في قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.
(٥) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٢٩٣).

الزّنا وتزيّنه في أعينهم وتسمّيه بأسماء جميلة في حين تنفّرهم من الفضيلة والتّمسّك بأهداب الحياء الذي هو من الإيمان، فمن دور الأزياء الخليعة إلى الكازينوهات إلى الأغاني الماجنة المثيرة للرّغبات المرذولة إلى المناداة بالحرّيّة المتحلّلة من قيود الأخلاق... فلا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم.

إنّك لا تستطيع السّير على طريق من الطّرق إلّا وتصطدم بصورة أو صور لنساء عاريات ورجال يبرزون مفاتن عضلاتهم التي تكشف عوراتهم نسأل الله العفو والعافية والمغفرة.

ولعلّ من أبرز آثار هذا العمل الشّنيع، الزّنا، ظهور الأمراض المميتة التي لا تجد لها علاجاً والتي لم يكن لها وجود في السّابق إلّا عند الذين فسدت أخلاقهم من قوم لوط وغيرهم ممّن ابتعدوا عن شرع الله، وكثرتها اليوم وانتشارها في كلّ المجتمعات تدلّ على مدى هجران النّاس لشرع الله وابتعادهم عن دينهم وأخلاقهم، فالأخلاق الحميدة لا يربطها ولا يحافظ عليها إلّا الارتباط بالدّين.

ومن الآثار النّاتجة عن هذه الكارثة ظهور علامة أخرى من علامات السّاعة ألا وهي: ظهور الفحش وقطيعة الرّحم وسوء الجوار.

أبو أحمد: وهذه العلامة استشرت الآن في جميع المجتمعات وخصوصاً تلك التي نالت نصيباً وافراً من التّمدّن والتّطوّر والتّقدّم في المجال العلميّ والصّناعيّ، فأفراد تلك المجتمعات هم الذين يعتقدون أنّهم إنّما تطوّروا وتقدّموا بسبب ما امتازوا به من عقل وافر وعلم واسع وصناعة متقدّمة، فنسبوا ذلك إلى أنفسهم ونسَوْا المنعم الذي خلقهم ومنحهم كلّ ما ينعمون به، وكأنّهم لا يذكرون أنّ الأقوام التي غضب عليها الله ﷻ كانت أقواماً ذكيّة جدّاً وقويّة ومتطوّرة أكثر منهم، فهل يعتقدون أنّ من بنى الأهرام _ الشّاهد الأعظم على حضارة القدماء _ هل يعتقدون أنّ هؤلاء القوم كانوا أغبياء وبدون تفكير، ولكنّ الله ﷻ أغرقهم مع فرعون الطّاغية،

فأنزل عليهم عقابه لأنّهم نسبوا أعمالهم لأنفسهم ونسَوْا خالقهم واتّبعوا سبيل الشّيطان الذي يدعو للفساد والإفساد.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الروم: ٩ ـ ١٠].

تابع الأب: فهل نعجب إذاً من تكاثر الزّلازل والهزّات والفيضانات والسّيول والأعاصير التي تحصد الملايين بصورة متوالية في أيامنا هذه، ففي كلّ يوم نسمع بحدوث إحدى هذه الكوارث في منطقة متزامنة مع كارثة أخرى في منطقة ثانية أو أكثر، وقد نسمع بحريق ينسب في مكان ما، يرافقه سيول وأمطار في مكان آخر مجاور، وحروب ومشاغبات في منطقة أخرى قريبة أو بعيدة، فلا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم.

أمّ أحمد تتابع الحديث عن الفحش المتعاظم التي تسبّب بالكثير من الخلافات التي استحكمت بين الأهل وأولادهم والأقارب وذوي الأرحام، ولم يعد التّزاور والتّواصل شيء مهمّ، بل كلّ فرد صار يهتمّ بنفسه وأصدقائه يزورهم ويودّهم ويسعى لتقوية علاقته بهم، في حين ترى الشّهور والسّنين تمرّ دون أن يحاول زيارة أمّه أو أخته أو ذوي أرحامه....

أمّا العلامة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، ألا وهي انتشار الرّبا الذي حرّمه الله تعالى في كتابه الكريم تحريماً صريحاً فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

لقد انتشر هذا الوباء انتشاراً واسعاً في أيّامنا هذه حتّى صار لا يخلو من التّعامل به بيت ولا شركة، بل إنّ الدّول صارت تقوم عليه من خلال

المصارف التي انتشرت انتشاراً واسعاً حتّى هيمنت على كلّ مجالات الحياة في كلّ الأرض المسكونة، حتّى صار المؤمن الذي يتحرّج من الرّبا لا يعرف كيف يتصرّف وكيف يطيّب طعامه وشرابه، أي يجعله حلالاً طيّباً.

الكارثة في الأمر أنّ تلك المصارف الرّبويّة غيّرت اسم الرّبا عن الأموال الإضافيّة التي تدفعها للمودعين الذين يضعون أموالهم فيها وأطلقوا عليها اسم الفائدة، وذلك سخرية لأفكار النّاس، وبهذا طارت البركة من الأموال والأطعمة والصّحّة والعافية، وصار النّاس يعيشون في عسرة دائمة.

استكملت الأمّ حديثها: علامة أخرى من أشراط السّاعة، ظهرت وانتشرت في أيّامنا هذه وصارت تعقد لها المهرجانات والمسابقات، ألا وهي ظهور المعازف واستحلالها وهي التي حذّرنا منها رسول الله ﷺ وقال: إنّ انتشارها وتباهي النّاس بها سيتسبّب بظهور علامة أخرى كانت تصيب بني إسرائيل الذين خالفوا تعاليم شرعهم، أعني بها (المسخ والقذف والخسف)، وذلك في الحديث الذي رواه سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان خسف، وقذف، ومسخ**». قيل: ومتى ذلك يا رسول اللّه؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقينات**»[1]. **والقينات هي المغنّيات اللواتي نشاهد تكاثرهنّ وتكاثر أغانيهنّ الماجنة التي تركّز على إثارة الغرائز، ونشاهد إكرام النّاس لهنّ ومسارعتهم إلى مدحهنّ والتّودّد إليهنّ في حين يبتعدون عن المؤمنات العفيفات، بل يحاولون إجبار هؤلاء العفيفات التّشبّه بالخليعات، وهذا ما ذكره البخاريّ من حديث سيّدنا محمّد ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلّون الحِرّ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلنّ أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم ـ**

(١) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ، والخسف، حديث رقم (٢٢١٢).

يعني الفقير ـ **لحاجة، فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العَلَم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[1].

الأب: ولا تنسَيْ يا أم أحمد أنّ ظهور المغنّيات والمعازف يتلازم تلازماً مادّيّاً مع شرب الخمر، فحيث يوجد الغناء لا بدّ أن يوجد الخمر والبغاء والجرائم الأخلاقيّة، فالخمر هي أمّ الرّذائل وأساس الشّرور، وما يُحزِن ويصيب بالأسى تسارع المسلمين إلى اقتناء هذه الآفة في بيوتهم والتّواصي بها واعتبارها رمزاً من رموز المدنيّة والحضارة، واعتبار من لا يحترمها متأخّراً وقديماً، لقد غيّروا اسمها كما غيّروا اسم الرّبا ـ ليتحذلقوا على النّاس ويؤكّدوا لهم أنّها حلال، فهي مشروبات روحيّة ليست خمراً، الله حرّم الخمر ولم يحرّم المشروبات الرّوحيّة، ويقول آخرون: إنّ القرآن لم يرد فيه تحريم صريح للخمر فلم يقل: «الخمر حرام» ولكن قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

ونسَوْا أنّ النّهي عن الشّيء أعظم وآكد من الأمر به.

ونسَوْا أنّ الله ﷻ أمرنا بطاعة رسوله الكريم ﷺ لأنّه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٣ ـ ٥]. فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، ورسول الله بدوره حرّم علينا كلّ المسكرات التي تزيل العقول وتقلّل من احترام النّاس لمن يتعاطى الخمر، فقال: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[2]، **ولأنّ الإسكار وصف مناسب لتحريم الخمر، ولأنّ التّحريم لدفع مفسدة أو ضرر عن النّاس بصيانة عقولهم وأجسادهم من الأذى والضّرر فقد وقع الحكم على كلّ ما من شأنه فعل ما تفعله الخمر،**

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، حديث رقم (٥٥٩٠)، رواه أبو عامر ـ أو أبو مالك ـ الأشعري.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، حديث رقم (٣٦٨١).

فقد حرّم الفقهاء تعاطي المخدّرات بجميع أشكالها لهذا عدّ سيّدنا محمّد ﷺ استحلال الخمر من علامات السّاعة فقال: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأةً قيّم واحد»[1].

الأمّ: وهناك شرط من أشراط السّاعة سوف يدهشكم وتستغربون منه. لقد اعتبر سيّدنا محمّد ﷺ أنّ من علامات السّاعة: زخرفة المساجد والتّباهي بها.

فتح الأولاد عيونهم دهشة ومفاجأة. كيف يكون هذا؟ أإذا اهتممنا بزخرفة مساجدنا وأظهرنا الطّاعة لله تعالى فإن ذلك من أشراط السّاعة؟ هل يجب أن تظلّ المساجد عاطلة من الزّينة؟

لم تتركهم أمّهم لتحيّرهم الدّهشة وتضيّعهم الأفكار، بل سرعان ما قالت: إنّ المساجد كانت لأداء الصّلوات وإظهار التّعبّد لله وطاعته، أي لعمارتها وليس للتّباهي بزخرفتها فماذا نستفيد إذا زخرفنا المساجد ثمّ هجرناها؟ إنّ الأصل في بناء المساجد هو أن تكون بيوتاً لله تستقبل ضيوف الله يملؤونها عبادة وصلاة، فيباهي الله بهم ملائكته.

أحمد: أي أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ من علامات يوم القيامة كثرة بناء المساجد وزخرفتها؟

الأمّ: لا، فنحن مأمورون بالإكثار من بناء المساجد لأنّها بيوت الله فقد قال ﷻ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧].

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعلّم، حديث رقم (٨١)، ومسلم (٢٦٧١).

ولكن قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»[1].

وقال أيضاً متوعّداً بالدّمار إذا زخرفت المساجد، وحلّيت المصاحف، فقد روى الحكيم والتّرمذيّ عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: «إذا زوّقتم مساجدكم، وحلّيتم مصاحفكم، فالدمار عليكم»[2][3].

سامي: ولكن لماذا هذا التّحذير؟

الأمّ: لأنّ كثرة الزّخرفة وتحلية المصاحف تشغل قلوب المصلّين والقرّاء فيتلهّون بالنّظر إلى بدائعها فينشغلون عن الخشوع والتّدبّر والحضور مع الله تعالى، وقد حرّم بعض الفقهاء تزويق المساجد والكعبة بذهب أو فضّة حرمة مطلقة، وكرهها بعضهم الآخر.

أحمد: هل هذا يعني أنّ التّقرّب إلى الله بما شرع الله لهم من طاعات...

الأب: ابتغاء الحسنات وأعمال الطّاعات لا يكون بإهدار الأموال في ما لا ينفع المسلمين. فماذا يستفيد المسلمون إذا أخذنا الذّهب والفضّة ورصّعنا بها جدران المساجد وأوراق المصاحف. بل بالعكس، فقد يتأذّى فقراء المسلمين من هذه المشاهد لأنّهم لا يجدون ما يأكلون أو يلبسون بينما هم يرون المال أمامهم ملتصقاً بالحجارة لا يستطيعون الاستفادة منه. الأفضل لمن يريد الاستزادة من الحسنات أن ينفق أمواله في منافع النّاس، فيوزّع عليهم الصّدقات مباشرة أو غير مباشرة، وذلك بتوفير أسباب العمل لهم، وفتح المدارس المجانيّة للفقراء، وبناء المستشفيات والمستوصفات

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، حديث رقم (٤٤٩).

(٢) هذا حديث حسن موقوف له حكم الرفع، أورده الألباني في صحيحه، حديث رقم (١٣٥١)، وقال: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/١٠٠).

(٣) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص١٤٧.

الخيريّة، إلى ما هنالك من وجوه الخير الأخرى، ولا تنسَوْا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أحبكم إلى الله أنفعكم لعياله**»[1].

الأمّ: هذا صحيح، فأن تنفع النّاس وتزيل عنهم كرباتهم أفضل وأحبّ إلى الله من الاهتمام بالجمادات وكلّ ما هو دون الإنسان.

ننتقل الآن إلى شرط آخر من أشراط السّاعة التي أكّد الله ﷻ في كتابه الكريم قرب حدوثها فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥] وغيرها الكثير من الآيات القرآنيّة. هذا الشّرط هو عودة أرض العرب لتكون مروجاً وأنهاراً. فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً**»[2].

ننتقل الآن إلى علامة أخرى، هذه العلامة هي حسر الفرات على جبل من ذهب فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلّي أكون أنا الذي أنجو**»[3]. **وفي حديث آخر يقول: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً**»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٥٤١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»، ١٠٢/٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (١٥٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، حديث رقم (٢٨٩٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، حديث رقم (٧١١٩).

أحمد: هل يقصد بالذّهب البترول. ألا يسمّيه العلماء (الذّهب الأسود).

الأب: لا إنّ الحديث الشّريف ينصّ على (جبل من ذهب)، والبترول ليس ذهباً على الحقيقة، فالمقصود بالذّهب هو معدن الذّهب حقيقة. ثمّ إنّ البترول يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة، أمّا الذّهب فسينحسر عنه الماء. والنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام أخبر أنّ النّاس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يقتتل أحد عند البترول عند خروجه من الفرات أو غيره. وقد نهى النّبيّ ﷺ أن يأخذ أحد منه شيئاً، في حين نرى النّاس جميعاً يأخذون النّفط ويستعملونه[1].

الأمّ: ومن أشراط السّاعة أيضاً كثرة الرّوم وقتالهم للمسلمين، فقد حدّث أحد الصّحابة الكرام واسمه «المستورِد القرشيّ» حديثاً عن رسول الله ﷺ قال: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» فسمعه عمرو بن العاص، فحذّره قائلاً: أبصر ما تقول قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك، إنّ فيهم خصالاً أربعاً. إنّهم لأحلم النّاس عند الفتنة، وأسرعهم إقامة بعد مصيبة، وأوشكهم كرّة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة؛ وأمنعهم من ظلم الملوك»[2].

هنا توقّفت الأمّ عن الكلام وقالت: لا زال لدينا الكثير من علامات السّاعة الصّغرى والكبرى نتوقّف هنا ونكمل غداً بإذن الله تعالى.

هلّلوا وكبّروا وسبّحوا الله ﷻ مع الدّعاء أن يصرف عنهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص٢٠٥ بتصرف.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، حديث رقم (٢٨٩٨).

وفي اليوم التّالي وبناءً على الوعد اجتمعت الأسرة لإكمال الحديث عن علامات السّاعة، وجلسوا منصتين ليتعلّموا ما ينفعهم.

الأمّ: روى مسلم[1] حديثاً في باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قَدَر الله ﷻ، وبيان الدّليل على التّسرّي ممّن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقّه، عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: «**سلوني**» فهابوه أن يسألوه. فجاء رَجُلٌ فجلس عند ركبتيه، فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: لا تشرك باللّه شيئاً، وتقيم الصّلاة، وتؤتي الزكّاة، وتصوم رمضان»، قال: صدقت. قال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن باللّه وملائكته، وكتبه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كلّه**» قال: صدقت، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: «**أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك**». قال: صدقت.

قال: يا رسول الله متى تقوم السّاعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها، إذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها، في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا اللّه**» ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، قال: ثمّ قام الرّجل فقال رسول الله ﷺ: «**رُدُّوه عَلَيَّ**» فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا جبريل أراد أن تَعَلَّمُوا إذْ لَمْ تسألوا**».

فمن علامات السّاعة: التّطاول في البنيان، ولادة الأمة لربّتها: أي أن تلد الأمة حرّاً؛ لأنّه ولد سيّدها، وهذا حدث منذ زمن بعيد، عندما فتح المسلمون بلاد الشّرك وسبوا الجواري.

---

(١) حديث رقم (٧).

وأيضاً من علامات السّاعة الصّغرى: كثرة القتل، ظهور الشّرك في هذه الأمّة، وتشبُّب المشيخة، عن ابن عبّاس ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون قومٌ يخضبون في آخر الزمان بالسواد، كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة**»[1].

ومن علامات السّاعة التي حدثت أيضاً كثرة الشّحّ، وكثرة التّجارة، وكثرة الزّلازل، التي كانت سبباً في الحديث عن أشراط السّاعة، عن أبي هريرة ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض**»[2].

ومن علامات السّاعة التي حدثت وانتهت أيضاً ذهاب الصّالحين، وارتفاع الأسافل، فمنها ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستأتي على الناس سنون خدّاعة؛ يُصَدَّق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق الرويبضة**». قيل: وما الرّويبضة[3]؟ قال: «السّفيه يتكلّم في أمر العامَّة»[4].

وهناك أحاديث كثيرة لا نستطيع سردها هنا كلّها وإلّا لن ننتهي من الانتهاء من القصد في رواية هذه الأحاديث إلّا أن نصل إلى نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٥٦/٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، حديث رقم (١٠٣٦).

(٣) الرويبضة: تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، والتافه الخسيس الحقير.

(٤) سنن الإمام أحمد، وقال: إسناده حسن، ومتنه صحيح ٢٩١/٢، رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب شدّة الزمان، حديث رقم (٤٠٣٦).

(٥) انظر: كتاب أشراط الساعة، ليوسف الوابل، وهي رسالة ماجستير، للاطلاع على الأحاديث الثابتة في أشراط الساعة الصغرى التي حدثت وانتهت. وانظر: كتاب=

المهمّ هو الأحاديث التي تخبرنا مباشرة قبل نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض.

سامي: وما هي أوّل علامة منها؟

الأمّ: في الواقع هناك عدّة علامات ستكون متزامنة أي إنّها تأتي في زمن واحد، وليس مؤكّداً أي منها يكون الأوّل، وهي حرب الرّوم، خروج المهديّ، نزول سيّدنا عيسى عليه السلام، وظهور الأعور الدّجّال.

تتابع السّرد وتقول هناك أحاديث مهمّة قبل خروج المهديّ، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الأعور الدّجّال، ألا وهي هدنة مع الرّوم... والأهمّ من ذلك فتن كقطع الليل المظلم، فإنّنا لوعدنا إلى كتب الحديث التّسعة (بخاريّ ـ مسلم ـ التّرمذيّ ـ أبو داود ـ ابن ماجه ـ النّسائيّ ـ مسند أحمد ـ المستدرك على الصّحيحين ـ موطّأ مالك) في كتاب الفتن أو باب الفتن، لنجد العجب العجاب وهي أحاديث صحيحة حدثت وتولّت ولم يبقَ لنا سوى قتال الرّوم وانحسار الفرات ووو...

الأب: لنبدأ بترتيبها:

١ ـ «ستصالحون الرّوم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتنصرون وتغنمون، وتسلمون، وترجعون حتّى تنزلوا بمرج ذي تُلول، فيرفع رجل من أهل النّصرانيّة الصّليب فيقول: غَلَبَ الصّليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدُقّهُ، فعند ذلك تغدر الرّوم وتجمع للملحمة». رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الرّوم»[1].

وفي حديث رواه مسلم وقد ذكرناه سابقاً، فقط نذكره هنا، لتسلسل

= عقيدة التوحيد، لابن حجر العسقلاني، جمع أحمد عصام الكاتب، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، وغيرها من كتب الأصول.

(١) حديث رقم (٤٢٩٢)، أبو داود في كتاب الملاحم.

الأحداث التي تسبق خروج الأعور الدّجّال، «تقوم السّاعة والرّوم أكثر النّاس». قال: فبلغ ذلك عمرو بن العاص فقال: ما هذه الأحاديث التي تُذكرُ عنك أنّك تقولها، عن رسول الله ﷺ، فقال له المستورد: قلت الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: فقال عمرٌو: لئن قلت ذلك، إنّهم لأحلم النّاس عند فتنة، وأجبر النّاس عند مصيبة، وخير النّاس لمساكينهم وضعفائهم»[1].

وحديث لبخاريّ: تحالف الرّوم والمسلمون يكون أثناء هدنة بينهما، كما ورد في حديث: «اعدد ستّاً بين يديّ السّاعة: موتي، ثمّ فتح بيت المقدس، ثمّ موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثمّ استفاضة المال حتّى يعطي الرّجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثمّ فتنة لا يبقى بيتٌ من العرب إلّا دخلته، ثمّ هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً»[2].

وروى الإمام مسلم في صحيحه أنّه: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجلٌ ليسَ له هجيري إلّا: يا عبدالله بن مسعود، جاءت السّاعة، قال: فقعد وكان متّكئاً، فقال: إنّ السّاعة لا تقوم، حتّى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثمّ قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشام)، فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام[3]... ولهذا الحديث تتمّة سنذكره في مكانه، وحديث تكون ملحمة الرّوم والمسلمين ملحمة كبرى، وقد ذكر مكانها في حديث أبي الدّرداء رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، حديث (٣٦)... وحديث آخر برقم (٣٥ ـ ٢٨٩٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، حديث رقم (٣١٧٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، حديث رقم (٢٨٩٩).

قال: «**قسطاس المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها: الغوطة، فيها مدينة يقال لها: دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ**»[1].

أمّا حديث[2]: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حُبُّ الدُّنيا وكراهية الموت**».

أمّا حديث الملحمة الكبرى، ففي حديث رواه مسلم وهو تكملة للحديث السّابق قال: «هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس لَهُ هجِّيري إلا: يا عبدالله بن مسعود! جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متّكئاً، فقال: إن السّاعة لا تقوم، حتّى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثمَّ قال بيده هكذا ـ ونحاها نحو الشّأم ـ فقال: عدوّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الرّوم تعني؟ قال: نعم. وتكون عند ذاكُمُ القِتَالِ ردّةٌ شَديدَةٌ، فيشترِطُ المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلّا غالبة، فيقتتلون حَتّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فيفيءُ هَؤُلاءِ وهؤلاء، كلّ غير غالب، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثمَّ يَشْترِطُ المسلمون شُرْطَةً للموت، لا ترجعُ إلا غالبةً، فيقْتَتِلُونَ، حتى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فيفيءُ هَؤُلاءِ وهَؤُلاءِ، كلٌّ غَيْرُ غالب، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسلِمُون شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لا تَرْجعُ إلا غالبة، فَيَقْتَتِلُونَ حَتّى يُمْسُوا، فيفيءُ هَؤُلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غَالب، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذا كَانَ يَوْمُ الرَّابع، نَهَدَ إليهم بَقِيَّةُ أَهْلِ الإسلام، فيجعل الله الدُّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً، إمَّا قال: لا يرى

---

(١) الجامع الصحيح، حديث رقم (٤٢٠٥)، رواه أبي داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، حديث رقم (٤٢٩٨).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على أهل الإسلام، حديث رقم (٤٢٩٧).

مِثْلُهَا، وإمّا قال: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتّى إنّ الطائر لَيَمُرُّ بَنُو الأَبِ، كانوا مِئَةً، فلا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إلا الرَّجُلُ الوَاحِدُ، فبأيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أوْ أيُّ ميراثٍ يقاسمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كذلك إذْ سَمِعُوا ببأْسٍ، هو أَكْبَرُ من ذلك. فجاءهم الصّريخُ، إنّ الدّجّال قد خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيِّهِمْ، فيرفُضُونَ ما في أيديهم ويُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قال رسول الله ﷺ: **«إنِّي لأعرف أسْمَاءَهُمْ، وأسْمَاءَ آبائِهِمْ، وأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأرضِ يَوْمَئِذ، أو من خَيْرِ فوارس على ظهر الأرض يومئذ»**[1].

وهذا القتال يقع في الغوطة في الشّام في آخر الزّمان، قبل ظهور الدّجّال، كما دلّت على ذلك الأحاديث، ويكون انتصار المسلمين على الرّوم تهيئة لفتح القسطنطينيّة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق[2] أو بدابق[3]، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا، قالت الروم: خلو بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام، خرج فبينما هم**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، حديث رقم (٢٨٩٩).

(٢) (الأعماق): قال ياقوت الحموي: «هي كورة قرب دابق، بين حلب وأنطاكية، وهما في الشام.

(٣) (دابق): بكسر الباء وروي بفتحها وآخره قاف: قرية قرب حلب، من عمال عزار بينها وبين حلب أربعة فراسخ «معجم البلدان» (٤١٦/٢).

يعدون للقتال، يسوُّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ»[1].

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن فسطاط[2] المسلمين يوم الملحمة في أرض بالغوطة[3]، وفي مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام**»[4].

تقول أمّ أحمد: هل نتوقّف هنا أم أكمل السّرد ونتوقّف حين خروج الدّجّال...

الأولاد: لا أكملي...

أحمد: بعدما تشوّقنا لمعرفة الأحداث تريدين التّوقّف هنا، وأظنّ لا زال هناك أحاديث كثيرة لم تذكريها فقد قرأت صباحاً عن أشراط السّاعة!!

أمّ أحمد: نعم بنيّ، فعلاً لو تتبّعنا فقط كتاب الفتن أهل الحديث في الكتب التّسعة، لأخذنا عامًا كاملاً للتّحدّث بما ورد عن الفتن والملاحم والدّجّال وعلامات السّاعة، ففي كتاب الفتن للبخاريّ **٢٨** باباً يتحدّث في نهايتها عن يأجوج ومأجوج، وفي صحيح مسلم في كتاب ـ... تفتح الكتب فقد أحضرتها معها لتستعين في سرد الأحاديث.

الفتن وأشراط السّاعة أيضاً **٢٨** بابًا، وآخر باب، باب ما بين النّفختين وفي سنن التّرمذيّ، ففي كتاب الفتن **٧٥** باباً يتحدّث عن جميع الفتن وهو مهمّ جدّاً لو تتبّعنا أحاديث الفتن لديه، أدعو الله ﷻ أن ييسّر لك بنيّ قراءة هذه الكتب حتّى يكون لديك علم بفقه أشراط السّاعة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، حديث رقم (٢٨٩٧).

(٢) قسطاط: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط.

(٣) الغوطة: هي موضع بالشام تحيط بها جبال عالية وبها أنهار وأشجار متصلة، وفيها تقع مدينة دمشق.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، حديث رقم (٤٢٩٨).

الجميع: آمين يا ربّ العالمين.

تكمل أمّ أحمد السّرد وتقول، وفي سنن أبي داوود، فقد كتب في كتاب الفتن وكتاب المهديّ وكتاب الملاحم ما حدث عن الفتن والملاحم وأشراط السّاعة حتّى باب قيام السّاعة.

وفي سنن ابن ماجه، ففي كتاب الفتن تحدّث في **٣٦** بابًا آخرها باب خروج المهديّ وباب الملاحم، وباب التُّرك.

أمّا في سنن النَّسائيّ ففي كتاب الاستعاذة فقط ذكر ممّ نستعيذ منها الفتن والدّجّال وفتنة المحيا والممات وفتنة القبر وغيرها من الفتن...

هل نكمل الآن باقي أشراط السّاعة[١]، فتح القسطنطينيّة[٢]: ومنها فتح مدينة القسطنطينيّة ـ قبل خروج الدّجّال ـ على يدي المسلمين، والذي تدلّ عليه الأحاديث أنّ هذا الفتح يكون بعد قتال الرّوم في الملحمة الكبرى، وانتصار المسلمين عليهم، فعندئذ يتوجَّهون إلى مدينة القسطنطينيّة، فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال، وسلاحهم التّكبير والتّهليل.

ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانبٌ منها في البحر؟**» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم قالوا: لا إلٰه إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها ـ قال ثور (أحد رواة الحديث): لا أعلمه إلا قال: ـ**

---

(١) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص٢١٤.

(٢) القسطنطينية: مدينة الروم، وهي معروفة حالياً بـ (إسطنبول) من مدن تركيا، وكانت تعرف قديماً (بيزنطة)، ثمّ لما ملك قسطنطين الأكبر ملك الروم بنى عليها سوراً وسماها قسطنطينية، وجعلها عاصمة ملكه، ولها خليج من جهة البحر... (انظر: «معجم البلدان» (٣٤٧/٤ ـ ٣٤٨) لياقوت الحموي.

الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إلٰه إلا الله والله أكبر؛ فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا: لا إلٰه إلا الله والله أكبر؛ فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدّجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[1].

أما «يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق» ذهب الحافظ ابن كثير إلى أنّ هذا الحديث «يدلُّ على أنّ الرّوم يسلمون في آخر الزّمان، ولعلّ فتح القسطنطينيّة يكون على أيدي طائفة منهم؛ كما نطق به الحديث المتقدّم؛ أنّه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق».

واستشهد على ذلك بأنّهم مدحوا في حديث المستورد القرشيّ، فقد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» ـ وقد ذكرنا هذا الحديث سابقاً[2] ـ.

وهناك من علامات السّاعة، خروج القحطانيّ:

في آخر الزّمان يخرج رجل من قحطان، تدين له النّاس بالطّاعة، وتجتمع عليه، وذلك عند تغيّر الزّمان، ولهذا ذكره البخاريّ في باب تغيّر الزّمان.

روى أحمد والشّيخان ـ البخاريّ ومسلم ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه**»[3].

ومن أشراط السّاعة خروج المهديّ في آخر الزّمان، يخرج رجلٌ من أهل البيت يؤيّد الله به الدّين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً كما

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخصلة، حديث رقم (٢٩٢٠).

(٢) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص٢١٥ ـ ٢١٦ بتصرف.

(٣) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص٢٤٩.

ملئت جوراً وظلماً، تنعم الأمّة في عهده نعمة لم تنعمها قطّ، تُخْرِج الأرض نباتها، وتمطر السّماء قطرها، ويعطى المال بغير عدد[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «في زمانه تكون الثّمار كثيرة، والزُّروع غزيرة، والمال وافر، والسّلطان القاهر، والدِّين قائم، والعدوّ راغم، والخير في أيّامه دائم»[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في المهديّ: «هو محمّد بن عبدالله العلويّ الفاطميّ الحسنيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[٣].

هناك ١٨ حديثاً صحيحاً في خروجه في آخر الزّمان سنذكر بعضاً منها:

● عن أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «المهديُّ مِنّي، أجلى الجبْهةِ، أقنى الأنف، يملأ الأرض قِسْطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين»[٤].

● وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خشينا أن يكون بعد نبيّنا حدث، فسألنا نبيّ الله ﷺ فقال: «**إنّ من أمّتي المهديّ يخرج ، يعيش خمساً، أو سبعاً، أو تسعاً** ـ زيد الشّاك ـ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: **سنين، قال: فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهديّ أعطني، أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله**»[٥].

---

(١) ابن كثير (المتوفى ٧٧٤)، النهاية في الفتن والملاحم، بيروت، الجزء الأول، ص٢٣. وحبذا يطلع المربي على هذا الكتاب لمعرفة علامات الساعة الصغرى والكبرى، وأهوال يوم القيامة. (مهم الإطلاع على هذا الكتاب).

(٢) المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٤.

(٣) المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٤.

(٤) رواه أبو داود، أول كتاب المهدي، باب الملاحم، حديث رقم ٤٢٨٥.

(٥) رواه الترمذي، في الفتن، باب ما جاء في المهدي، حديث رقم (٢٢٣٣)، قال: هذا حديث حسن.

● عن عليّ ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**المهديُّ منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة**»[1].

● وعن أبي سعيد الخدريّ ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر أمّتي المهديّ، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمّة ويعيش سبعاً أو ثمانية**»[2].

● وعن أمّ سلمة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المهديُّ من عترتي، من ولد فاطمة** ﷺ»[3].

● قال الحافظ ابن القيّم الجوزيّة[4]، ﷺ تعالى: (وقال الحارث ابن أبي أسامة في مسنده: حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم: حدثنا إبراهيم بن عقيل عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهديّ: تعال، صلّ بنا، فيقول: لا، إنّ بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة**»[5].

وعن عائشة أمّ المؤمنين ﷺ قالت: «عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله»، فقال: «**العجب إنّ ناساً من أمتي يؤُمّون بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم**»، فقلنا: «يا رسول الله، إن الطريق قد

---

(١) أخرجه ابن ماجه، باب خروج المهدي، رقم الحديث ٤٠٨٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٥٥٧، ٥٥٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أبو داود، في كتاب المهدي، (٤٢٨٤)، ضعيف له شواهد يرتقي به إلى الحسن لغيره.

(٤) ابن القيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ١٢٩ ـ ١٣٠. حسن.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «أخبار المهدي»، ذكره السيوطي في «العرف الوردي»، السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين، العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق أبي يعلى البيضاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، رقم (٦٥ ـ ٦٦).

يجمع النّاس»، قال: «**نعم، فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتَّى، يبعثهم الله على نيّاتهم**»[1].

وعن عبيد الله بن القبطيّة قال: «دخل ابن أبي ربيعة، وعبدالله بن صفوان، وأنا معهما، على أم سلمة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فسألاها عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام الزبير فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعثٌ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِفَ بهم**»، فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟

قال: «يخسفُ به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»[2].

ذهب ابن حجر الهيثمي إلى أنّ «ذلك العائذ هو المهدي، وأن تلك البيداء الخليفة»[3]، والحق أنّه لا يمكن الجزم بذلك نفياً ولا إثباتاً، لعدم الدليل الصريح، والعلم عند الله.

تقول أمّ أحمد: لست بصدد إثبات خروج المهديّ بل أنا أتابع الأحداث التي ستكون في آخر الزّمان وهي من أشراط السّاعة، خاصّة خروج أعور الدّجّال ومكثه أربعين يوماً قبل نزول عيسى عليه السلام.

أبو أحمد: نتوقف هنا، ونكمل غداً فالحديث عن أعور الدّجّال حديث يطول...

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، حديث رقم (٢١١٨)، ورواه مسلم في كتاب الفتن، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث رقم ٢٢١٠.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث رقم (٢٨٨٢)، والترمذي في كتاب الفتن، وقال: حديث غريب من هذا الوجه، حديث رقم (١٢٧٢).

(٣) أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، المتوفى ٩٧٤هـ، الزواجر عن اقتراف الكبائر، بيروت، دار المعرفة، لا.ط، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م، الأول، (١/٢٠٤). حيث يقول: «وبينت في كتابي الدرر في علامات المهدي المنتظر» مبيناً بأحاديث البخاري ومسلم خروج جيش لقتل المهدي ويخسف به في البيداء.

هلّلوا وكبّروا وسبّحوا الله ﷻ مع الدّعاء بأن يحفظهم الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن...

وفي اليوم التّالي كالمعتاد وبناءً على وعد والدتهم الحديث عن أعور الدّجّال في المساء... أنهت الأسرة عملها المعتاد واستعدّت هذا اليوم في غرفة الجلوس لارتفاع درجات الحرارة وازدياد الرّطوبة...

سامي: سنتحدّث اليوم عن الأعور الدّجّال... من حين سماع قصّة نوح عليه السلام ونحن ننتظر بفارغ الصّبر...

جميل: نعم، سبحان الله استغرق الوقت ليأتي الدّور للتّحدّث عن خروج أعور الدّجّال في آخر الزّمان...

الأمّ: هو أعظم مصاب يظهر على وجه الأرض، سيكون ظهوره أعظم فتنة ومصيبة يصاب بها المسلمون، كما أخبرنا سيّدنا محمّد ﷺ: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال**»[1].

أمّ أحمد تتابع الحديث وتقول: سمّي بالمسيح الدّجّال!! فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: الصّدِّيق، والمسيح الدَّجَّال: الضِّلِّيل الكذّاب.

فخلق الله المسيحيّين، أحدهما ضدّ الآخر: فعيسى عليه السلام مسيح الهدى؛ يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله.

والدَّجَّال لعنه الله مسيح الضّلالة، يفتن النّاس بما يُعطاه من الآيات؛ كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنّبات، وغيرهما من الخوارق.

وسُمّي الدّجّال مسيحاً، لأنّ إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنّه يمسح الأرض في أربعين يوماً[2].

ولست بصدد التّفصيل عن الأعور الدّجّال فقط سأسرد بعض

---

(١) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص٢٧٥.

(٢) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص٢٧٥.

الأحاديث التي وردت في ظهور الدّجّال في آخر الزّمان، حيث سيعيش الكافرون واليهود أفضل أيّامهم.

ـ **أحمد**: الكافرون سيعيشون أفضل أيّامهم، هذا طبيعيّ، فما بال اليهود؟

ـ الأب: اليهود سيكونون أوّل من يتبعه، فهم في مقدّمة جنوده كما قال رسول الله ﷺ: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**[1][2].

ـ **سامي**: وكم ستدوم هذه المحنة؟

ـ **الأمّ**: روى الصّحابيّ الكريم عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجّال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري، أربعين يوماً، أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم** ﷺ، **فيطلبه فيهلكه**...»[3].

سامي: أربعين[4] عاماً!! لن يبقى مؤمنون إذاً.

ـ الأب: ولكن هناك حديث آخر يؤكّد أنّها أربعون يوماً.

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وجاء فيه: «وأنّه سيمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ فيها كلّ منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطّور، ومسجد الأقصى[5][6].

---

(١) الطيالسة: جمع طيلسان، وهو ثوب أخضر يلبسه الخواص من الناس.

(٢) رواه الصحابي أنس بن مالك، وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث رقم (٢٩٤٤).

(٣) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس، وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، حديث رقم (٢٩٤٠).

(٤) على سبيل الحكاية.

(٥) جاء ذكر المساجد هكذا على الإضافة فيها دون الوصف.

(٦) صحيح الجامع (٥٣٠٦).

سامي: أربعون صباحاً!؟ هذا سهل، تمرّ بسرعة ونرتاح.

الأب: ليس الأمر كما تظنّ. ففي أيّام الفتن والحروب، يُحْسَب الوقت بالدّقيقة والثّانية، وليس بالسّاعة ولا اليوم، فهذه الأيّام الأربعون، متميّزة عن غيرها بطولها؛ فقد روى الإمام أحمد ﷺ عن جابر بن عبدالله ﷺ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجّال في خفقة من الدين وإدبار من العلم، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه**». هذا يعني أنّ تلك الأيّام ستكون ثقيلة الوطأة على المسلمين.

ـ **الأمّ**: هذه الفتنة ستكون خصّيصاً ليميّز الله تعالى المسلمين المؤمنين من المنافقين، فلا يعود على الأرض إلّا مؤمن وكافر لأنّ المنافقين سيُفْتَضَحُ أمرُهم وسيكتشف الجميعُ حقيقتهم، ولن يعودوا مضطّرّين للتّظاهر بالإيمان.

جميل: هل معنى هذا أنّ اليهود سينتصرون على المسلمين؟

الأمّ: لا، على الإطلاق. فقد بشّرنا رسول الله ﷺ بانتصارنا عليهم في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديّ من وراء الحَجَر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدَ الله هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[1]

جميل: الحجر والشّجر منه المؤمن والكافر أيضاً، ويدافعون عن المسلمين!؟

الأب: طبعاً، ألا تعرف؟ ألا تقرأ سورة الفاتحة؟ أليست الآية الأولى فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. فما معنى ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: قتال اليهود، حديث رقم (٢٩٢٦)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم (٢٩٢٢).

جميل: الإنس والجنّ.

الأب: والحجر والشّجر والحيوانات وجميع المخلوقات، لقد ذكر الله ذلك أيضاً في كثير من سور القرآن الكريم ولا سيّما في سورة الإسراء ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

جميل: عجباً، كيف يجتمع اليهود على الأعور الدّجّال، وهم لم يجتمعوا قطّ على نبيٍّ من أنبياء الله ولا أوليائه الصّالحين؟!

الأب: ذلك لسببين مهمَّين: **أوّلهما**: أنّ دينهم يبشّرهم بظهور المسيح بعد موسى عليه السلام، وهم لا يؤمنون أنّ عيسى ابن مريم هو المسيح الموعود، وهم ما يزالون ينتظرون ظهوره حتّى الآن .**وثانيهما**: وهو الأهم بالنّسبة لليهود وطبيعتهم المادّيّة التي تعشق المال والذّهب؛ فالأعور الدّجّال يمتلك أموالاً كثيرة بل إنّ كنوز الأرض تتبعه كالنّحل كما قال سيّدنا محمّد في الحديث الطّويل الذي رواه عنه الصّحابيّ النوّاس بن سمعان رضي الله عنه، قال: «...ويمرّ بالخَربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب[1] النحل...»[2].

جميل: كان الله في عون المؤمنين يومذاك! ولكن هل سيكون موقفهم هو موقف المتفرّج ـ يكتفون بمعصيته، ألن يواجهه أحد؟ هل ستمتلئ قلوبهم كلّهم جبناً؟

الأمّ: لا، فالدّنيا لا تخلو من الشّجعان الذين يواجهون أعداء الحقّ ويفنّدون[3] أعمالهم وأقوالهم، سوف يجمع المؤمنون شجاعتهم لاعتقادهم

---

(١) يعاسيب: جمع يعسوب وهو ذكر النحلة.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (٢٩٣٧).

(٣) يفندون: يبطلون، يبيّنون الخطأ.

الرّاسخ بأنّهم إذا قتلوا فسيكونون شهداء الحق؛ ينالون رضى الله، ويسكنهم فسيح جنانه، ثمّ إنّهم يعلمون أنّهم مقتولون لا محالة.

ولكنّهم قبل ذلك الموقف وتلك الشّجاعة المستدركة سيهربون من طريقه ويخافون من المواجهة، سيفعلون كل ما بوسعهم للابتعاد عن طريقه. فقد روت الصّحابيّة الجليلة أمّ شَرِيك ﵂ أنّها سمعتِ النّبيّ ﷺ يقول: «**لَيَنفرَنَّ الناس من الدّجّال في الجبال**»[1].

سامي: ومن هو الشّجاع أو الشّجعان الذين سيعترضون عليه ويواجهونه؟

الأمّ: خير ما أجيبكم به كلام سيّدنا محمّد ﷺ: «**يخرج الدجّال قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين فيتلقّاه المسالح**[2]: **مسالح الدّجّال، فيقولون له: إلى أين تعمِد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أوَ ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء؟ فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه، فينطلقون به إلى الدّجّال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس إن هذا الدجّالُ الذي ذكر رسول الله ﷺ، فيأمر الدجّال به فيشبَّح، فيقول: خذوه وشجّوه، فيوسَعُ ظهره وبطنه ضرباً، فيقول: أو ما تؤمن بي؟ فيَقول: أنت المسيح الكذّاب! فيؤمر به، فيؤشر**[3] **بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، ثم يمشي الدجّال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلاّ بصيرة. ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناس، فيأخذه الدجّال ليذبحه، فيجعل الله ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار،**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، من حديث أم شريك، حديث رقم (٢٩٤٥).

(٢) المسالح: الخفراء والطلائع.

(٣) يؤشر: يُنشر.

وإنما ألقي في الجنّة»، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند ربّ العالمين»[1].

كان الأب يستمع إلى الحديث الشّريف وهو يراقب وجوه أولاده ليرى أثر الكلام عليهم، فوجد سامي وقد اصفرّ وجهه، وظهرت عليه علامات الخوف.

ابتسم الأب حناناً وسأل سامي: ما بك يا حبيبي؟ لماذا تغيّر لونك؟

سامي: كيف لا، والفتنة ستكون عظيمة، لقد أيّد الله تعالى ذلك الدّجّال بكلّ مقوّمات النّصر والسّيطرة، والمسلمون اليوم تهاونوا في أمر دينهم، وَلم يعد عندهم صحابة ولا تابعون ليقوّموهم، وليس لديهم أسلحة قويّة لمجابهة أعدائهم، فكيف نحمي أنفسنا لننجو بأرواحنا وديننا؟

الأب (مبتسماً): معك حقّ بالخوف، ولكن إذا حافظت على دينك منذ اليوم، والتزمت بالفرائض التي فرضها الله علينا واعتقدت جازماً أنْ لا إلٰه إلا الله، واعتقدت مؤمناً أنّ رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأنّ كلامه ما هو إلّا وحيٌ يجريه الله على لسان نبيّه، فسوف تنجو ولن يستطيع أحدٌ خداعك أو تغيير معتقداتك.

سامي: أحاول دوماً تنفيذ أوامر الله، ولكنّ الخوف يتملّكني. فقد لا أستطيع مجابهة الدّجّال إذا ظهر في حياتي.

الأب: إذا واظبت على قراءة سورة الكهف فإنّها تعصمك من الدّجّال، ألم نذكر ذلك مراراً وتكراراً!!!

سامي: نعم.

---

(١) أخرجه مسلم، رواه أبو سعيد الخدري، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ناب في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، حديث رقم (٢٩٣٨).

الأب: وهذه نصيحة سيّدنا محمّد ﷺ لنا. لقد قال: «**فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»[1]، **وروى أبو الدّرداء** رضي الله عنه **أنّ النّبيّ** ﷺ **قال**: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال؟**»، وقال صحابي آخر اسمه شعبة «من آخر الكهف».

سامي: ولماذا هذه السّورة بالذّات؟

الأمّ: لأنّ الله تعالى أخبر في طليعة هذه السّورة أنّ الله أمَّن أولئك الفتية من الذين كفروا، فناسب أنّ من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم أن ينجيه كما أنجاهم[2].

وهذه الآيات هي...

أحمد: أنا أحفظها ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: ٩ ـ ١١].

الأب: هذا معناه أنّ الفتية الشّباب الخائفين عندما لجؤوا إلى الكهف فراراً بدينهم، دعَوْا ربَّهم أن ينعم عليهم برحمة خاصّة بهم من عنده، ويهديهم سواء السّبيل، عند ذاك أنامَهُم نوماً عميقاً لا يشعرون فيه بالأصوات سنين كثيرة العدد.

الأولاد: سبحان الله العظيم.

تابعت الأمّ إجابتها: ولأنّ «في أوّلها من العجائب والآيات التي تثبّت قلب من يقرأها بحيث لا يفتن بالدّجّال، ولا يستغرب ما جاء به الدّجّال،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، من حديث النواس بن سمعان، حديث رقم (٢٩٣٧).

(٢) الأشقر، عمر سليمان، اليوم الآخر: القيامة الصغرى، عمان، دار النفائس، ط٦، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٤٧ بتصرّف.

ولم يلهه ذلك، ولم يؤثّر فيه»[1]، فقد كان الفتية هاربين من ظلم الملك، لقد عبدوا الله وحده بالرّغم من حالة الشّرك التي كان عليها أبناء قومهم، هذه الحالة التي لم يستطع هؤلاء فيها تقديم الدّليل والبرهان على قوّة معبوديهم واستحقاقهم للعبادة ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: ١٤ ـ ١٦].

ثمّ إنّ هذه السّورة فيها من الآيات التي تذكر أنّ العبادة لا تجوز إلّا لله الواحد الأحد، ما يبلغ الأربعة عشر آية.

جميل: هذه فرصة مؤاتية للمؤمنين ليظهروا قوّتهم بدحض مزاعمِ هذا الدّجّال.

الأمّ: لقد نهانا سيّدُنا محمّد ﷺ عن مواجهة هذا الكذّاب، مهما كنّا واثقين من قدرتنا على تفنيد أقواله وأفعاله لئلّا ينتصر علينا، فقال: «**من سمع بالدجّال فلْينأ[2] عنه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه، مما يبعث به من الشّبهات**»[3]. **والأفضل لنا آنئذٍ أن نترك المكان الذي يوجد فيه وهو السّاحل، ونتوجّه إلى الجبال كما نصحنا سيّدنا محمّد ﷺ: «ليفرَّنّ الناس من الدجّال في الجبال»**[4].

سامي: وما يفعل من لا يستطيع الحياة في الجبال؟ هل يبقى مكانه ويصبر على ما يصيبه؟

---

(١) الأشقر، عمر سليمان، القيامة الصغرى، ص٢٤٧.

(٢) فلينأ: فليبتعد.

(٣) جامع الأصول (٧٨٤٦).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث رقم (٢٩٤٥).

الأمّ: إذا كان المرء قادراً على هذا الصّبر، فلِمَ لا يبقى؟ ولكن هذه المصيبة قد تطول، فهل سيبقى صابراً؟ هذا شيء صعبٌ جدّاً ومرهق. فالأفضل أن يمتثل لنصيحة رسول الله ﷺ ويذهب مرتحلاً إلى أحد هذه الأمكنة: (المسجد الحرام في مكّة، والمسجد النّبويّ في المدينة المنوّرة، والمسجد الأقصى في فلسطين).

جميل: ولماذا هذه الأمكنة بالذّات؟

الأمّ: لأنّ الله تعالى حمى مكّة والمدينة من الدّجّال، فلا يستطيع دخولهما. فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذٍ سبعة أبواب على كل باب ملكان»[1].وقال أيضاً: «...وإنّه لا يبقى شيء من الأرض إلّا وطئه وظهر عليه، إلّا مكّة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلّا لقيته الملائكة بالسّيوف...»[2].

جميل: والمسجد الأقصى؟

الأمّ: هناك حديث نبويّ يتكلّم عن أهمّيّة هذا المسجد، وهو «**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»[3].

سامي: هذا معناه أنّ الله تعالى حمى هذا المسجد من الدّجّال فلا يستطيع الوصول إليه؟

الأمّ: في الحقيقة، سيحاول الدّجّال الوصول إليه، ومحاصرة المسلمين الموجودين داخله، إلّا أنّ سيّدنا عيسى المسيح ﷺ والذي سينزل

---

(١) رواه البخاري، كتاب أبواب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، عن الصحابي أبي بكرة ﷺ، حديث رقم (١٨٧٩).

(٢) صحيح الجامع الصغير (٧٧٥٢).

(٣) البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، حديث رقم (١٨٦٤)، ومسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم (١٣٩٧).

في ذلك الوقت من السّماء سيتبعه ويقتله. وهذا ما قاله سيّدنا محمّد ﷺ: «**فإذا انصرف، قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجّال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلّى وساج، فإذا نظر إليه الدجّال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً...، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود...**»[1]. وجاء في صحيح مسلم: «**فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذابَ حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته**»[2].

جميل: ولماذا يلوّث يديه الطّاهرتين بدمائه القذرة؟ فليتركه فلينذُب لا ردّه اللّه!

الأمّ: حتّى لا يبقى أدنى شكّ في موته وتكون فرصته مؤاتية لإبليس ليزرع الخوف في قلوب المؤمنين، وكذلك ليفرح المؤمنون بنصر الله ﴿...لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: ٤ ـ ٥].

وقال الله ﷻ الذي يحبّ المؤمنين ويريد رفع رايتهم وتسكين قلوبهم ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾ [التوبة: ١٤ ـ ١٥].

الأولاد: سبحان الله، والحمد للّه، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر.

الأب: أعتذر منكم، فأنا تعب، لقد كان يومي مليئاً بالعمل المتعب، ولم يعد باستطاعتي البقاء معكم.

الأمّ: إذن نتوقّف ونكمل غداً بإذن الله.

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٧٥٢٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، حديث رقم (٢٨٩٧).

وفي اليوم التّالي: ومع تتابع أحداث أشراط السّاعة، اجتمع الجميع في غرفة الجلوس، بعد انتهائهم من صلاة المغرب جماعة في المسجد...

ولترطّب أمّ أحمد الجوّ جهّزت أكواب عصير التّوت الطّيّب البارد المثلّج...

ثم استعدّت العائلة لإكمال السماع عن أشراط السّاعة الكبرى.

أمّ أحمد: تحدّثنا عن المهديّ، وقلنا كيف سيكون وجوده متلازماً مع خروج أعور الدّجّال ونزول عيسى عليه السلام، وقلنا أنّ هناك كثيراً من الأحاديث المتواترة التي تثبت أن المهديّ هو غير عيسى ابن مريم.

واستأنفت الأمّ الكلام: لن نخوض الآن في قصّة نزول سيّدنا عيسى عليه السلام، ولكنّ الاختلاف بدا بالحديث عن سيّدنا المهديّ رضي الله عنه. فمن النّاس من يقول إنّ ظهوره سوف يسبق الدّجّال، ومنهم من يقول إنّه سَيَليه، ولكن بكلّ تأكيد أنّ ظهوره يسبق نزول سيّدنا عيسى عليه السلام.

جميع الأحاديث المتواترة التي تتحدّث عن ظهور المهديّ تؤكّد أنّه سيكون في وقت تكثر فيه الفتن والملاحم والزّلازل، ويسود فيه الهرج ـ أي القتل ـ وتكاد تنعدم فيه الأخلاق الكريمة إلّا نادراً، ويصدّق فيه الكاذب، ويكذّب الصّادق ويؤتمن الخائن ويخوّن الأمين، ويحكم النّاسَ سفهاؤهم، ويُنفى حكماؤهم، ويذهب الصّالحون ـ فلا تكادون تجدون إنساناً صالحاً ـ لا لأنّهم زالوا عن وجه الأرض، ولكن لأنّهم يخشَون الظّهور لاستخفاف النّاس بهم وعدم احترامهم لهم. فظهور الإمام المهديّ مؤشّر على تصفية أوضاع العالم الإنسانيّ، وفكّ العقد المستعصية، قبل قيام السّاعة النّهائيّ الذي يعني الانهيار العميق، في الذّاتيّة الآدميّة، والإيقاف الحاسم لاستمراريّة النّوع الإنسانيّ، والإقفال المحكم لباب التّوبة، والقبض المطبق للإيمان وأهل الإيمان.

فمن أجل ذلك، يكون مجيء المهديّ آخر فرصة متاحة للهداية، يتيحها الله جلّ جلاله، رحمة منه بعباده...)[1].

أحمد: هذا معناه أنّ الحال لن تصطلح، والأمن لن يستتب إلّا بعودة الإسلام بشكله الصّحيح ليحكم العالم على يد المهديّ.

الأمّ: هذا صحيح.

أحمد: ولكنّ الأمارات المبشّرة بظهوره، المذكورة في الأحاديث الشّريفة، قد ظهرت، فالزّلازل كثرت والأخلاق تخلّلت، والخوف حلّ في القلوب، والظّلم فشا، والحقوق ضاعت، فلِمَ لا يظهر الآن، وقد صار الجوّ مهيّئاً؟

الأمّ: ليس بعد، فالنّاس ما يزالون بعيدين عن الدّين، إنّهم يرفضون حتّى مجرّد سماع اسمه، وما زالوا متمسّكين بالأنظمة والقوانين التي وضعوها، ولا يريدون العدول عنها، والإسلام ليس أثواباً مفصّلة، ولا إدارات جاهزة، ولا حتّى برامج معدّة مسبقاً...

جميل: كيف هذا؟ فالقرآن ما زال موجوداً، وعلماء الدّين يقرؤونه ويفسّرونه ويَعَلِّمون أحكامه، وكذلك الأمر بالنّسبة للحديث النّبويّ، فهم الذين يستطيعون توجيه الحكّام إلى الطّريقة المثلى للحكم.

الأمّ: (هل يمكن أن نطلب من إنسان بعيد من الدّين ولم يقرأ شيئاً عن الإسلام، وأمضى حياته العمليّة في أجهزة حكم مدنيّ ودنيويّ أو علمانيّ ولا دينيّ، أن ينقلب في ليلة وضحاها إلى عامل في نطاق الحكم الإسلاميّ، وإذا فعلنا هذا واستجاب لنا، فهل يعقل أن يطبّق أحكام الشّريعة الإسلاميّة الغرّاء بأمانة واستقامة، لا لشيء إلّا لأنّ الواجهة العليا

(١) عيسى، عبدالرحمٰن، المهدي: قيادة وفكر... ووعد حق، حلب/ دار الكتاب النفيس، ١٤٠٦هـ، ص٥١.

للدّولة قد تغيّرت وانقلبت، وأنّ فئة يستهويها الحكم الإسلاميّ قد فرضت هواها على الدّولة؟)[1].

جميل: ماذا تقصدين؟

الأمّ: (إنّ الحكم الإسلاميّ أمر مثير وخطير، وذو حساسيّة مرهفة، ومدار هائل، ولكنّه بالطّبع ليس نسخاً مستنسخة، ولا صيغاً جاهزة، وليس القول أصلاً في الأحكام الثّابتة، والحدود القاطعة، التي تشكّل روح الشّرع المحمّديّ الخالد)[2].

ـ **جميل**: وكيف يكون إذاً؟

ـ **الأمّ**: يقول المثل: كما تكونون يولّى عليكم. هذا معناه أنّ المفترض على النّاس أن يعودوا إلى الدّين الحقّ عَوْداً حميداً، يتدارسونه، ويستوعبون أوامره ونواهيه، يغرسونها في نفوسهم غرساً ثمّ يتعهّدون هذه الغراس بالعناية والتّهذيب والعمل لتطمئنّ وترسخ بأمان. فإذا تمّ هذا، وصار جميع النّاس ، أو أكثرهم مستعدّين ليتولّى أمرهم رجلٌ صالح يقودهم إلى الخير والصّلاح، عند ذاك فقط، نقول إنّ الوقت قد حان لظهور المهديّ، فينظّم العلاقات ويقيم الحقوق والحدود، ويعيد صياغة الحياة، دون ممانع أو منازع، أي وجود سلطة مضادّة، تستبدّ بالأمر، أو تنازع فيه أو تمنعه وتقضي عليه.

تتابع أمّ أحمد السّرد: أمّا العلامة الثّالثة التي تتزامن مع ظهور المهديّ والأعور الدّجّال فهي نزول سيّدنا عيسى بن مريم عليه السلام.

ـ **سامي**: ذكرتِ ذلك سابقاً، وقلت إنّ له صفات تتّفق معها بعض أوصاف الأعور الدّجّال، فما هي صفاته.

---

(١) مستوحى من: **عيسى، عبدالرحمٰن، المهدي: قيادة وفكر... ووعد حق**، ص٩٣.
(٢) م.ن.، ص٩٦.

ـ **الأمّ**: قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيتني في الحِجر**[1]، **وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم ثْبتها، فكُربت كربة ما كُربت مثلها قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما سألوني عن شيء إلاّ أنبأتهم به. وقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْبٌ جعدٌ كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي. أقرب الناس شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم** ـ يعني نفسه ـ. . .»[2].

ـ **سامي**: ومن هو عروة بن مسعود الثّقفيّ؟

ـ **الأمّ**: هو أحد الصّحابة رضي الله عنهم أجمعين، (أسلم بعد انصراف النّبيّ ﷺ من الطّائف، وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبيّة، وكان رجلاً محبّباً مطاعاً في قومه أهل الطّائف، فلمّا دعاهم إلى الإسلام قتلوه. . . فقال فيه النّبيّ ﷺ: «**مثل عروة مثل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله، فقتلوه**»)[3].

ـ **جميل**: فلنعد إلى أوصاف سيّدنا عيسى عليه السلام.

ـ **الأمّ**: جاء في وصف سيّدنا محمّد ﷺ له: قال: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لِمة كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم، قد رجّلها[4]، فهي تقطر ماءً، متّكئاً على رَجلين أو على عواتق رَجلين، يطوف بالبيت، فسألت: مَن هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم»[5].

---

(١) الحجر: مكان قرب المدينة المنورة.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رواية عن أبي هريرة، حديث رقم (١٧٢).

(٣) الوابل، يوسف بن عبدالله، **أشراط الساعة**، ص٢٣٨ (الحاشية (٣)).

(٤) رجّلها: مشّطها.

(٥) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا بالليل، حديث رقم (٦٩٩٩)، وحديث=

ـ **أحمد**: هل سيكون نزوله فقط لقتل المسيح الدّجّال!؟

ـ **الأمّ**: هذا ليس شيئاً بسيطاً، إنّه بهذا سيخلّص المسلمين من الفتنة والقهر.

ـ **أحمد**: سيخلِّص المسلمين فقط؟ وماذا يحصل بباقي النّاس؟

ـ **الأمّ**: عندما يظهر المهديّ وعيسى المسيح عليهما السّلام ويرى النّاس صلاحهما وصلاح الأحوال على أيديهما، سيُقبِل كثير من غير المسلمين على الإسلام، ولن تعود هناك ملّة أخرى على وجه الأرض، عند ذلك سيكون النّاس إمّا مؤمنين وإمّا كافرين. فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس بيني وبينه ـ يعني عيسى ـ عليه السلام نبيٌّ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين[1]، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويُهلِك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجّال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون»[2].

ـ **سامي**: هل سيكسر كلّ الصّلبان؟ أم هناك صليب معيّن يقوم بكسره؟

ـ **الأمّ**: هذا تعبير مجازيّ، كناية عن أنه سيزيل جميع الملل، ويُكرِه أهل الكتاب[3] على الإسلام، فلا يقبل منهم الجزية، بل الإسلام أو القتل.

= (٣٤٤٠)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، حديث رقم (١٦٩).

(١) ممصرتين: الثياب التي فيها صفرة خفيفة.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث رقم (٤٣٢٤).

(٣) أهل الكتاب: المسيحيون واليهود.

ـ **أحمد**: ولماذا لا يقبل الجزية، ألم يقبلها سيّدنا محمّد ﷺ منهم ويبقِهم على شريعتهم؟

ـ **الأمّ**: لأنّ الأوان قد انتهى، وحان موعد النّهاية، ولا بدّ أن يحقّ الحقّ وينمحق[1] الباطل، ولا بدّ أن ينفصل المؤمنون عن الكافرين.

ـ **جميل**: أين وكيف سيكون نزوله؟

ـ **الأمّ**: سينزل على المنارة البيضاء الشّرقيّة بدمشق، وهي المنارة التي توجد في الجامع الأمويّ، إذ ليس في دمشق منارة أخرى بيضاء وسيكون نزوله في وقت أقيمت فيه الصّلاة والنّاس في المسجد يصلّون وراء إمامهم، فيتراجع الإمام ويقول لعيسى عليه السلام: يا روح اللّه! تقدّم، فيقول: بل تقدّم أنت، فإنّها قد أقيمت لك.

وهذا ما أخبر به سيّدنا محمّد ﷺ في حديثه الطّويل الذي رواه عنه النّوّاس بن سمعان: «إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلّا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه ـ أي يطلب الدّجّال ـ حتّى يدركه بباب لدّ، فيقتله، ثمّ يأتي عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة»[2].

أمّ أحمد: يكون هناك دليل من كلام الله العزيز: فقد جاء في سورة الزخرف ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ

---

(١) ينمحق: يزول.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (٢٩٣٧).

إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦١].

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾، أي: نزول عيسى قبل يوم القيامة علامة على قرب السّاعة[1].

وقوله تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩].

ـ **جميل**: أكاد أتخيّل اليهود حين ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، ويَرَونه أمامهم حيّاً يرزق، وقد أصابهم الذّهول وشُلَّت ألسنتهم وأجسامهم. لقد زعموا كثيراً أنّهم صلبوه وقتلوه، فإذا عاد إلى الأرض أثبت لهم كذبهم، وسيسقط في أيدي غيرهم ممّن صدّقوا كلامهم سواء كانوا من أتباع المسيح أو من غيرهم.

ـ يتابع جميل ويقول: كيف ينزل نبيٌ جديد إلى الأرض، أليس سيّدنا محمّد ﷺ هو خاتم الأنبياء؟

ـ **الأمّ**: إنّ سيّدنا عيسى سيحكم بشرع الإسلام، ولن يأتي بشرع جديد، فاللّه ﷻ قد أخذ العهد على الأنبياء بترك شرعهم واتّباع شرع سيّدنا محمّد ﷺ إذا ظهر في أيامهم كما أخبر سيّدنا محمّد ﷺ صديقه عمر بن الخطّاب: «**لو كان موسى حياً؛ ما وسعه إلا اتّباعي**»[2].

وبعد ذلك يموت عيسى عليه الصّلاة والسّلام ويصلّي عليه

---

(١) تفسير القرطبي (١٠٥/١٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٨٧/٣ ـ بهامشه منتخب الكنز.

المسلمون، كما قال سيّدنا محمّد ﷺ [1].

ـ **سامي**: وهل تقوم القيامة بموت سيّدنا عيسى عليه السلام؟

ـ **الأمّ**: لا، ما زال هناك علامات وأشراط بين يدي السّاعة، فسوف يخرج يأجوج ومأجوج ويأكلون الأخضر واليابس كالجراد وتجفّ بسببهم بحيرة طبريّة، وتحصل خسوفات ثلاثة في المشرق والمغرب، ويظهر دخان، ونار تحشر النّاس إلى أرض المحشر، وطلوع الشّمس من مغربها، ودابة تخرج من الأرض يراها جميع النّاس تطبع على وجوههم لفظي كافر أو مؤمن، ولا يتمكّن أحد من إنكار رؤيته لها.

سامي: فمن هذان الرّجلان؟ وكيف يأكلان جميع الطّعام ويشربان البحيرة هل هما غولان؟

ـ **الأمّ**: الغول حيوان خرافيّ، ليس له وجود إلّا في خيال النّاس، أمّا يأجوج ومأجوج فهما أمّة من الأمم ـ كما تعلمون.

تتابع أمّ أحمد السرد فتقول: لقد درسنا هذا سابقاً في سورة الكهف ألم نقرأها وقرأنا اسم يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم في قصّة ذي القرنين المذكورة في سورة الكهف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[2] [الكهف: ٩٣ ـ ٩٨].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤٠٦/٢)، بهامشه منتخب الكنز، وسنن أبي داود (٤٥٦/١) مع عون المعبود.

(٢) لقد استخدمت هذه الطريقة حديثاً في تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته.

ـ **سامي**: وأين يقع هذا السّدّ؟

ـ **الأمّ**: لا أحد يعلم مكانه بالتّحديد، ولم يستطيعوا ذلك بالرّغم من بحثهم عنه بالأقمار الصّناعيّة.

ـ **سامي**: إذاً، فلم يعد له وجود الآن.

ـ الأم: كيف تقول هذا؟ إنّ زواله إحدى علامات السّاعة الكبرى، وهي لم تبدأ بعد.

ـ **أحمد**: ذو القرنين، هل هو القائد التّاريخيّ المشهور الإسكندر ذو القرنين؟ لقد درسنا عنه وعرفنا أنّه قائد عظيم.

ـ **الأمّ**: لا، ليس هو، فالإسكندر كان إغريقيّاً وثنيّاً، أمّا الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم فكان مؤمناً موحّداً باللّه معتقداً بالبعث والآخرة.

ـ **سامي**: كيف عرفت هذا؟

ـ **الأمّ**: لن أقول لك إنّ كتب التّاريخ العربيّ القديم تؤكّد ذلك، فالتّاريخ قد يحتوي على كثير من الأخطاء، ولكن أقول إنّ القرآن الكريم يثبت هذا. فالسّدّ الذي بناه لم يكن من تصميم البشر، ولو كان الأمر هكذا لما سمحوا لسدّ مأرب بالانهيار، ونحن نقول إنّ سدّ ذي القرنين ما زال صامداً إلى اليوم ولم يستطع القاطنون خلفه أن يحدثوا فيه إلّا فتحه صغيرة بحجم الحلقة الناتجة عن الإصبعين الإبهام والسّبّابة، وذلك في حياة سيّدنا محمّد ﷺ: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخَبَث**»[1]، **وما زالت هذه الفتحة**

(١) رواية عن أم المؤمنين زينب بنت جحش، رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**ويل للعرب من شر قد اقترب**»، حديث رقم (٧٠٥٩)، رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، حديث رقم (٢٨٨٠).

كما هي لم يقدروا على توسعتها، ولن يستطيعوا ذلك إلاّ عندما يأتي أمر الله ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٨ ـ ٩٩]، ولهذا نعرف أنّ السّدّ كان وحياً من الله تعالى كما أوحى إلى نوح بصنع الفلك.

ـ **جميل**: هذا يعني أنّه كان نبيّاً؟

ـ **الأمّ**: هناك من يقول هذا، كما يقولون عن الخضر عليه السلام، ولكن لا شيء يؤكّد ذلك. يكفي أن نقول إنّهما رجلان صالحان.

أمّا الدّليل الثّاني على إيمان الرّجل فيأتي من السّورة نفسها وفي بداية القصّة التي تتحدّث عن أعماله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٨] فالله سبحانه وتعالى لا يوحي إلّا لعباده الصّالحين والمؤمنين.

ـ **جميل**: قلت في بداية حديثك عن السّور الذي بناه ذو القرنين أن لا أحد يعرف مكانه، كيف هذا والنّصّ القرآنيّ يثبت أنّه عند مطلع الشّمس؟ كما أنّه ذهب إلى مغرب الشّمس!

ـ **الأمّ**: وأين هو مغرب الشمس أو مطلعها؟

ـ **جميل**: طبعاً هي تغرب في جهة الغرب وتطلع في جهة الشّرق.

ـ **الأمّ**: لا تنسَ أنّ الأرض شبه كرويّة، وما نسميه نحن الشّرق قد يكون عند غيرنا الغرب، فكيف نحدّد الجهة التي توجّه إليها هذا الرّجل الصّالح؟ ثمّ إن الله سبحانه وتعالى ذكر أنّه ربّ المشارق والمغارب ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ [الصافات: ٥] .﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [المعارج: ٤٠].

ـ **جميل**: أنت محقّة في قولك. أعتذر عن هذا الخطأ، كان يجب أن أكون أكثر انتباهاً.

ـ **الأمّ**: لا بأس، لا تبتئس، كثيراً ما تغيب عن الإنسان أشياء قد تكون بدهيّة.

ـ **سامي**: هل هناك أحاديث نبويّة تصفهم لنا؟

ـ **الأمّ**: أجل، لقد روى الصّحابيّ عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد، إلا ترك من ذرّيته ألفاً فصاعداً»[(١)].

تعجب الأولاد من العدد الضّخم الذي بلغه أبناء يأجوج ومأجوج.

وتابعت الأمّ: وقال أيضاً عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: «إنّكم تقولون: لا عدو، وإنّكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج: عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف[(٢)]، من كل حَدَب ينسلون، كأن وجوههم المجانّ المطرقة»[(٣)].

ـ الأولاد: أجارنا الله منهم وصبّرَنا على مصائبهم التي يصيبوننا بها، ولكن كيف نتخلّص منهم؟ ألا نقاتلهم؟

ـ **الأمّ**: لا، لا، لا أحد يستطيع قتالهم إنّهم أقوياء جدّاً ولا يخافون أحداً، ولكنّ الله ﷻ يخلّص العالم من شرورهم ويبيدهم عن بكرة أبيهم.

---

(١) الحاكم في المستدرك (٤/٤٩٠)، وورد في فتح الباري (١٣/١٠٧).
(٢) الشعاف: أعلى شعر الرأس.
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/٢٧١ ـ بهامشه منتخب الكنز).

ـ **سامي**: وكيف سيكون ذلك؟

ـ **الأمّ**: قال رسول الله ﷺ: «. . .**ويخرجون**[1] **على النّاس، فيستقون المياه، ويفرّ الناس منهم، فيرمون سهامهم في السماء، فترجع مخضّبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وغلبنا مَن في السماء قوّة وعلوّاً**». قال: «**فبعث الله** ﷻ **عليهم نغفاً**[2] **في أقفائهم**». قال: «**فيهلكهم، والذي نفس محمد بيده؛ إن دواب الأرض لتسمن، وتبطر، وتشكر شكراً، وتسكر سكراً من لحومهم**»[3].

ـ الأولاد: لا إلٰه إلّا الله محمّد ﷺ رسول الله. اللهم نجّنا منهم.

لقد وصلنا إلى علامة يستطيع كلّ إنسان رؤيتها، ولا يمكنكم إنكارها ألا وهي مجيء دخان يغطّي السّماء من كافّة نواحيها، وقد اعتبر رسول الله ﷺ هذا الدّخان من علامات السّاعة لأنّ النّاس سيعانون منه الأمرّين كما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١١].

ـ **أحمد**: هذا ليس جديداً، فكثيراً ما ننظر إلى السماء ، ولا سيّما في أيّام الربيع، فنرى زرقة السّماء مغطّاة بما يشبه الدّخان، أو نرى الضّباب وهو يحجب الرّؤية ويؤذي النّاس.

ـ **الأمّ**: ليس هذا هو المقصود، فقد وصفه لنا سيّدنا محمّد ﷺ بقوله: «**إنّ ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة**[4] **ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه**»[5].

---

(١) يأجوج ومأجوج.
(٢) نغفاً: دوداً.
(٣) سنن الترمذي، تفسير سورة الكهف (٨/٥٩٧ ـ ٥٩٩). وسنن ابن ماجه (٢/١٣٦٤)، والحاكم في المستدرك (٤/٤٨٨).
(٤) الزكمة: الزكام.
(٥) رواه الطبراني، (٣/٢٩٢)، حديث رقم (٣٤٤٠).

ـ **جميل**: هذا يذكّرني بقصّة قوم هود وما أصابهم عندما هاجمتهم الرّيح العقيم، فدخلت على الكافرين بيوتهم ومغاورهم وأخرجتهم منها وحملتهم إلى أعالي الفضاء ثمّ أسقطتهم فأبادتهم، في حين كان المؤمنون يجلسون في أماكنهم آمنين.

ـ **الأمّ**: بالضبط، فاللّه ﷻ يدافع عن عباده المؤمنين ويحميهم من كلّ شرّ.

ولكنّ العلماء اختلفوا في ما إذا كان هذا الدّخان قد ظهر أم لا، فقد قال بعضهم إنّه هو ما أصاب قريشاً من الشّدّة والجوع عندما دعا عليهم النّبيّ ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون في السّماء كهيئة الدّخان[1]. وبعضهم الآخر أنكر هذا الكلام وصمّم أنّه من الآيات المنتظرة، والتي لم تأتِ بعد وسيقع قرب قيام السّاعة.

ـ **سامي**: ومن هم هؤلاء العلماء؟

ـ **الأمّ**: إنّهم من أصحاب رسول الله ﷺ أو تابعيهم. فقد روى الصّحابيّ عبدالله بن مسعود «خمس قد مضين: اللزام، والرّوم، والبطشة، والقمر والدّخان»[2].

وحديث آخر، رواه أحد الأئمة الذين لازموا الصّحابيّ عبدالله بن عباس واسمه مجاهد، فقد ذكرحديثاً عن ابن مسعود نفسه يقول: (هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر؛ فتثقب مسامعه)[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون، حديث رقم (٤٨٢٥).

(٢) اللزام: هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، أي: يكون عذاباً لازماً يهلكهم نتيجة تكذيبهم.

(٣) تفسير الطبري، ٥٢/١١٤ ـ ١١٥.

انطلق الأولاد يهلّلون ويكبّرون ويسبّحون، ويدعون ربّهم أن يكونوا من المؤمنين دوماً وأبداً.

ـ **أحمد**: ذكرتِ أنّ من العلامات الكبرى خسوفات ثلاثة. فما هي؟

ـ **الأمّ**: كثيراً ما نسمع عن أراضٍ وبيوت تخسف بما فيها ومَن فيها، فعلى مرّ الزّمان أصاب الخسف مدينة بيروت سبع مرّات، ثمّ تمّ إعادة إعمارها، وفي عام **١٩٥٧** حدث خسف في منطقة لبنانيّة ما زالت آثاره ظاهرة للعيان، مع أنّ الباقين من أهلها أعادوا إعمارها، وكثيراً ما نسمع اليوم عن بلاد غارت وزالت عن وجه الأرض ممّا لا مجال لذكره هنا، ولكنّ الخسوفات الثّلاثة التي يتحدّث عنها الرّسول ﷺ، هي خسوفات غير قابلة للإصلاح والإعمار، لأنّها ستكون ضخمة جدّاً، كما حدث لقارون ، وهو من قوم سيّدنا موسى أصابه الغرور بسبب العلم الذي اكتسبه فصار به يحوّل كلّ المعادن ذهباً، فطغا وتجبّر واعتقد أنّه هو القادر على هذا العمل ـ تحويل المعادن ـ ونسي قدرة الله تعالى، فافتتن به بنو إسرائيل وغيرهم، وصاروا يتمنّون لو أنّ لهم ماله. ولأنّه طغا وتجبّر وآذى سيّدنا موسى خسف الله ﷻ به وبأرضه وداره ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨١ ـ ٨٢].

ـ **سامي**: ولكن لديّ سؤال: الله ﷻ يحبّ عباده الصّالحين ويحميهم ويدافع عنهم، فكيف سيحميهم إذا خسف ببلادهم؟ هل سيخرجهم منها أم سيفنيهم مع الباقين؟

ـ **الأمّ**: هذا السّؤال طرحته أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ عندما كان يحدّث عن علامات السّاعة وقال: «**سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب؟**». فقالت أمّ

سلمة: أيخسف بالأرض وفيها الصّالحون؟ قال لها رسول الله ﷺ: «**إذا أكثر أهلها الخَبَث**»[1].

ـ **جميل**: وماذا عن طلوع الشّمس من مغربها؟

ـ **الأمّ**: تعوّدنا أن نرى السّنن الكونيّة تسير وفقاً لنظام معيّن لا تحيد عنه ـ إلّا كما قلنا في مرّات سابقة ـ معجزة لنبي أو كرامة لولي، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر ذلك النّظام الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر. فمثلاً ورد في سورة يس: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ ـ ٤٠].

وجاء في سورة الرّعد: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

وقال أيضاً: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾﴾ [الرحمٰن: ٥].

لذا فإنّ أدنى تغيّر في حركة الأفلاك يعتبر علامة كونيّة على اقتراب السّاعة. فكيف إذا كان هذا التّغيّر يتعلّق بمكان الشّروق والغروب فالشّروق مشتقّ من كلمة شرق، والغروب من كلمة غرب، كما أنّ حركة الإنسان تعني حياته، وسكونه الدّائم يعني موته، فهل يعقل أن تبدأ الحياة من حيث يجب أن تكون بداية الموت. هذا ما سيحصل للشّمس عند اقتراب يوم القيامة، فإنّها ستشرق من مغربها.

روى الشّيخان (بخاريّ ومسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس؛ آمنوا

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: «في الصحيح بعضه، وفيه حكيم بن نافع، وثّقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات.

أجمعون، فذاك حين لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[1].

إذا طلعت الشمس من مغربها، فإنّه لا يقبل الإيمان ممّن لم يكن قبل ذلك مؤمناً، كما لا تقبل توبة العاصي، وذلك لأنّ طلوع الشّمس من مغربها آية عظيمة، يراها كلّ من كان في ذلك الزّمان، فتنكشف لهم الحقائق ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتّصديق باللّه تعالى وآياته، وحكمهم من ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى[2]، كما قال ﷻ: ﴿لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

الأولاد: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وسبحان الله العليّ القدير.

الأمّ: هنا لا تقبل توبة العبد قال القرطبي: «قال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[3]. **ولا ينفع نفس إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها**»[4].

وقال ﷺ: «لا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت؛ طُبِعَ على كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل».

الأولاد: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وسبحان الله العلي القدير.

الأمّ: ننتقل الآن إلى ذكر الدّابّة التي ستخبر النّاس من هو المؤمن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (١٥٧).

(٢) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص٣٩٧.

(٣) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، بيروت/ لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٧٩٤.

(٤) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، بيروت/ لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٧٩٢ [ينصح بدراسة هذا الكتاب].

ومن هو الكافر. فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»(١).

سامي: وما هي هذه الدّابّة؟

الأمّ: اختلف الرّواة في وصفها وكنهها، والله أعلم ما هي؟؟ المهم أنّها ستخرج آخر الزّمان... فإذا ظهرت هذه الدّابّة وطلعت الشّمس من مغربها، لم يقبل بعد ذلك من كافر ولا فاسق توبة: (فإذا قطع عنهم التّعبّد لم يقرهم بعد ذلك في زماننا طويلاً).

وبعدما شدّ الأولاد أعصابهم لسماع علامات السّاعة الكبرى، قالوا: ربّنا زكِّ نفوسنا أنت خير من زكّاها أنت وليّها ومولاها، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. بعد ذلك قاموا ليؤدّوا صلاة نافلة الليل، ليكثروا من الدّعاء لله أن يحفظهم من شرّ الفتن.

* * * * * *

(١) القرطبي، التذكرة، ص٧٨٤.

قصّة رقم ٣٠

سيّدنا محمّد بن عبد الله ﷺ
خاتم النّبيّين والمرسلين

جلس أبو أحمد يطالع بعض الكتب الدّينيّة في غرفة المكتبة، ليستفيد من وقت الفراغ الذي يشعر به بسبب عودته مبكّراً من عمله، لظروف قاهرة اضطرّت المدير لذلك.

والأمّ خرجت مع ابنتها المشاكسة التي كانت تشغل أباها عن المطالعة بسبب حركاتها اللطيفة، وتعلّقها الشّديد به، والأولاد في النّادي الرياضي لممارسة بعض الرياضة. . . .

لم يقلق أبو أحمد لخلوّ البيت، فقد أخبرته زوجته مسبقاً أنّها ستذهب مع أختها لحضور جلسة مصالحة عند الجيران.

(عن أنس أنّ النّبي ﷺ قال: «**يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، شفّع لنا إلى ربّنا حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا نوحاً فإنه أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتون**

إبراهيم فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطاياه التي أصابها، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثمّ يقال لي: ارفع محمد وقل يسمع وسلْ تعطه واشفع تشّفع...»)[1].

وما كاد ينتهي من قراءة هذا الحديث الشّريف الذي يتحدّث عن فضل سيّدنا محمّد ﷺ، حتّى وصلت أمّ أحمد ثمّ الأولاد، فخرج الأب من المكتبة ليتناول معهم طعام الغداء.

سأل الأولاد أباهم عمّا كان يقرأ فأخبرهم، فعلت الابتسامة الوجوه وارتفعت الصّلوات على جميع الأنبياء.

بدت على وجوه الأولاد ملامح تنمّ عن شوقهم لمعرفة موعد اجتماعهم لمتابعة قَصص الأنبياء، فقال جميل: منذ مدّة لم نجتمع على قصّة أحد الأنبياء والرّسل، بسبب انشغالك في العمل...

وقد تحدّثنا في القصص الثّلاث الأخيرة عن الأنبياء الكرام زكريّا ويحيى وعيسى عليهم السّلام وعن علامات السّاعة الصّغرى والكبرى...

الأب: وكم نبيّاً ما زلتم بانتظار التّعرّف على قَصصهم؟

صمت الأولاد... سامي يعدّ أسماء الأنبياء...

أحمد: لقد أنهينا الحديث عن ٢٤ نبيّاً ورسولاً...

ابتسمت الأمّ وقالت: لا تتعبوا أنفسكم، فلم يتبقّ لنا إلّا الحديث

---

(١) البخاريّ، كتاب التّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥]، حديث رقم (٧٤١٠).

عن سيّدنا محمّد ﷺ، فهو خاتم الأنبياء والرّسل وكما قلنا سابقاً ليس بينه وبين سيّدنا عيسى عليه السّلام نبيّ.

أبو أحمد: ولأجل ذلك سنعود إلى قصّة عيسى عليه السّلام لنذكر صفات محمّد ﷺ في التّوراة والإنجيل... طبعاً من خلال ما ذكره الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم...

أمّ أحمد: اشتقنا للسّمر معك يا أبا أحمد...

فهلّا نعاود السّمر، خاصّة قبل انتهاء العطلة الصيفية وعودة الأولاد إلى المدرسة... والتحاق أحمد بجامعته؟؟ والأهمّ قبل استقبال فصل الشّتاء إذ لا يعود بوسعنا الجلوس في الحديقة!

اتّفق الجميع على مساعدة والدتهم في إنجاز مهامّ البيت ومساعدتها بإتمام مهامّ صفاء أيضاً...

اجتمعت الأسرة بعد صلاة المغرب في حديقة المنزل التي أضافوا عليها بعض التّعديلات في هذه العطلة... وخاصّة المزروعات الطيبة الرائحة التي كانت من أهمّ اهتمامات الأولاد الثّلاثة...

فقالت الأمّ: قبل البدء بسرد صفات رسول الله ﷺ فلنعرف أنّ هناك كتباً كثيرة سردت سيرة رسول الله ﷺ، والتي تحتاج لإتمام دراستها عادة عاماً دراسيّاً كاملاً... لذلك لن نتحدّث بالتّفصيل عن سيرته بل سنسلّط الضّوء على بعض الأحداث التي كانت تجمع قَصَصْ الأنبياء مع سيرته العطرة.

أبو أحمد: نعم لن ننتهي بجلسة ولا جلستين من سيرة سيّدنا محمّد ﷺ... ولكنّنا تعلّمنا الكثير من سيرته العطرة.... من خلال حديثنا عن الـ٢٤ نبياً ورسولًا لذا سنسلّط الضّوء على أمور لم نتحدّث عنها في قَصَصِنا السّابقة...

ولكن قبل العودة إلى صفات رسول الله ﷺ أذكر تساؤلاً لأحد

زملائي في العمل عن سيّدنا يحيى عليه السّلام حول أمور كثيرة... قلت له إنّها يهوديّات فلا تلتفت لها... ومنها أنّه دفن هنا في لبنان... وله مقام ووو..... طبعاً نفيت كلّ هذه الأكاذيب وتذكّرت كيف أمر سيدنا يحيى بني إسرائيل بخمس كلمات، وعيسى يشهد على ذلك:

قلنا أنّ يحيى وعيسى عليهما السّلام كانا معاصران لبعضهما...

وأخبرنا القرآن أنّ يحيى عليه السّلام صدّق عيسى عليه السّلام ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

واشترك يحيى وعيسى عليهما السّلام في الدّعوة إلى الله، وفي نصح وإرشاد وتذكير بني إسرائيل بضرورة عبادة الله الواحد الأحد.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن موقف من مواقف النّبيَّيْن الكريميْن اشتركا فيه في الدّعوة إلى الله.

روى التّرمذيّ وغيره عن الحارث الأشعريّ، رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ اللهَ أمَرَ يحيى بن زكريا بخمس كلمات، يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملونَ بهن**» .وإنّ عيسى ابنَ مريم قال له: إنّ الله أمَرَك بخمسِ كلمات، تعملُ بهن، وتأمرُ بني إسرائيل يعملون بهنّ، فإمّا أن تأمرهم، وإما أنْ آمرهم!.

قال (يحيى) عليه السلام: إنّك إن تسبقني بهنّ خشيت أنْ أعذَّب، أو يخسف بي!

فجمع (يحيى) عليه السلام النّاس في بيت المقدس، حتّى امتلأ وقعد النّاس على الشّرفات.

فوعظَهم (يحيى) عليه السلام قائلاً: إنّ الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهنّ.

أولاهنّ: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

وإنّ مَثَلَ من أشرك بالله، كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله،

بذهب أو ورق [فضة]، وقال: هذا داري، وهذا مالي، فاعمل وأدِّ إليَّ. فجعل يعمل، ويؤدي إلى غير سيده. فأيُّكم يسرُّه أن يكون عبدُه كذلك؟ وإنّ الله خلقكم ورزقكم، فلا تشركوا به شيئاً.

وآمركم بالصلاة. فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وآمركم بالصيام. وإنّ مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رجل معه صُرَّةٌ فيها مسك، ومعه عصابة، كلُّهم يعجبُه ريحها. وإنّ الصيامَ أطيبُ عند الله من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة. وإنّ مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوّ، وقاموا إليه، فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أنْ أفدي نفسي منكم؟

فجعل يعطي نفسه القليل والكثير ليفكَّ نفْسَه منهم.

وآمركم بذكر الله كثيراً. وإن مثل ذلك كمثل رجلٍ طلبه العدوّ سراعاً في أثره، حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه فيه. كذلك العبد، لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

وقال رسول الله ﷺ: «**وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهنّ**:

الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله.

فمن فارق الجماعة قيد شبر، خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنّه من جِثِيِّ جهنم».

قيل: وإن صام وصلّى؟

قال: «**وإن صام وصلّى، فادْعوا بدعوى الله، الذي سَمّاكم المسلمين المؤمنين عبادَ الله**»[1].

---

(١) رواه التّرمذيّ، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصّلاة والصّيام والصّدقة، حديث رقم (٢٨٦٣). وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

يتابع أبو أحمد السّرد فيقول: قدّم لنا رسولنا محمّد ﷺ من خلال هذا الحديث يحيى عليه السّلام داعياً إلى الله، آمراً بني إسرائيل بالمعروف، حيث أمرهم بعبادة الله وحده، وبالصّلاة، والصّدقة، والصّيام، وذكر الله، واستخدم ضربَ الأمثال ليوضِّحَ ما يأمرهم به، وهذا من فصاحته وعلمِه ونجاحِه في الدّعوة إلى الله.

والأهمّ من ذلك هو أنّ سيّدنا عيسى عليه السّلام شاهد على يحيى وهو يُبَلّغُ قومه هذه الأوامر، بل لعلّه كان معه عندما دَعاهم إلى ذلك الاجتماع الكبير الحاشد في بيت المقدس، حيث أمرهم بما أمرهُ الله به[1].

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً...

واللطيف أنَّ رسول الله محمّداً ﷺ أضاف على الأوامر الخمسة الصّادرة عن يحيى عليه السّلام خمسة أخرى، وأمرنا نحن بها كلّها، أي صرنا مأمورين بالأوامر العشرة، باعتبارها توجيهات وأوامرَ إسلاميّة: عبادة الله، والصّلاة، والصّدقة، والصّيام، وذكر الله، والجماعة، والسّمع، والطّاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله[2].

أمّ أحمد تتابع الحديث وتقول: وسنرى الآن الآيات التي تحدّثت عن صفات محمّد ﷺ في التّوراة والإنجيل؛ فقد بشّرَ موسى عليه السّلام قومه بمحمّد ﷺ، وبَشَّرَ عيسى عليه السّلام قومه بمحمّد ﷺ، ولهذا جاءت صفات رسولنا ﷺ مكتوبة في التّوراة والإنجيل.

ورد هذا صريحاً في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ

(١) الخالديّ، صلاح، القصص القرآنيّ، الجزء الرّابع، ص١٥٧.
(٢) المرجع السّابق، ص١٥٧.

وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧ ـ ١٥٨].

يخبرنا الله في هذه الآية أنّ رسولنا ﷺ هو النّبيّ الأمّيّ، وأنّ الله أخبر به اليهود والنّصارى في التّوراة والإنجيل، وأنّهم قد قرؤوا صفاته المكتوبة في التّوارة والإنجيل، وهذه حقيقةٌ قاطعة، أنطق الله بها بعض اليهود والنّصارى[1].

روى البخاريّ عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: «أجل. واللهِ إنه لموصوفٌ في التوراة وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيمَ به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله. ويفتح به أعيناً عمياً، وأذناً صُمّاً، وقلوباً غلفاً.

قال: ثمّ سألت كعب الأحبار عن ما قال ابن عمرو فما زاد عليه حرفاً»[2].

يدلّ هذا الحديث على أنّ صفات الرّسول ﷺ الموجودة في القرآن الكريم هي نفسُ صفاته الموجودة في التّوراة والإنجيل.

أبو أحمد: وأيضاً صرّح القرآن الكريم بأنّ عيسى عليه السّلام قد بَشَّرَ بالنّبيّ الخاتم ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا

(١) الخالديّ، صلاح، القَصص القرآنيّ، الجزء الرّابع، ص٣٣٧.
(٢) رواه البخاريّ، كتاب البيوع، باب كراهيّة السَّخَبِ في السّوق، حديث رقم (٢١٢٥).

جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٦ ـ ٧].

يعلن عيسى عليه السّلام لبني إسرائيل أنَّ اللهَ بعثه لهم رسولاً، وجعله مصدّقاً لما سبقه من التّوراة وأمره أن يبشِّرَ برسولِ الله ﷺ، الذي سيبعثه من بعده وأن يأخذ على النّصارى العهد، أن يؤمنوا به ويتّبعوه[1].

أحمد: ومع ذلك، فإنّ النّصارى الذين أدركوا محمّداً ﷺ قد نقضوا عهدهم مع عيسى، وكذّبوا محمّداً ﷺ.

ولـمّا شاهدوا ما معه من البيّنات قالوا إنّها سحر[2]: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وبما أنّ عيسى عليه السّلام بشّرَ به، فقد أخبر محمّد ﷺ أنّه «بشرى عيسى» عليه السّلام.

روى أحمد وغيره عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإنّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومَه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم»[3].

والـمهـمّ أيضاً أنّ أمّة محـمّـد ﷺ هـم أتبـاع عـيسى عـليـه السّـلام الحقيقيون.

وهذا وعد نافذ ناجز من الله سبحانه، لأنّ الله لا يخلف الميعاد، فمن هم الذين اتّبعوا عيسى عليه السّلام المقصود بالآية: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ

(١) الخالديّ، صلاح، القَصص القرآنيّ، الجزء الرّابع، ص٣٣٨.
(٢) الخالديّ، صلاح، القَصص القرآنيّ، الجزء الرّابع، ص٣٣٨.
(٣) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث: العرباض بن سارية، حديث رقم (١٧١٦٣).

﴿ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ٥٥] هل المقصود أنّ الذين اتّبعوا عيسى عليه السّلام هم النّصارى؟؟

النّصارى بعد رفع عيسى عليه السّلام أشركوا بالله وألّهوا عيسى عليه السّلام، وبهذا لن يكونوا هم المتّبعين له!!

إنّ الذين اتّبعوه هم أمّة محمّد ﷺ، حيث آمنوا أنّه عبد الله ورسوله، ثمّ آمنوا بمحمّد ﷺ لأنَّ عيسى عليه السّلام بشّر به[1].

أمّ أحمد: بارك الله بك بنيّ، فتح الله عليك فتوح الرّاسخين في العلم وجعلك ممّن يحمل هذه الرّسالة ويبلّغها القاصي والدّاني كما أمرنا رسول الله ﷺ.

المهمّ أنّنا أغلقنا بعض الأبواب العالقة في قصّة عيسى عليه السّلام، وسنرى أنّنا سنتحدّث عن أبواب أخرى لم نغلقها وسنتركها للتّحدّث عنها في وقتها المناسب.

أحمد: هل تقصدين التّحدّث عن اليهود وما فعلوه من جرائم وخاصّة نقضهم العهود؟؟

أمّ أحمد: نعم وسيكون لنا من خلال حديثنا عن سيرة رسول الله ﷺ التّحدّث عن مسلسل جرائمهم ونقضهم العهود، فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ لنا ذلك خاصّة في السّور المدنيّة التي تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.

تصمت أمّ أحمد هنيهة، وتتابع بصوت ينمّ عن الحديث عن سيرته العطرة ﷺ منذ أيّام سيّدنا إسماعيل عليه السّلام إلى يوم بعثة رسول الله ﷺ.

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص٣٥٩.

جميل: أمّي... هل ستعودين إلى ما تعلّمناه سابقاً عن قصّة إسماعيل عليه السّلام؟

أمّ أحمد: سنتحدّث فقط عن البقعة الجغرافيّة التي نشأ فيها رسول الله ﷺ، ولن ندخل بالتّفاصيل... وإلّا ستأخذ منّا سيرته سنوات ولن ننهيها...

سنبدأ على بركة الله بالحديث عن سيّدنا إسماعيل عليه السّلام وما حدث مع إبراهيم عليه السّلام حين زاره مرّتين وفي المرّة الثّالثة جاء لبناء الكعبة المشرّفة...

وإنّ إسماعيل عليه السّلام كان نبيّاً ورسولاً إلى أبنائه وقومه والمهمّ الذي أريد الوصول إليه هو أنه ظلّ التّناسل من أولاد إسماعيل عليه السّلام، حتّى كان منهم عدنان جدّ سيّدنا محمّد ﷺ...

ظلّ النّاس فترة زمنيّة على دين إبراهيم عليه السّلام متمسّكين به زمناً طويلاً حتّى برز الشّيطان لبعضهم ووسوس لهم عن طريق عمرو بن لحي الذي كان أوّل من أدخل الأصنام إلى مكّة المكرّمة، وهذا كان في ولاية قبيلة خزاعة التي استولت على مكّة من قبيلة جرهم.

وقبل الدّخول في قصّة عبادتهم للأصنام، يجب أن نعرف أنّ إسماعيل عليه السّلام وإن كان ابن إبراهيم عليه السلام إلا أنه أصبح من العرب المستعربة التي سكنت مكة المكرمة بعد أن تركه إبراهيم عليه السلام مع أمه في صحراء مكة، والمهم أن عرب الحجاز هم من ذرّيّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام.

وهناك أيضاً عرب اليمن فهم عرب القحطانيّة منذ أيّام هود عليه السّلام.

كما تجب المعرفة أنّ شبه الجزيرة العربيّة، كانت عرباً: عرب مستعربة أو عرب قحطانيّة...

ولن ندخل بالتّفاصيل حتّى لا تضيع الفكرة الأساسيّة وهي الحديث عن البقعة الجغرافيّة قبل ولادة رسول الله ﷺ فإن أردت يا أحمد الاستزادة لمعرفة التّفاصيل فعندك كتاب «البداية والنّهاية» لابن كثير مع العلم إنّه صعب عليك الآن ولكن بما أنّنا درسنا قَصَص الأنبياء أصبح سهلًا عليك وإن احتجت أيّ استفسار عد إلينا أنا ووالدك، لشرحه لك... وانتبه إلى أنّ كتاب البداية والنّهاية لم يكن منقّحاً من اليهوديّات لوفاة ابن كثير قبل تنقيحه... ففي مقدّمة كتاب البداية والنّهاية وهو مؤلف في التّأريخ... ذكر ابن كثير شارحاً عن هذا فقال: «هذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي[1]، .... وستجد المجموعة المؤلّفة من ١٤ مجلداً في مكتبة والدك، يمكنك الرّجوع إليها إن احتجت إلى التّوسّع في الشّرح.

إذن نعود إلى القبيلتين، قبيلة جرهم وقبيلة خزاعة فهما من تولَّوْا أمر البيت ـ مكّة المكرّمة ـ.

حيث حكمت قبيلة الجراهمة مكّة المكرّمة، وكان معهم بنو إسماعيل عليه السّلام، وذلك لأنّهم أقرباء بني إسماعيل عليه السّلام، فلما ضاقت مكّة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، وكان أوّل من ولّي البيت من جرهم مضاض بن عمرو الجرهميّ...، ثمّ انتقلت بعده إلى ابنه الحارث، ثمّ إلى عمرو بن الحارث... ثمّ لم تلبث جرهم أن بغَوْا بمكّة، واستحلّوا حرمتها، فظلموا من دخل بها من غير أهلها مع أنّ الله جعلها حرماً آمناً، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى إليها فقيّض الله لهم من أخرجهم من البلد الحرام[2].

---

(١) الحافظ ابن كثير، أبي الفداء المتوفي سنة ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دَقَّقَ أصوله وحققه، أحمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي....، المجلد الأول، ص(ق).

(٢) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، الجزء الأول، ص١٤٥.

فلمّا رأى بنو بكر بن عبد مناة من كنانة وغبشان من خزاعة ظلم الجراهمة وبغيهم أجمعوا على حربهم وإخراجهم من مكّة، فآذنوهم بالحرب، فاقتتلوا، واعتزل بنو إسماعيل الفريقين، فغلبهم بنو بكر وغبشان[1].

أنا أعلم أنّ هذا الجيل لا يحبّ الإطالة في المعلومات ولكن فقط حتّى نعرف من هي قبيلة جرهم ومن هي قبيلة خزاعة، وما هو نسب رسول الله ﷺ.

أبو أحمد: أظنّ درس أحمد هذه المعلومات وانتهى من سيرة رسول الله ﷺ...

جميل: وأنا أيضاً أدرسها...

وسامي: وأنا أيضاً أدرسها...

أم أحمد: فيمكن لأحمد تبسيط المعلومة ومحاولة إيصالها لأخويه في حال تعذّر فهم ما أقول... ما رأيكم؟

أحمد: نعم أنهيناها جميعها، ولله الحمد في ذلك درست سيرة رسول الله ﷺ من قبل ولادته إلى يوم وفاته ﷺ.

سامي: وصلنا نحن في العام الماضي إلى هجرته ﷺ، ودرسنا أيضاً عشر سنوات في مكّة المكرّمة، وما حدث مع رسول الله ﷺ والصّحابة الكرام.

جميل: ونحن درسنا ما فعله رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة، وكيف جمع رسول الله ﷺ بين الدّين والدّنيا في كلّ شيء سياسيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً... ودرسنا سبب تخلّف الأمّة، وهو فصل الدّين عن الدّنيا.

الأمّ: بارك الله بكم، إذن أصبح سهلاً عليّ التّحدّث عن سيرته المجملة ما دمتم درستموها سابقاً، ولن أفصّل إلّا إذا احتجت إلى التّفصيل...

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٦.

وقد تبيّن لكم أنّ سيرته ﷺ قد دونت من الآيات التي تنزلت على قلب رسول الله ﷺ ومن الأحاديث الصحيحة التي ذُكِرَتْ في الكتب التسعة، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، موطأ مالك، سنن الدرامي، مسند أحمد. وأذكركم أنّ هذه المادة تدرس في الجامعات تحت مسمّى مصطلح الحديث لمعرفة صحة الأحاديث، ويجب دراسة هذا العلم ومعرفة نشأته ليكون دارس هذا العلم على معرفة بالأطوار التي مرّ بها.

وأعتقد أنّ أحمد سيبدأ بدراسة هذا العلم هذا العام بإذن الله. يسّر الله له ذلك لأنه المصدر الثاني لمعرفة الدين الصحيح، وإليها ترجع جميع الأحكام التي تتمثل في الوحيين: آيات القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية الصحيحة

أحمد: أظنّك تريدين إيصال ما حصل لماء زمزم وكيف عمد عمرو بن الحارثة بن مضاض الجرهميّ إلى نفائس وهي: غزالان من ذهب، وسيوف محلّاة وأدرع، فجعلها في زمزم وطمّها، وبالغ في طمّها[1]!!

أمّ أحمد: نعم، والأهمّ من ذلك أنّ زمزم بقيت مطمومة حتّى أذن الله سبحانه وتعالى أن تعاد، وكان ذلك قبل ميلاد النّبيّ ﷺ على يد جدّه عبدالمطّلب[2].

تقول أمّ أحمد: من منكم يحضر لنا اللوح لأشرح نسب رسول الله ﷺ...

انطلق أحمد مسرعاً لإحضار اللوح مع الأقلام الملوّنة والممحاة.

حتّى تكون الصّورة واضحة قبل البدء بما حدث بمكّة، وحتّى أسهّل عليكم معرفة نسب رسول الله ﷺ:

---

(١) ابن شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٤٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٤٦.

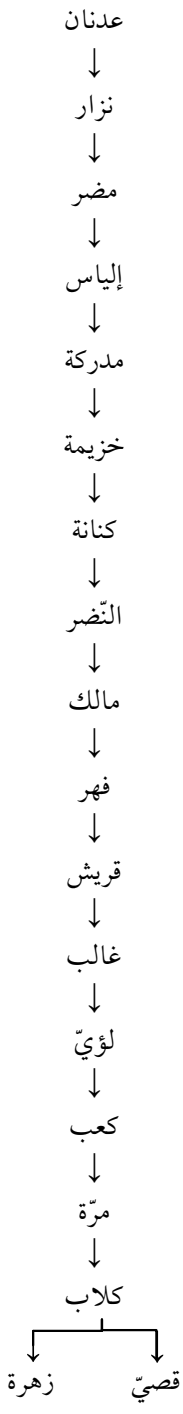
عدنان
نزار
مضر
إلياس
مدركة
خزيمة
كنانة
النّضر
مالك
فهر
قريش
غالب
لؤيّ
كعب
مرّة
كلاب
قصيّ
زهرة

قصيّ بن كلاب

كان كلاب بن مرّة متزوّجاً من فاطمة بنت سعد بن سيل، فولدت له زهرة وقصيّاً (وتشير على اللوح) حيث رسمت سهماً وكتابة قصيّ وزهرة.

مات كلاب وقصيّ طفل في المهد، وبعد وفاة كلاب تزوّجت فاطمة ربيعة بن حرام من عذرة، واحتملها إلى بلاده، فحملت قصيّاً معها، وبقي زهرة أخوه بمكّة لأنّه كان رجلاً، وقد ولدت لربيعة رِزاحاً، فلمّا كبر قصيّ تسابّ هو ورجل من قضاعة فعيَّره بأنّه ليس منهم، وإنّما هو ملصق بهم، فدخل على أمّه وهو مغضب فأخبرها، فقالت له: يا بنيّ صدق أنّك لست منهم، ولكنّ رهطك خير من رهطه، وآباؤك أشرف من آبائه، وإنّما أنت قرشيّ، وأخوك وبنو عمّك بمكّة، وهم جيران بيت الله الحرام[1].

فاحتمل بنفسه إلى مكّة وأقام قصيّ بمكّة وعرف منه من الجدّ وحسن الرّأي ما جعله موضع احترام أهلها وأهله فيها.

في ذلك الوقت كانت سدانة البيت [مفاتيح الكعبة] لحليل بن حبيشة، ولديه ابنة اسمها حُبّى...

رغب قصيّ بالزّواج من حبّى، فولدت له:

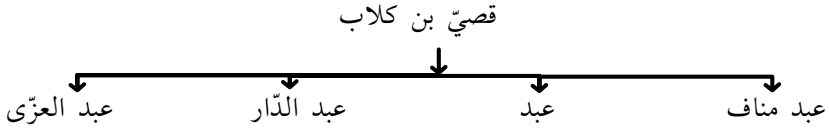

وكثر ولده وانتشروا، كما كثر ماله، وعظم جاهه وشرفه.

ثمّ هلك حليل فرأى قصيّ أنّه أولى بالكعبة بأمر مكّة من خزاعة وبني بكر، فقريش هم الذّروة من ولد إسماعيل، وصريح ولده، فكلّم رجالاً من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكّة فأجابوه واستنصر أيضاً بأخيه من أمّه رزاح بن ربيعة، فجاء ومعه إخوته لأبيه

(١) ابن شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٤٨.

وكانت حرب شديدة بينهم، وبين خزاعة وبني بكر، انتهت بانتصار قصيّ ومن معه، وهزيمة الآخرين وإجلائهم عن مكّة، وتمّ لقصيّ ولاية البيت وأمر مكّة، وجمع قومه من منازلهم ـ وكانت بعيدة عن البيت ـ إلى ما حول البيت، فسمّي: مجمِّعاً، وتملّك قومه وأهل مكّة فملّكوه، وكان أوّل بني كعب بن لؤيّ أصاب ملكاً أطاع له به قومه[1].

وصارت مآثر قريش كلّها إلى قصيّ:

١ ـ **الحجابة**: مفاتيح الكعبة بيده فلا يدخلها أحد إلّا بإذنه.

٢ ـ **السّقاية**: هي الشّراب الذي كانوا يصنعونه لأهل مكّة في موسم الحجّ من ماء زمزم يخلط تارة بعسل، وتارة بلبن، وتارة ينبذ فيه التّمر والزّبيب، يتطوّعون بذلك للحجيج من عند أنفسهم.

٣ ـ **الرّفادة**: طعام كانت قريش تجمعه كلّ عام لأهل الموسم ويقولون: هم أضياف الله.

٤ ـ **اللواء**: ما يعقد للحرب.

٥ ـ **الذّروة**: الاجتماع للمشورة.

فحاز شرف مكّة كلّها، فما تنكح امرأة ولا يتزوّج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقد لواء حرب إلّا في داره[2].

تتابع أمّ أحمد وتقول: قلنا إنّه جاءه من الأولاد عبد الدّار وعبد العزّى وعبد، وعبد مناف قال لعبد الدّار وهو أكبر أولاده أنّه ستكون له الرّفادة والسّقاية واللواء والنّدوة، والحجابة.

وتولّى عبد الدّار هذه المناصب التي آثره بها أبوه، وتولّاها أبناؤه من

---

(١) ابن شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٤٩.

(٢) ابن شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٤٩، بتصرف.

بعده لكن أبناء عبد مناف كانوا أعظم مكانة، لذلك أجمع أولاد عبد مناف:

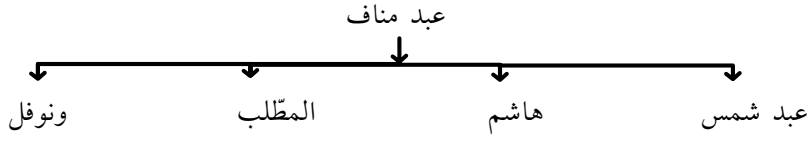

أن يأخذوا ما بأيدي عمومتهم...

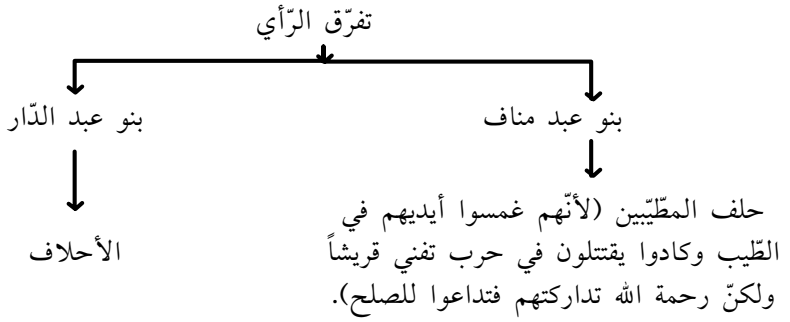

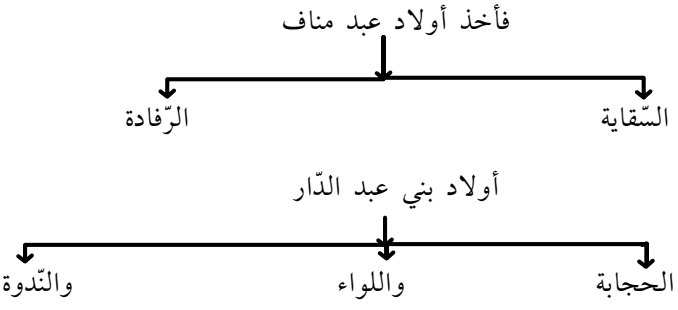

ففعلوا ورضي كلّ واحد من الفريقين بذلك وظلّ الأمر عليه حتّى جاء الإسلام.

فولي هاشم بن عبد مناف: الرّفادة والسّقاية، وذلك لأنّ عبد شمس كان رجلاً سفّاراً قلّما يقيم بمكّة، وكان مقلّاً من المال ذا ولد، وأمّا هاشم فكان موسراً، فهذا السّبب في تولّيه الأمرين.

وكان هاشم بن عبد مناف يكثر من الأسفار ما بين مكّة والشّام، وفي أحد أسفاره نزل بالمدينة، فرأى سلمى بنت عمرو أحد بني عديّ بن

النّجّار، فأعجب بها، وكانت سلمى لشرفها في قومها واعتزازها بنفسها لا تنكح الرّجال حتّى يشترطوا لها أنّ أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقته، فتزوّجها هاشم، وكانت قبله عند أحيحة بن الجلّاح من الأوس، فولدت له عمرو بن أحيحة، وولدت لهاشم: شيبة، فتركه هاشم عندها حتّى صار غلاماً، فذهب إليه عمّه المطّلب فجاء به مكّة، فلقّبوه بـ عبد المطّلب، ثمّ هلك هاشم بغزّة من أرض الشّام وهو في رحلة من رحلاته التّجاريّة، ثمّ هلك بعده عبد شمس بمكّة، ثمّ المطَّلب برَدْمان ـ بفتح أوّله وسكون الدّال: موضع باليمن ـ، ثمّ نوفل بسلمان من أرض العراق.

وبعد موت هاشم ولي السّقاية والرّفادة من بعده المطّلب، لأجل ذلك ذهب المطّلب إلى المدينة لإحضار شيبة، فاحتمله على بعيره وأردفه إيّاه، ودخل به مكّة، فظنّته قريش عبداً له جاء به؛ فتصايحت: عبد المطّلب ابتاعه، فقال المطّلب: ويحكم، إنّما هو ابن أخي هاشم قدمت به من المدينة، فغلب على الفتى هذا اللقب، وصار مشهوراً به وتنوسي الاسم الأصليّ: شيبة[1].

أحمد: فقط أودّ إعادة المعلومة حتّى ترسخ هل تأذنين لي يا أمّي.

تفضّل بنيّ: هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب سافر إلى المدينة، ولقي سلمى بنت عمرو أحد بني عديّ بن النّجّار... احفظوا هذه الأسماء حتّى تتعرّفوا على شجرة الأنساب التي تؤدّي إلى رسول الله ﷺ.

توفّي هاشم وذهب أخوه المطّلب لإحضاره من المدينة وهو فتى قد قارب البلوغ، وكان ردف المطّلب حين دخل مكّة، ففكّروا إنّه عبد له فأطلقوا عليه عبد المطّلب.

سامي: هل تقصد جدّ رسول الله ﷺ عبد المطّلب.

أحمد: وصلت الفكرة ولله الحمد.

---

(١) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٥٢ ـ ١٥٣ بتصرف.

فرح الجميع لما تَوَصّل إليه سامي من فهم المعلومة.

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً بنيّ.

أكمل السّرد...

قلنا إنّ إخوة هاشم أيضاً هلكوا وقلنا إنّ المطّلب هلك بردمان أي توفّي بردمان من أرض اليمن، فولّي عبد المطّلب (شيبة) السّقاية والرّفادة بعد عمّه المطّلب، فأقامها للنّاس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لهم، وشَرُف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبّه قومه، وعظم خطره فيهم، وصار سيّد قريش، والمقدَّم من أشرافها[1].

والمهمّ في هذا الموضوع هو سقاية الحجّاج، وكان يلقى مشقّة كبيرة لإحضار الماء... كان لديه من الولد الحارث فقط، وكان يدعو الله عزَّ وجلَّ أن يجد حلّاً لسقاية الحجّاج وهذا ما حدث.

وسنرى هذه القصّة في ليلة أخرى ما دام والدكم يستطيع مشاركتنا في ذلك، فوافق الجميع، وقاموا وهم يصلّون على رسول الله ﷺ...

وفي اليوم التّالي: كان موعد أحمد مع نتيجة قبوله في الجامعة، فقد تقدّم إلى جامعتين ليستفيد من إحداهما في الدّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ: أولاها كلّيّة الهندسة (هندسة الاتّصالات) مع رغبته بمتابعة التّخصّص في مجال أمن المعلومات (Information security) فهو يحبّ مواكبة العصر بتقنيّاته الحديثة ليتمكّن من خلالها نشر أمور الدّين والدّعوة إليه على أكبر نطاق وأوسعه.

والجامعة الأخرى لدراسة التّاريخ ليتمكّن من معلوماته التي تلقّاها من أهله ومدرسته والمسجد الذي كان يداوم على حضور الصّلاة جماعة فيه وحضور المحاضرات التي كان يلقيها بين فترة وفترة القيّمون على المسجد...

---

(١) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٥٢ ـ ١٥٣ بتصرف.

المهمّ انتظر النتيجة بفارغ الصبر إلى أن جاءته رسالة على هاتفه النقال تبلغه قبوله في كلية الهندسة الإلكترونية. مجال «أمن المعلومات».

وبعد مرور ساعات قليلة وصلته رسالة أخرى تزف له خبر قبوله في الجامعة للتخصص في فرع التاريخ.

وخرّ أحمد ساجداً حمداً لله على نعمة قبوله في الجامعتين وسائلًا الله تعالى أن يوفّقه في التّخصّصين حتّى لا يخلط بين الحصص المقرّرة لكلّ كلّيّة وذهب إلى محلّ الحلويّات لشراء الحلوى ليقدّمها مفاجأة في المساء لإخبار عائلته بالنّتيجة.

وهكذا كان..... ففي المساء اجتمعت العائلة جميعها إلّا أحمد...

أبو أحمد: أحمد أين أنت؟ نحن في انتظارك.

أمّ أحمد: مهلًا دقائق ويأتي... جالباً عصير التّوت فهذا اقتراحه...

وخرج أحمد يحمل طبق الحلوى، في إحدى يديه، وأكواب شراب التّوت في اليد الأخرى... وتعلو وجهه ابتسامة عريضة...

الوالدان: بشراك... فوجهك يدلّ على بشارة خير!!

أمّ أحمد: اليوم نتائج القبول في الجامعات أليس كذلك؟...

تمّ قبولك في كلّيّة الهندسة الألكترونية فرع أمن المعلومات؟... تقولها وقلبها قبل لسانها يقول له صحيح ما أقول...

أحمد: نعم؛ أبشّركم بقبولي في كلّيّة الهندسة وأيضاً في كلّيّة التّاريخ... وقد سجدت سجدة شكر بما أنعم الله عليّ...

الجميع: مبارك مبارك وقاموا لتقبيله وأبو أحمد حضنه وقبّله مع الدّعاء له ولإخوته بدوام النجاح والتفوّق.

أمّا أمّ أحمد فلم تسعها الفرحة فبدأت بالبكاء... فقال لها أحمد: لِمَ البكاء يا أمّي؟

أمّ أحمد : بكاء الفرح يا بنيّ بكاء الشكر لله عزَّ وجلَّ أن أتمَّ علينا نعمه السّابغة اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، وأيضاً هي سجدت سجدة شكر لله عزَّ وجلَّ...

أمّا أبو أحمد فاتّصل بوالديه ليخبرهما بهذه البشرى وكم كانت فرحة الجدّين بهذه البشرى كبيرة ولم يتوقّفا عن الدّعاء لله عزَّ وجلَّ وشكره على نعمه السّابغة فأمضيا هذه الليلة وهم بفرح وسرور وشكر الله عزَّ وجلَّ...

وهكذا كانت ليلة شكر وحمد الله عزَّ وجلَّ على نعمه التي إن عدّت فلا تحصى...

وفي الليلة التّالية تجهّز الجميع لإكمال سيرة رسول الله ﷺ.

أمّ أحمد : واليوم أيضاً سنفرح مع عبد المطّلب...

ابتسم الجميع مع علامة استفهام عن السّبب؟؟

أمّ أحمد : اليوم سنرى كيف ألهم الله عزَّ وجلَّ عبد المطّلب إلى مكان زمزم حيث طمرت كما قلنا سابقاً.

وتأتي أم أحمد بالكتاب لتقرأ منه هذه المعلومة المهمّة...

روى ابن إسحاق في سيرته بسنده إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه كان يحدّث حديث زمزم حين أُمر عبد المطّلب بحفرها قال: قال عبد المطّلب : إنّي لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ[1] فقال: احفر طيبة[2]. قال: قلت: وما طيبة؟! فقال: ثمّ ذهب عني، فلمّا كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر بَرّة[3]. قال: قلت: وما بَرّة؟!

(١) يعني في المنام.
(٢) لأنها للطيبين والطيبات من ذرية إبراهيم عليه السّلام.
(٣) لأنها فاضت على الأبرار، وغاضت عن الفجار، ولأن برها كثير لا ينقطع.

قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة[1]. قال: قلت: وما المضنونة؟! قال: ثمّ ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟! قال: لا تنزف[2]، أبداً ولا تذم[3]، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم[4]، عند نقرة الغراب الأعصم[5]، عند قرية النمل[6][7].

فلمّا استيقظ عبد المطّلب وتأكّد أنّ هذه رؤية من الله لكي يستدلّ على ماء زمزم، خرج بالمعول، ومعه ابنه الحارث وليس له ولد غيره يومئذ، فحفر فيها، فلمّا بدا لعبد المطّلب الطي[8] كبّر، فعرفت قريش أنّه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطّلب إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها لحقّاً، فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل!! إنّ هذا الأمر قد خُصّصت به دونكم، قالوا : فأنصفنا فإنّا غير تاركيك

---

(١) لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلّع منها منافق.

(٢) لا يفرغ ماؤها، ولا يلحق قعرها.

(٣) لا توجد قليلة الماء من قولهم: بئر ذمه أي قليلة الماء وليس المراد ضد المدح لأن المنافقين وأرقاء الإيمان يذمونها.

(٤) تشبيهاً لها باللبن كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، ويقال: بل كان هناك في موضعها فرثٌ ودم.

(٥) الذي إحدى رجليه بيضاء.

(٦) قال السهيلي: «أما قرية النمل أيضاً ففيها من المشاكلة والمناسبة أن زمزم هي عين مكة التي يردها الحجيج، والعمَّار من كل جانب، فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك، وهي لا تحرث، ولا تزرع، وقرية النمل لا تحرث، ولا تبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب»، قال الزرقاني في «شرح المواهب»: «وأطال: يعني الإمام السهيلي في الروض في وجه تأويل هذه الرؤيا بما يحسن كتبه بالعسجد». (شرح المواهب، ج١، ص١١٢).

(٧) أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٥٥ ـ ١٥٦.

(٨) الحجارة التي غطي به البئر.

حتّى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هُذيم، قال: نعم وكانت بأشراف الشّام، فركب عبد المطّلب ومعه نفر من بني عبد مناف، وركب من كلّ قبيلة من قريش نفر، والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتّى إذا كانوا ببعض الطّريق فني ماء عبد المطّلب وأصحابه حتّى كادت أعناقهم تنقطع من العطش، وضنّ عليهم بنو قومهم من قريش بالماء، وقالوا: إنّا بمفاوزَ وإنّا لنخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فرأى عبد المطّلب أن يحفر كلّ واحد لنفسه قبره، ففعلوا، ثمّ قعدوا ينتظرون الموت عطشى.

ثمّ بدا لعبد المطّلب، فقال لأصحابه: والله إنّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا الماء لَعَجْز، فعسى أن يرزقنا الله ماء ببعض البلاد فارتحلوا، حتّى إذا بعث عبد المطّلب راحلة انفجرت عين ماء عذب من تحت خفّها، فكبّر عبد المطّلب، وكبَّر أصحابه، ثمّ نزل فشرب وشربوا، وملؤوا أسقيتهم، ثمّ دعا قريشاً، فقال: هلمّوا إلى الماء فقد سقانا الله فجاؤوا، وشربوا، واستقوا ثمّ قالوا: قد ـ والله ـ قضى لك علينا يا عبد المطّلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إنّ الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلَّوْا بينه وبينها[1].

وضعت أم أحمد الكتاب وقالت : هل وصلت هذه القصّة لك يا سامي؟

سامي: المهم هّل عاد وحفر عبد المطّلب بئر زمزم؟

(١) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

ابتسم الجميع لسؤال سامي الذي كان واضحاً أنّه فهم كامل القصّة. . .

تتابع الأمّ السّرد وتقول بعد رفع الكتاب : فلمّا تمادى به الحفر وجد غزالين من الذّهب، ووجد الأسياف والأدرع، فقالت له قريش : لنا معك في هذا شرك، فقال: لا، ولكن هلمَّ إلى أمر نصف بيني وبينكم، نضرب عليها القداح[1]، قالوا : وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين، ولي قدحين ولكم قدحين، فمن خرج له قدحاه على شيء كان له، ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له، قالوا : أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطّلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثمّ أعطَوْا القداح لسادن هُبَل، وقام عبد المطّلب يدعو الله عزَّ وجلَّ، فضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدرع لعبد المطّلب، وتخلّف قدحا قريش، فضرب عبد المطّلب الأسياف باباً للكعبة، وضرب الغزالين حلية للباب، فكان أوّل ذهب حلّيت به الكعبة، ثمّ أقام عبد المطّلب سقايتها للحجّاج، فكانت عزّاً وفخراً على قريش، وعلى سائر العرب، وقد ذكر عنه أنّه قال: إنّي لا أحلّها لمغتسل، وهي لشارب حلّ وبلّ[2].

وضعت أمّ أحمد الكتاب وقالت : ولكن حين لقي عبد المطّلب ما كان من قريش، ولم يكن لديه إلّا الحارث، واستطالت عليه قريش، وقالوا له: أتستطيل علينا وأنت فذّ لا ولد لك!!

فحزّ في نفسه فنذر لله سبحانه نذراً، لئن له عشرة بنين، ثمّ بلغوا معه حتّى يمنعوه، لينحرنَّ أحدهم عند الكعبة[3]!!

(١) جمع قدح بكسر القاف وهو سهم من الخشب الذي كانوا يستقسمون به.
(٢) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٥٧.
(٣) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٦٠.

فلمّا بلغ بنوه عشرة[1]، قامت أم أحمد إلى اللوح لكتابة أسماء أولاده، وهكذا كان واضحاً ما رسمته على اللوح...

وحتّى لا أطيل عليكم من أراد معرفة المزيد يعود إلى الكتاب ولكن الآن نعود إلى نذر عبد المطّلب...

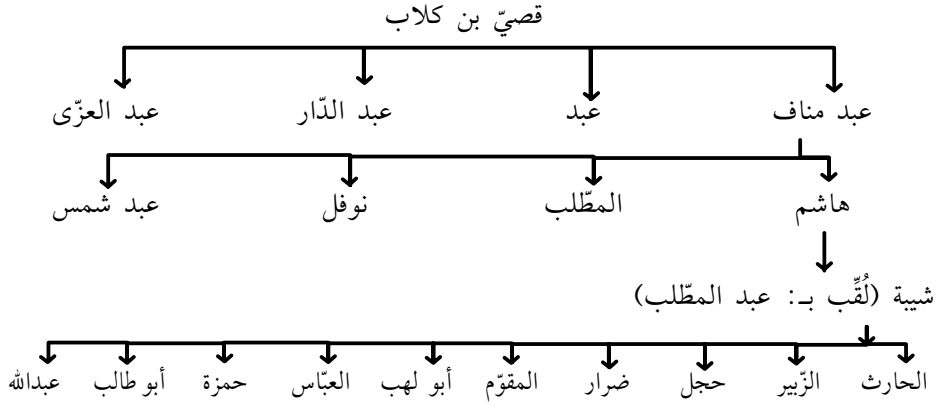

فلمّا بلغ بنوه العشرة أخبرهم عن نذره، وقيل: إنّه رأى رؤيا تذكّره بنذره، ودعاهم إلى الوفاء فأطاعوه، وقالوا كيف نصنع؟ فأشار لهم بأن

---

(١) وقيل إنهم تكاملوا عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين عاماً، كما رواه ابن سعد، والبلاذري وهم:
١ ـ الحارث: أكبرهم. وأمه صفية بنت جندب.
٢ ـ الزبير: بفتر الزاي وقيل بضمها. وأمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية.
٣ ـ حجل: وأمه هالة بنت وهيب.
٤ ـ ضرار: وهو شقيق العباس.
٥ ـ المقوم: وأمه هالة.
٦ ـ أبو لهب عبد العزى: وأمه آمنة بنت هاجر.
٧ ـ العباس: وأمه نتلة.
٨ ـ حمزة: أمه هالة بنت وهيب.
٩ ـ ١٠ ـ أبو طالب وعبدالله: وأمهما فاطمة بنت عمرو المخزومية. فيكون الزبير وأبو طالب وعبدالله إخوة أشقاء، ولعبد المطلب ست بنات، عمات النبي ﷺ وهنّ: صفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة.

يأخذ كلّ واحد منهم قدحاً ويكتب اسمه، ودخل على هبل في جوف الكعبة، وقال لصاحب القداح : اضرب على بنيّ هؤلاء بقداحهم، وأخبره بنذره الذي نذر، ففعل الرّجل.

خروج القدح على عبدالله وكان أحب أولاده إليه فهمّ عبد المطّلب بذبح عبدالله، فقام إليه أخوال عبدالله من بني مخزوم فقالوا: والله لا تذبحه أبداً حتّى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وقالت له قريش: لا تفعل خشية أن تكون سنّة، وأشاروا عليه أن ينطلق إلى المدينة، فإنّ بها عرّافة ـ كاهنة ـ لها تابع[1] فسلها، ثمّ أنت على رأس أمرك : إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتّى أتَوْا المدينة، فوجدوا العرّافة بخيبر فركبوا إليها، فلمّا قصّ عليها عبد المطّلب قصّته استمهلتهم إلى الغد، ولمّا عادوا إليها في اليوم التّالي قالت لهم : قد جاءني الخبر، كم الدّيّة فيكم؟ قالوا : عشرة من الإبل، قالت : فارجعوا إلى بلادكم، ثمّ قرِّبوا صاحبكم، وقرّبوا عشراً من الإبل، ثمّ اضربوا عليه وعليها القداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا عشراً حتّى يرضى ربّكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربّكم ونجا صاحبكم.

فلمّا رجعوا قرّبوا عبدالله وعشراً من الإبل، فخرج على عبدالله، فزادوا عشراً، فخرجت على عبدالله!! وما زالوا يضربون ويزيدون حتّى بلغت الإبل مائة، ثمّ ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت قريش : لقد رضي ربّك يا عبد المطّلب، فقال: لا، حتّى أضرب عليها بالقداح ثلاثاً، ففعل، وفي كلّ مرّة يخرج القدح على الإبل، ثمّ نحرت وتركت، لا يُصدّ عنها إنسان ولا طير ولا سبع.

وهكذا شاء الله عزَّ وجلَّ أن يكون هذا الفداء كرامة للنّسمة المباركة

---

(١) مخبر من الجن.

التي ستخرج من ظهر عبدالله بن عبد المطّلب، وإرهاصاً بين يدي المولود الذي لا يزال في ضمير الغيب.

وقد ترك حادث الذّبح والفداء للفتى الهاشميّ عبدالله دويّاً في المجتمع القرشيّ... وأصبح ذكره على كلّ لسان، وقصّته سمراً في كلّ بيت[1].

الجميع: صلّى الله عليه وسلّم سبحان الله قصّة ولا أعجب...

أمّ أحمد: وليس هذا فقط ولكن أيضاً حينما فكّر والده عبد المطّلب أن يزوّجه بكراً من كرائم البيوتات القرشيّة، وبعد تفكير... هداه الله إلى فتاة بني زهرة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، وذهب به حتّى أتى منازل بني زهرة، ودخل وإيّاه دار وهب بن عبد مناف الزّهريّ، وهو يومئذ سيّد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوّجه ابنته آمنة، وهي يومئذ أفضل امرأة من قريش نسباً وموضعاً وبنى عبدالله بآمنة، وبقي في بيت أبيها ثلاثة أيّام على عادة العرب في ذلك، حتّى كان اليوم الرّابع انتقل بها إلى منازل بني عبد المطّلب، وعاش الفتى المرموق المحبوب المرضيّ عنه من الإله، والفتاة الوادعة الجميلة الشّريفة[2].

الجميع صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم...

أمّ أحمد : نتوقّف هنا اليوم ونكمل غداً بإذن الله تعالى.

في يوم الغد جهّزت أمّ أحمد بعض الحلوى اللذيذة الباردة، بمناسبة قبول أحمد في الجامعة، وجهّزت اللوح مع الأقلام الملوّنة، وهذه المرّة رسمت خريطة شبه الجزيرة العربيّة بوضوح قبل اجتماع الجميع مساءاً... وهكذا كان؛ اجتمعت الأسرة مساءاً مع استغراب سامي وجميل لرسم خريطة شبه الجزيرة العربية على اللوح...

أمّ أحمد: وبعد التّسمية والصّلاة على رسول الله ﷺ قالت: ألم

(١) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٦٣ ـ ١٦٤.

نذكر في بداية حديثنا أهمّيّة دراسة الخريطة الجغرافيّة المواكبة لولادة خير البريّة محمّد ﷺ لن أتحدّث بالتّفصيل فقط لإلقاء الضّوء على من كان متواجداً في مكة في زمن ولادة رسول الله ﷺ... تساءلنا في قصّة رفع عيسى عليه السّلام ونجاته من كيد اليهود الغدّارين... عما حدث للحواريّين من بعد رفعه؟؟

علمنا بتواجد اليهود في بلاد الشّام وبخاصّة في بيت المقدس، أمّا الحواريّون فاضطّروا للهروب من بطش اليهود وبدؤوا الدّعوة إلى الله سرّاً، وظلّ اليهود (بنو إسرائيل) يحاربون كل من اعتنق دين عيسى عليه السّلام، إلى أن اعتنق القائد قسطنطين دين النّصارى واستطاع أن يسيطر على الدّولة البيزنطيّة، التي كانت عاصمتها القسطنطينيّة (إسطنبول في وقتنا الحاضر). كما وأنّه قام بالسّيطرة على بلاد الشّام وفلسطين، وبنيت في عهده أوّل كنيسة (كنيسة القيامة) في **٣٢٤**م. وكان من القرارات التي اتّخذها قسطنطين «قرار جدّد فيه منع اليهود من دخول القدس» فلم يرق ذلك لبني إسرائيل، فكان أن بدأ الصّراع بين اليهود والنّصارى، وانقسمت الإمبراطوريّة إلى قسمين : قسم شرقيّ مسمّى بيزنطة وحاكمها هرقل، وقسم غربيّ في أوروبّا وسمّي الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدّسة وعاصمتها روما، وظلّ الحال على هذا المنوال إلى زمن بعثة سيّدنا محمّد ﷺ.

لقد بشّر الله بالمسيح على لسان أنبيائه من لدن موسى عليه السّلام إلى زمن داوود عليه السّلام، وكان اليهود ينتظرونه ويصدّقون به قبل البعثة، فلمّا بعث كفروا به بغياً وحسداً، وشرّدوه في البلاد، وطردوه وحبسوه، وهمّوا بقتله مراراً إلى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله، فصانه الله وأنقذه من الإهانة والصّلب على أيديهم إلّا أنّه شبّه لهم أنّهم صلبوه، ولكنّهم لم يقتلوه ولم يصلبوه. كما أكد لنا القرآن الكريم.

ثمّ تفرق الحواريّون في البلاد بعد رفعه، مبشّرين بدينه وبمنهاجه داعين الأمم من بني إسرائيل إلى توحيد الله واتباع دينه سرّاً وجهراً، خفية وعلانيّة.

ولقي تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الرّوم ظلماً شديداً: من قتل وعذاب وتشريد وحبس[1].

ولو تحدّثنا الآن عن العذاب والتّشريد والحبس الذي مارسه بنو إسرائيل لما انتهينا... لقد كتب ابن القيّم الجوزيّة عن هذا الأمر لِمَا وجد حين الفتوحات من الغيظ والبغضاء والشّحناء بين اليهود والنّصارى... المهمّ في نهاية الأمر وصل الملك في النّهاية إلى قسطنطين الذي تنصّر، وأمر ببناء الكنائس في كلّ بلد، وانتعش دين النّصرانيّة في زمانه.

وفي هذا الزّمن بدأ تحريف هذا الدّين، فدخلته فلسفة التّثليث (الرّوح القدس والآب والابن)، وبدأت المناظرات بين رهبان النّصارى، وكان السّبب في دخول التّحريف بولس وهو من تلاميذ المسيح وكان ضليعاً باليهوديّة (المحرّفة) ومتعمّقاً في المسيحيّة، وبهذا جمع ما بين اليهوديّة والنّصرانيّة كما زعم[2].

وأشارت أم أحمد إلى الخريطة وقالت: قبل ولادة رسول الله ﷺ كان الرّوم هم المسيطرون، وكانت روما دولة عظمى في حينها.

أمّا اليهود، فانتشروا في يثرب وفي خيبر قبائل: بني قينقاع وبني نضير وبني قريظة كما انتشروا في اليمن في عهد ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر...

وله قصّة طويلة لن يفيدنا الحديث عنها المهمّ إنّه حينما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن إلى حسّان بن تبّان أسعد أبي كرب... الذي

---

(١) ابن القيم الجوزية المتوفى سنى ٧٥١هـ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق علي محمد دندل، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ بتصرف.

(٢) طارق خليل السعدي، مقارنة الأديان، بيروت، دار العلوم العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٢٦.

أراد غزو بيت الله الحرام ثمّ شرّفه وعظّمه وكساه فكان أوّل من كساه[1].

وعلينا أن نعرف أنّ الحبشة (وتشير إلى الخريطة) انتشر فيها دين النّصارى، ثم تتابع على اليمن دخول اليهوديّة والفارسيّة وفي ختامها النّصرانيّة وسنرى قصّة أبرهة الأشرم وقصّة هدمه للكعبة... وحتّى نلخّص الموقع الجغرافيّ نقول:

في شبه الجزيرة العربيّة، قلنا عن اليهود أين سكنوا وفي الحقيقة أنّ اليهوديّة لم تجد قبولاً ولا انتشاراً في بلاد العرب، ولعلّ ذلك لأنّ اليهود يزعمون أنّهم شعب الله المختار، فلذلك لم يقبل العربيّ أن يدخل ديناً يجعله في طبقة دنيا عن طبقة دعاة هذا الدّين، وبسبب أن اليهود لا يهمّهم نشر دينهم، بقدر ما يهمّهم جمع الأموال، هذا إضافة إلى أنّ أخلاقهم التي كانوا يتّصفون بها من اللؤم، والغدر، والخيانة، والحرص والشّره إلى المال تعتبر ضدّ أخلاق العرب فزهّدت العرب في دينهم، ومنعتهم من الانتظام في سلكهم وجماعتهم.

أمّا النّصرانيّة فكانت منتشرة بنجران شمال اليمن، وطبيعيّ أنّها جاءت من الحبشة، وفي شمال الجزيرة في دولة الغساسنة، وقد كانت وثيقة الصّلة بالرّوم، فمن ثُمَّ انتشرت فيها النّصرانيّة أكثر من غيرها...

والسّبب أيضاً في عدم انتشار النّصرانيّة في بلاد العرب التّعقيدات التي فيها ولا سيّما في باب الألوهيّة، فإنّها لا يقبلها العقل العربيّ، والأمورالتي يزعم القُسس أنّها من الأسرار، وطبيعة العربيّ تأبى ذلك أيضاً[2].

وكانت هناك بلاد فارس ويلقّب ملكها كسرى وكانوا يعبدون

(١) ابن كثير، الحافظ أبي الفداء، البداية والنهاية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص١٥٢ (لمن أراد معرفة القصة العودة إليها).

(٢) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص٧٩.

النّار، وكانت الحيرة في الشّمال الشّرقيّ من شبه الجزيرة العربيّة على تخوم فارس، وكانت كلّ من فارس والرّوم تتعرّض لهجمات بعض القبائل العربيّة في شمال الجزيرة، حيث لا تستطيع جيوش الفرس والرّوم ملاحقتهم خوفاً من وعورة الطّريق، وقلّة الماء، لذلك عمد الفرس والرّوم أن يقيموا حاجزاً بينهم وبين العرب، وكان ذلك الحاجر عبارة عن بعض القبائل العربيّة التي ألفها الفرس والرّوم وأسكنوها في شمال شبه الجزيرة، وأمدّ كلّ من الفرس والرّوم هذه القبائل بعون من السّلاح والمال، وكانت هذه القبائل تعرف مسالك الجزيرة وتستطيع الوقوف في وجه هجمات المغيرين، وبذلك تكوّنت الحيرة مملكة تحمي الفرس، وتحميها الفرس، وتكوّنت مملكة غسّان تحمي الرّوم، وتحميها الرّوم[1].

إذن تعلّمنا أنّ إرسال الرّسل لغاية عظيمة ألا وهي تبليغ رسالة الدّين القويم ومنهج الصّراط المستقيم... وتعلّمنا أنّ الدّين عند الله الإسلام لجميع الأنبياء والرّسل... وقد ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه المبين في سورة الشّورى، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

إذاً في شبه الجزيرة العربيّة وقبل ولادة رسول الله ﷺ لا يوجد دين إسلامي لأيّ من الرّسل السّابقين لا دين اليهوديّة ولا دين النّصرانيّة، فقد حرّفوا دينهم وتلاعبوا بدينهم فطغَوْا وبغَوْا وأفسدوا في الأرض... وهذا ما حدث مع القبائل في شبه الجزيرة العربيّة، ومع الدّول العظمى فارس والرّوم...

(١) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص٦٧ ـ ٦٨.

وسنتعرّف على هذا من خلال حديثنا عمّا حدث قبل ولادة رسول الله ﷺ...

تتابع الأمّ وتقول: ظلّ التّوحيد في عهد إسماعيل عليه السّلام وبعد هزيمة جرهم أيضاً بقي الدّين الحنيف هو السّائد وقتها في مكّة المكرّمة، إلى أن تمكّنت خزاعة من الاستيلاء على ولاية البيت، واستمرّت نحواً من ثلاثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة والله أعلم.

وكانوا قوم سوء في ولايتهم وذلك لأنّه في زمانهم تمّت أوّل عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي لعنه الله فإنّه أوّل من دعاهم إلى ذلك وكان ذا مال جزيل جداً...

قال ابن هشام في سيرته: حدّثني بعض أهل العلم أنّ عمرو بن لحي خرج من مكّة إلى الشّام في بعض أموره فلمّا قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق... رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: ألا تعطوني منها صنماً أسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟؟

فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكّة فنصبه وأمر النّاس بعبادته وتعظيمه.

وقال ابن إسحاق: واستبدلوا هبل بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضّلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السّلام يتمسّكون بها من تعظيم البيت والطّواف به والحجّ والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدي البدن والإهلال بالحجّ والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كنانة وقريش إذا هلّوا قالوا: لبّيك اللهمَّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك، إلّا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فيوحّدونه بالتّلبية ثمّ يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده. يقول الله عزَّ وجلَّ

لمحمّد ﷺ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، أي ما يوحّدونني لمعرفة حقّي إلّا جعلوا معي شريكاً من خلقي[١].

أمّا أسماء الأصنام فقد كان لكلّ قبيلة منهم صنماً وقد ذكرنا ذلك في قصّة نوح عليه السّلام: ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، بالإضافة إلى مناة واللّات والعزّى وهبل وإساف ونائلة... وغيرها من الأسماء...

وهناك حديث لرسول الله ﷺ ففي صحيح البخاريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قُصْبَه[٢] في النار، وكان أول من سيب السوائب**»[٣].

وفي حديث رواه البخاريّ وقد ذكرناه سابقاً، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[٤] صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أمّا وَدٌّ: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأمّا سُواع: فكانت لهذيل، وأمّا يغوث: فكانت لمراد، ثمّ لبني غُطَيف بالجوف عند سبأ، وأمّا يعوق: فكانت لهمْدان، أمّا نَسْرٌ: فكانت لِحِمْيَرَ، لآل ذي الكلاع، أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوحٍ، فلمّا هلكوا أوحى الشّيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التيٍ كانوا يجلسون أنْصَاباً وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتّى إذا هلك أولئك، وتنسّخ العلم عُبدَت.

أخرجت أمّ أحمد خريطة تبيّن القبائل العربيّة التي عبدت ودّاً وسواعاً ويغوثاً ونسراً ويعوقاً وتشير بإصبعها إلى كلّ قبيلة.

---

(١) ابن كثير، الحافظ أبي الفداء، البداية والنهاية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) قصبة: يجر أمعاءه في النار.

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، حديث رقم (٣٥١٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ولا تذرُنَّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق، حديث رقم (٤٩٢٠).

مواضع بعض القبائل العربية
دومة الجندل
بنو جذام
سيناء
تبوك
كاظمة
بنو بكر بن وائل
بنو قضاعة وبنو كلب
بنو طيئ
بنو ضبة
جهينة
بنو بلي
بنو أسد
بنو مزينة وبنو اسلم
المدينة النبوية
النوبة
الأوس
الخزرج
بنو عبس
بنو تميم
بنو فزارة وبنو مرة
نجد
بنو محارب
بنو حنيفة
بنو خزاعة
بنو أعصر
بنو سليم
كنانة
بنو عامر
مكة
هوازن
قريش
ثقيف
شبه الجزيرة العربية
الازد في عمان
الازد في في عمان
بنو مذحج
بنو خثعم
الازد
بنو الحارث بن كعب
بنو همدان
نجران
ظفار
بنو كندة وبنو سعد العشيرة وبنو صهبان
حضرموت
اليمن
بحر العرب
مملكة أكسوم الحبشية
مخا
خليج عُمان
عُمان
البحرين
بنو عبد القيس
خليج البحرين (الخليج العربي)
أرض السودان
البحر الأحمر

بصرى
الشام
الحيرة
كلب بن وبرة
دومة
الجندل
تبوك
جذام
بلي
خيبر
المدينة المنورة
غطفان
سليم
غفار
خزاعة
هذيل
كنانة
مكة المكرمة
الطائف
ثقيف
شيبان
بكر
ربيعة
عبد القيس
اليمامة
حنيفة
تغلب
كعب
هوزان
خزيمة
خثعم
أزد السراة
نجران
أزد عمان

أحمد: أودّ سؤالك يا أمّي؛ لِمَ رَكّزت على البقعة الجغرافيّة وما يعبدون؟

أمّ أحمد: حتّى تتعرّف كيف تمّت الدّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ خلال **٢٣** عاماً وكيف أقام الرسول ﷺ هذا الدّين خلال تلك الفترة...

درسنا علامات السّاعة الصّغرى والكبرى ورأينا كيف سيعود الدّين غريباً، كما بدأ، فهذا يعني أن كلّ ما كان يعبد في تلك الأوقات قبل البعثة... سنجده الآن في وقتنا الحاضر بالرغم من انتشار الإسلام في جميع أقطار الأرض...

فإن قلنا علينا العودة إلى منهج الله عزَّ وجلَّ علينا أوّلاً دراسة للبقعة الجغرافيّة جمعاء لتتعرّف عليها وتَعْرِف كيف يمكنك تبليغ رسالة الله عزَّ وجلَّ... والآن ذكروني أين وصلنا البارحة يا حلوين؟؟

جميل وسامي: إلى زواج عبدالله بآمنة بنت وهب.

أمّ أحمد: بارك الله بكما... شدّت سيرة رسول الله ﷺ أذهانكم لمعرفة ما حدث بعدها.

ولن أدخل بالتّفاصيل الآن، فقط سأذكر ما حدث خلال هذه الفترة مع آمنة بنت وهب...

أبو أحمد: لقد تعبت اليوم من السّرد هلّا أكمل عنك ما حدث؟؟ فقد توصّلت إلى ما تريدين ذكره الآن.

أمّ أحمد: تفضّل أبا أحمد، فقد مهّدت لك الطّريق...

تبسّم الأولاد ابتسامة تُنُمّ عن الإعجاب بوالديهما.

أبو أحمد: كما قالت والدتكما جميعكم يعرف الآن أنّ آمنة بنت وهب قد حملت برسول الله ﷺ وكلّنا يعلم أيضاً أنّ عبدالله تركها وسافر في التّجارة إلى بلاد الشّام، وعند عودته نزل إلى دار أخواله متمارضاً، وعادت القافلة من دونه...

وبعدها أرسل عبد المطّلب الحارث لإحضار أخيه عبدالله فبلّغوه خبر وفاته ومكان دفنه فعاد إلى مكّة حزيناً... وهنا نتوقّف إلى مرور أشهر الحمل على آمنة بنت وهب وهي تحمل خير البريّة محمّداً ﷺ وهكذا مرّت الشهور على حمل خير البريّة، إلى أن حدثت في مكة حادثة تذكر في القرآن الكريم...

سامي: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] أليس هذا ما تقصد؟

الأب: قصّة الفيل هي قصّة مشهورة أرّخ بها العرب لدلالتها على مزيد عناية الله تعالى ببيته الحرام، ذلك أن أبرهة الحبشيّ لمّا غلب على بلاد اليمن، ورأى النّاس يقصدون الكعبة البيت الحرام زُرافات، ووحداناً، ورجالاً وركباناً. قال: إلامَ يقصدون؟ قالوا له: إلى الكعبة بمكّة يحجّون، قال: وما هو؟ قالوا له: بيت من الحجارة، قال: وما كسوته؟ قالوا: ما يأتي هاهنا من الوصائل[1]، قال: لأبنينَّ خيراً منه.

فبنى لهم كنيسة بصنعاء تفنَّن في بنائها، وتزيينها، وسمّاها «القُلَّيْس»[2] قاصداً صرف العرب عن الكعبة، ولكنّ أعرابيّاً عمد إليها فتغَوَّط فيها، فلمّا علم أبرهة استشاط غضباً، وعزم على هدم الكعبة، وسار في جيش لجب لا قِبَل لأهل مكّة والعرب به، وقد تعرّض له في الطّريق بعض قبائل العرب، ولكنّه تغلّب عليهم، وعند مشارف مكّة وجدوا إبلاً لعبد المطّلب بن هاشم فاستاقوها، فذهب عبد المطّلب إليه، وكان وسيماً جميلاً تعلوه المهابة والوقار، فاستعظمه أبرهة، وأكرمه، فلمّا كلّمه في الإبل عجب وقال له: أتكلّمني في الإبل، ولا تكلّمني في بيت فيه عزّك وشرفك وشرف آبائك؟! فقال عبد المطّلب هذه الكلمة التي سارت

(١) الوصائل هي ثياب مخططة يمانية، كانت تكسى بها الكعبة.
(٢) بضم القاف وفتح اللام المشددة وسكون الياء، وقيل: بفتح وكسر اللام.

مسير الأمثال: «أنا ربّ الإبل[1]، وللبيت ربّ يحميه»!!

ثمّ رجع عبد المطّلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال:

لا هُـمَّ[2] إنَّ الـمـرء يـمـنـع رَحْـلـه فـامـنـع رحـالـكْ
وانـصـر عـلـى آل الـصـلـيـب وعـابـديـه الـيـوم آلـكْ
لا يـغـلـبـنَّ صـلـيـبـهـم ومِـحـالـهـم[3] أبـداً مِـحـالـكْ
إن كـنـت تـاركـهـم وقـبـلـتـنـا فـأمْـرٌ مـا بَـدَا لـكْ

ثمّ أرسل حلقة البيت وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بالبيت، وكان في جيش أبرهة فيل عظيم، فصار كلّما وجَّهوه إلى الطّريق المؤدِّي إلى مكّة أبى وبرك، وإذا وجَّهوه إلى غير طريق مكّة سار وجرى، ومع هذه الآية أصرّ أبرهة وجيشه على هدم الكعبة، فما كان إلّا أن أرسل عليهم طيراً أبابيل، في مناقيرها وأرجلها حجارة صغار، فصارت ترميهم بهذه الحجارة، وليس كلّهم أصابت، فكان من صادفه حجر تمزّق جسمه ومات، وخرجوا هاربين يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون بكلّ مهلك، ونكَّل الله بأبرهة وجيشه شرّ تنكيل[4]، وجميعكم يحفظ سورة الفيل وما فعله الله عزَّ وجلَّ بأصحاب الفيل، وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله حبس عن مكّة الفيل وسلّط عليها رَسولَهُ والمؤمنين، فإنّها لا تحلّ لأحد كان قبلي، وإنّها أحلّت لي ساعة من نهار، وإنّها لا تحلّ لأحد بعدي، فلا ينفّرُ صيدها، ولا يختلى شوكها...»[5].

---

(١) رب الإبل: صاحبها ومالكها.
(٢) أصلها اللهمَّ، حذف الألف واللام منها، واكتفى بالباقي.
(٣) المحال ـ بكسر الميم: القوة والشدة.
(٤) أبو شهبة، محمد السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص١٦٨ ـ ١٦٩.
(٥) رواه البخاري، كتاب في اللقطة، باب: كيف تعرّف لقطة أهل مكّة، حديث رقم (٢٤٣٤).

إذن هذه الحادثة التي سمّيت بعام الفيل، وهو نفس العام الذي ولد فيه محمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب، ومع الاختلاف في يوم ولادته والسّنة الميلاديّة التي ولد فيها. ولد ﷺ في دار أبي طالب بشعب بني هاشم، وكانت قابلته الشّفاء أمّ عبدالرّحمن بن عوف، وحتّى نخرج من جميع الأقاويل في صحّة الأحاديث التي ذكرت بولادته سنكتفي بذلك...

ما يهمّنا هو ولادة سيّد البريّة وخاتم النّبيّين محمّد ﷺ فقد أخرج أحمد في مسنده حديث: «إني عبد الله لخاتم النبيين وإنّ آدم عليه السّلام لمنجدل في طينته، وسأُنبئُك بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم»[1].

لكن يجب أن نعرف أنّنا لن نسع رواية سيرته العطرة كاملة ولكن يمكننا إكمال القَصَص التي ذكرناها عنه ﷺ خلال رحلتنا مع قَصَصْ الأنبياء الـ ٢٤ فالهدف من ذكر هذه القَصَصْ وسيرة رسول الله ﷺ هو إقامة دين الله تعالى الذي بلّغه لرسوله ﷺ وقد تعلّمنا خلال هذه الرّحلة كيف أنّ كلّ نبيّ ورسول أرسَى قواعد هذا الدّين من لدن آدم عليه السّلام إلى خاتم النّبيّين ﷺ.

إذن: تبليغ الرّسالة ونشرها في العالمين هو المطلوب حينما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧].

تعلّمنا أنّ سورة المائدة هي آخر السّور التي تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ، وتعلّمنا أهمّيّة إرسال الرّسل مبشّرين ومنذرين، ودعوتهم إلى الاحتكام بشرع الله، وقلنا إنّ الله عزَّ وجلَّ بَيّن هذا الأمر لرسوله

(١) مسند أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية، حديث رقم ١٧١٦٣.

الكريم محمّد ﷺ في سورة المائدة، روى النّبيّ ﷺ أنّه قرأ المائدة في حجّة الوداع وقال: «**يا أيها الناس، إنّ سورة المائدة آخر ما نزل، فأحلوا حلالها، وحرّموا حرامها**»[1].

وأكيد أنك حفظتها بنيّ أحمد، فلو راجعت هذه السّورة ستجد الحقد الدّفين لدى اليهود، وبما أنّ سيّدنا محمّداً ﷺ خاتم الأنبياء وخاتم الرّسل، وأنّ المدينة المنوّرة هي قاعدة الدّولة الإسلاميّة التي تنير درب المؤمنين في طريقهم إلى مرضاة الله، وابتغاء رضوانه، لذا علينا العودة إلى أهمّيّة الدّعوة إلى الله على مدى **٢٣** عاماً ونعود لنرى ما فعله رسول الله ﷺ خلال هذه الفترة. وهذا ما سنتحدث عنه خلال سهراتنا القادمة.

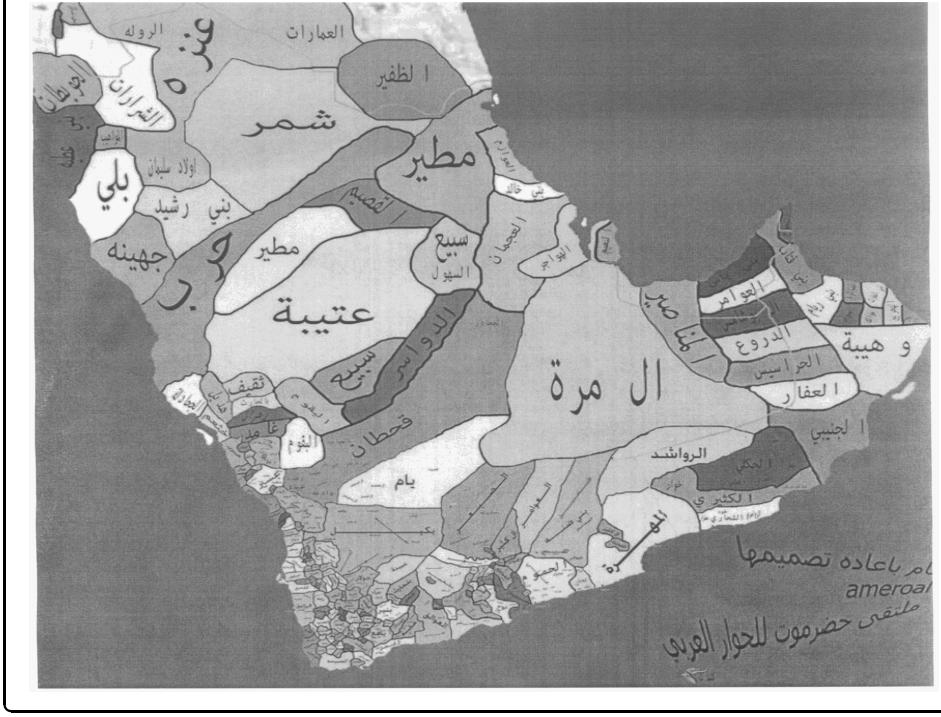

(١) روى أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن عبدالله بن عمر قال: «آخر سورة نزلت المائدة والفتح» وروى أحمد والنسائي والحاكم وصححه، والبيهقي عن عائشة قالت: «المائدة آخر سورة نزلت، فما وجدتم من حلال فاستحلّوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه».

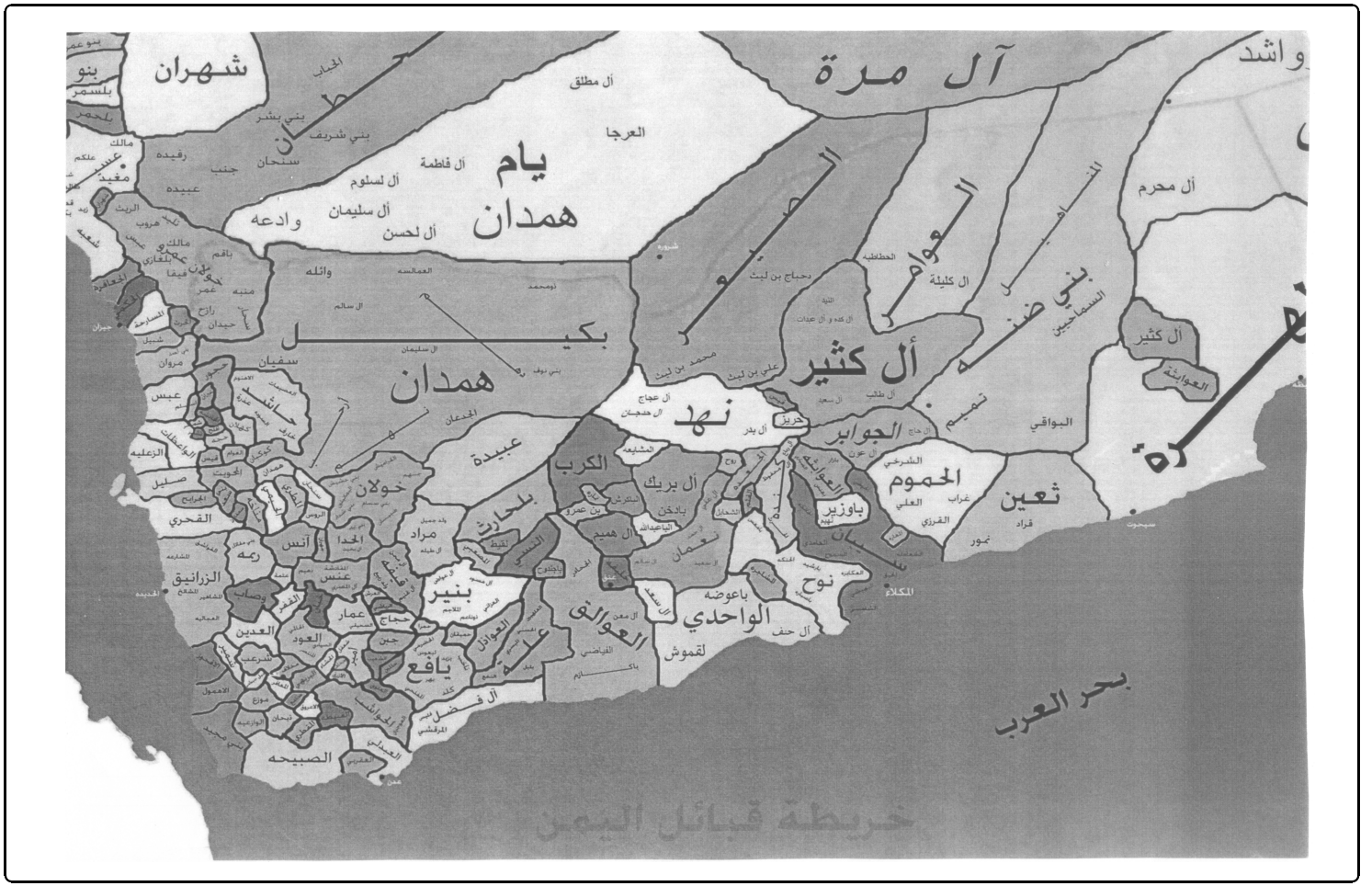
شهران
حاشد
آل مدة
يام
همدان
بكيل
همدان
نهد
الجوابر
الكرب
آل بريك
الحموم
ثعين
باوزير
الوحدي
باعوضه
نوح
العواذل
يافع
بنير
الصبيحه
الزرانيق
القحري
صلبل
الزعليه
عبس
سفيان
خولان
عبيده
مراد
آنس
رمه
العدين
العود
عمار
حجاج
عنس
بحر العرب
خريطة قبائل اليمن

أمّا الآن فنكتفي بالصّلاة على رسول الله ﷺ.

أمّ أحمد: سأترك لك هذا الحديث، ولكن فقط نسلّط الضّوء على بعض المواقف التي حدثت مع رسول الله ﷺ قبل بعثته، فـ ٤٠ عاماً فترة زمنيّة طويلة تربّى فيها رسول الله ﷺ كما تربّى باقي الرّسل صلوات ربّي عليهم جميعاً.

وافق الجميع على ما قالته الوالدة... وقاموا وهم يصلّون على النّبيّ الأمّيّ ﷺ.

أنهت الأسرة مهامها في اليوم التّالي مع مساعدة الأولاد لوالدتهم برعاية صفاء، فقد بدأت المشي والتّخريب... المهمّ أن لا يتركوا ما يمكن أن تؤذي به نفسها ثم ترك الحرّيّة لها بالتّنقّل في أرجاء البيت لتتمتّع بالتّخريب فهي في هذا العمر عندها حبّ الاستكشاف...

سامي وجميل كانا الراعيان لها أما إعادة التّرتيب فبمساعدة والدتهم...

أمّا أحمد فقد كان يجهّز نفسه للسّنة الدّراسيّة فهو بحاجة لمعرفة أوقات الدّراسة وكلّ ما يتعلّق بها ثم اجتمعت العائلة مساءاً بعد انتهائها من وظائفها...

أبو أحمد: اتّفقنا أنّنا سنسرد السّيرة هذه المرّة باستقاء العبر والعظات من سيرة رسول الله ﷺ والاستفادة من الأسلوب التّربويّ الذي ربّى عليه الصّحابة الكرام. في دراستنا «للقَصَصْ النّبويّة بأسلوب تربويّ جديد»، كنّا نسلّط الضّوء على الدّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ وأهمّها التوحيد والإيمان بالرّسل الكرام؛ مستيقن الأحداث مما أنزل الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم ومن أحاديث رسول الله ﷺ وليس من التّفاسير التي جاء تفسيرها من التّوراة المحرّفة...

لذا سنكمل ما بدأناه البارحة ومسلطين الضوء على أهمّيّة الأهداف من إرسال الرّسل ومنهم خاتم النّبيّين محمّد ﷺ...

أحمد: أنا ألخّص الأهداف سريعاً...

من لدن آدم عليه السّلام إلى خاتم النّبيّين محمّد ﷺ كان الهدف الأساسي هو إقامة الدّين وأكّدنا ذلك بالآية ١٣ من سورة الشّورى وسورة الشّورى مكّيّة ورقمها حسب النّزول ٦٢، لإرساء أهمّ قاعدة ألا وهي أنه أنزل شريعته لتكون المهيمنة على حياة النّاس، وللحكم بينهم، وذلك بعدما وعد الله عزَّ وجلَّ آدم عليه السّلام وذرّيّته من بعده، أنّ الله عزَّ وجلَّ سيرسل لهم تعليمات تبيّن لهم دينه الذي اصطفاه لهم، وهذا الدّين يعرّفهم المنهج الذي يصلح حياتهم وينقذهم من الضّلالة والشّقاوة في الدّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

ونؤكد الهدف الأساسيّ وهو إقامة الدّين...

وتابع أحمد وكأنّني أرى اليوم عودة إلى الفترة التي كانت قبل ولادة رسول الله ﷺ، فكما قلتما لنا في الأيّام السّابقة إن أنواع العبادات والشّركيّات كانت متواجدة في بقعة شبه الجزيرة العربيّة، كعبادة النّار في فارس وعبادة الشّركيّة للنّصارى وعبادة الأوثان لمكّة وما حولها، وممّا لاحظت أيضاً عبادة الجنّ، وأزيد على ما تعلّمته أيضاً عبادة الكواكب...

ومما ألاحظ أنّنا عدنا إلى هذه الضّلالات، فمن الضّلال الذي تلبّس به النّاس اليوم تغيير هذه الشّرائع وتبديلها، وذكرنا أنّ الشّرائع السّابقة لم تكن معصومة من التّغيير والضّياع، لذا تمكّن الضّالّون من أن يدخلوا فيها الكثير من آرائهم وأهوائهم، أما رسالة محمّد ﷺ فهي الخاتمة، وهي معصومة من التّغيير حتّى تقوم السّاعة، وأنّها الدّين الذي تمّمه الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

إذن الهدف الذي أراده رسول الله ﷺ هو تبليغ الرّسالة وإرساء قواعد للدّولة الإسلاميّة إلى أن تقوم السّاعة...

أليس هذا ما قصدتما خلال هذه الأمسيات السّابقة.؟

كبّر الجميع الله أكبر الله أكبر... ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله.

أبو أحمد : أحسنت بنيّ ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله.

أمّ أحمد : إذن نعتمد عليك أيضاً بالشّرح بارك الله بك بنيّ.

أبو أحمد : تحدّثنا عن أمر مكّة وكيف كانت بيد قبيلة بني خزاعة، وتحدّثنا عن قصيّ بن كلاب وتحدّثنا عن مآثر قريش وتحدّثنا عن حلف بني عبد الدّار وتحدّثنا عن حلف بني عبد مناف وكيف قسمت المآثر بين حلف الأحلاف وحلف الطّيّبين وكيف انتقلت الزّعامة في بني عبد مناف إلى هاشم الذي عمّق الزّعامة، وطوّر الوضع في مكّة المكرّمة... والأهمّ نسينا قول أنّه أوّل من أسّس رحلتَيْ الشّتاء والصّيف، رحلة الشّتاء إلى اليمن ورحلة الصّيف إلى الشّام، وتحدّثنا عن المطّلب، ثمّ شيبة (عبد المطّلب)، ثمّ رأينا كيف كان لعبد المطّلب حفر زمزم وهلاك أصحاب الفيل...

وقلنا عام الفيل هو الذي ولد فيه رسول الله ﷺ...

فكان محمّد ﷺ حفيد المؤسّسين لقريش التي اتّخذت مكانة عظيمة في شبه الجزيرة العربيّة، والأهمّ أنّ محمّداً ﷺ تربّى أوّل حياته في كنف جدّه عبد المطّلب زعيم قريش.

لقد كانت قريش _مكّة المكرّمة_ مدينة مستقرّة تتمتّع بالهدوء والاستقرار، وكانت لها السّيادة في شبه الجزيرة العربيّة بسبب وجود الكعبة المشرّفة وحجّ النّاس إليها، وكانت دار النّدوة، يجتمع فيها كبار رجالات مكّة للتّشاور، فلذا أمر الشّورى كان قبل بعثة رسول الله ﷺ... ولن ندخل بتفاصيل الأربعين عاماً فكتب السّيرة لم تأنَوْا في التّفصيل في حياته وخاصّة قصّته مع حليمة السّعديّة وكفالة أمّه ثمّ جدّه ثمّ عمّه أبي طالب ورعيه للأغنام، وصحبته مع عمّه أبي طالب وكلّها إرهاصات لتربية

رسول الله ﷺ... إلى أن تزوّج بخديجة رضي الله عنها وخرج بالتّجارة لها قبل زواجه... وما حدث من تجديد الكعبة المشرّفة وكيف كانت حياة النّبيّ ﷺ قبل بعثته، حياة فاضلة شريفة، لقد كان في رعاية الله عزَّ وجلَّ وسورة الضّحى دالّة على رعاية الله عزَّ وجلَّ له... وكان على الدّين الحنيف دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، ولم يتأثّر بترّهات الجاهليّة، فما سجد لصنم قطّ، أو تمسّح به، أو ذهب إلى عرّاف أو كاهن...

كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنّس الرّجال، تنزّهاً وتكرّماً حتّى صار معروفاً «بالأمين».

والأهمّ من ذلك لقد كان في المجتمع العربيّ حنفيّون وحّدوا الله ودعَوْا إلى التّوحيد، وكان هناك كرماء، وكان هناك أوفياء، وكان هناك أناس عرفوا بالعفّة وطهارة الذّيل، والبعد عن المآثم، والتّنزّه عن الفواحش، ولكن كان عزيزاً جدّاً أن تجد في هذه البيئة إنساناً جمع الله فيه كلّ هذه الصّفات وغيرها مثلما جمع الله ذلك في النّبيّ محمّد ﷺ [1].

ونعرف ما حدث معه قبل بعثته من إرهاصات، المهمّ الآن أنّه حين بلغ الأربعين من عمره أتاه جبريل عليه السّلام وبدأ نزول القرآن الكريم كلام الله تعالى على قلب رسول الله ﷺ ثمّ أمر الله عزَّ وجلَّ محمّدًا ﷺ البدء بالدّعوة إلى الله وسنعود إلى ما ذكرناه عن السّور التي تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ وكيف كانت الدّعوة إلى الله...

ففي المرحلة الأولى: خلال ثلاث سنوات، كانت الدّعوة فرديّة

(١) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص٢٣٥ بتصرف ملخص ما ذكر عن ولادته وحياته في كنف جده وعمه أبا طالب، من أراد الاستزادة فليعد إليها.

وكانت سرّيّة (لم يعلن عنها رسول الله r) وسنعود إلى السّور المكّيّة التي تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ والتي بدأت بسورة اقرأ:

١ ـ العلق، ٢ ـ القلم، ٣ ـ المزّمّل، ٤ ـ المدّثر، ٥ ـ الفاتحة، ٦ ـ المسد، ٧ ـ التّكوير، ٨ ـ الأعلى، ٩ ـ الليل، ١٠ ـ الفجر، ١١ ـ الضّحى، ١٢ ـ الشّرح، ١٣ ـ العصر، ١٤ ـ العاديات، ١٥ ـ الكوثر، ١٦ ـ التّكاثر، ١٧ ـ الماعون، ١٨ ـ الكافرون، ١٩ ـ الفيل، ٢٠ ـ الفلق، ٢١ ـ النّاس، ٢٢ ـ الإخلاص، ٢٣ ـ النّجم، ٢٤ ـ عبس، ٢٥ ـ القدر، ٢٦ ـ الشّمس، ٢٧ ـ البروج، ٢٨ ـ التّين، ٢٩ ـ قريش، ٣٠ ـ القارعة، ٣١ ـ القيامة، ٣٢ ـ الهمزة، ٣٣ ـ المرسلات، ٣٤ ـ ق، ٣٥ ـ البلد، ٣٦ ـ الطّارق، ٣٧ ـ القمر، ٣٨ ـ ص، ٣٩ ـ الأعراف، ٤٠ ـ الجنّ، ٤١ ـ يس، ٤٢ ـ الفرقان، ٤٣ ـ فاطر، ٤٤ ـ مريم، ٤٥ ـ طه، ٤٦ ـ الواقعة، ٤٧ ـ الشّعراء.

بدأ النّبيّ ﷺ بعرض الدّعوة بطريقة فرديّة سريّة على من حوله، وبدأ هؤلاء المسلمون الأوائل بدورهم بعرض الدّعوة على الآخرين بالأسلوب نفسه، حتّى وصل عدد المسلمين إلى ٤٥ شخصاً[1]، وإن أحببتم نسرد أسماءهم.

(١) خديجة بنت خويلد ـ أبي بكر ـ علي ابن أبي طالب ـ زيد بن حارثة ـ بلال ـ بنات النبي ﷺ ـ ومن أسلم بدعوة أبي بكر عثمان بن عفان ـ الزبير بن العوام ـ عبدالرحمن بن عوف ـ طلحة بن عبدالله بن عثمان ـ ولما أسلم الصديق وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد ـ فشدهما في وثاق واحد ـ ثم أسلم: أبو عبيدة الجراح ـ أبو سلمة عبد الأسد ـ الأرقم ابن أبي الأرقم ـ وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد، وأسماء بنت أبي بكر، وخباب بن الأرت، وعبدالله بن مسعود، وعمير ابن أبي وقاص أخو سعد ابن أبي وقاص، ومسعود بن القارئ، وسليط بن عمرو وأخوه حاطب بن عمرو، وعياش ابن أبي ربيعة، وامرأته أسماء بنت سلامة، وخنيس بن حذافة السهمي، وعامر بن ربيعة حليف آل خطاب، وعبدالله بن جحش وأخوه أبو أحمد، وجعفر ابن أبي طالب، وامرأته أسماؤ بنت عميس، وحاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه خطاب بن الحارث، وامرأته فكيهة بنت يسار، وأخوهما معمر بن الحارث، والسائب بن=

هذه الفترة كان الأرقم رضي الله عنه من السّابقين الأوّلين، وكانت داره منتدى يجتمع فيه المسلمون، ويعبدون الله سرّاً، ويلقّنهم النّبيّ ﷺ الإسلام وأصوله، ويتعهّدهم بالتّربية حتّى كوّن منهم أناساً يستهينون بكلّ الآلام والبلاء في سبيل دينهم، وكان من يريد الإسلام يأتي إليها مستخفياً خشية أن يناله أذى قريش، وكانت هذه الدّار عند الصّفا.

ومكث رسول الله ﷺ في هذه الدّار حتّى أسلم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

في هذه المرحلة السّرّيّة، كان التّركيز في السّور المكّيّة التي تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ، على تربية هذه النّفس التي بين جنبينا لتتقبّل في المستقبل افعل ولا تفعل. وفي هذه الفترة أُمر المسلمون لعامٍ كامل القيام بالليل في سورة المزّمّل، فكان النّداء للرّسول ﷺ ومن آمنَ معه، بقيام الليل، وقد خيّرهم بالأوقات، والأمر إلزاميّ في واحدة من هذه الأوقات، وأن يرتّل القرآن ترتيلاً، مما يعينهم في تدبّر الآيات وفهم معانيها، فكانت المرحلة الأولى مرحلة إعادة الفكر، وتقبّل تغيير العادات والتّقاليد التي تعوّدوا عليها في زمن الجاهليّة، وتركّزت السّور المكّيّة في هذه الفترة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه.

= عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر، وامرأته رملة بنت أبي عوف، والنحام بن عبدالله بن أسيد، وعامر بن فُهير مولى أبي بكر، وفهيرة أمه، وخالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف، وأبو حذيفة بن عتبة، وواقد بن عبدالله بن عبد مناف وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة، وصهب بن سنان، حليف بني تميم بن مرة. . .

ومن السابقين إلى الإسلام: أبو ذر الغفاري وأخوه أنيس، وأمه وقصة إسلامه مبسوطة في صحيح البخاري ومسلم. رضوان الله عليهم أجمعين. [أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الجزء الأول، ص٢٨٥ ـ ٢٨٩.

(١) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في القرآن والسنة، الجزء الأول، ص٢٨٩.

كما ركّزت على تربية النّفس ومعرفة صفاتها وعلى أهمّيّة تزكية النّفس كما في سورة الشّمس، وقد تحدّثنا عنها سابقاً، وأنّ هذه النّفس هي الممتحنة المكلّفة في الحياة الدّنيا، وأنّ الله عزَّ وجلَّ ألهمها فجورها وتقواها، وقد أفلح من زكّاها[1].

أمّا المرحلة الثّانية من الدّعوة إلى الله فكانت الجهر بالدّعوة إلى الله ومواجهة كفّار مكّة وكانت من السّنة الثّالثة إلى السّنة السّادسة للبعثة، كان الأمر الإلهيّ أن يجهر الرسول ﷺ بالدّعوة إلى الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥]، ونزلت أيضاً: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

صعد النّبيّ ﷺ على الصّفا، فجعل ينادي، يا بنيّ فهر، يا بني عديّ، لبطون قريش حتّى اجتمعوا، فجعل الرّجل لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما الأمر؟ فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: «**أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصدِّقيَّ؟**» قالوا: نعم ما جرّبنا عليك إلّا صدقاً!! قال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبّاً لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١][2].

وبعد هذه الدّعوة ارتقب رسول الله ﷺ الحجّ، فاجتمع زعماء قريش وحملوا لواء المعارضة لهذه الدّعوة، خاصّة عمّه أبو لهب، فرأت قريش أنّه لا بدّ من كلمة يقولونها للعرب، في شأن محمّد ﷺ حتّى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب....

---

(١) خورشيد، شيرين، كيف تقود نفسك للنجاح في الدنيا والآخرة، بيروت ـ لبنان، مطابع الشوف الحديثة، طبعة أولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٥٦ ـ ٥٧ بتصرف.

(٢) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب، حديث رقم (٢٧٥٣) و٣٥٢٥ و٣٥٢٧ و٤٧٧١. ورواه مسلم حديث رقم (٢٠٦)، ورواه الترمذي: تفسير سورة الشعراء.

فكان موقفهم: التّكذيب للنّبيّ ﷺ ولرسالته، والتّعذيب لقسم ممّن آمن بهذه الدّعوة، واتّهام رسول الله ﷺ بأنّه مجنون وساحر.

وهذا ما كان لهم، أن يجلسوا في سبل النّاس حين قدومهم لموسم الحجّ[1].

فهذه المرحلة من الدّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ كان الموقف العام فيها لمكّيّين : تكذيب رسول الله ﷺ ورسالته، وتعذيب لقسم ممّن آمن بهذه الدّعوة، وتكفّلت كلّ قبيلة بالضّغط والتّعذيب والتّكذيب لمن آمن بهذه الرّسالة من الضّعفاء.

وقد استعملوا أساليب شتّى لمجابهة الدّعوة، منها السّخرية والتّحقير، والاستهزاء والتّكذيب والتّضحيك[2].

وكما نرى أنّ السّور المكّيّة تحدّثت عن الأساليب التي اتّبعها الكفّار في مواجهة دعوة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ [القلم: ٥١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

والآيات كثيرة تبيّن حال المؤمنين في هذه المرحلة من البعثة وخاصّة بعدما أمر رسول الله ﷺ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

---

(١) المباكفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، بيروت ـ لبنان، دار ابن حزم، د.ط، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص١٠٠ ـ ١٠١ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

وفي سورة الشّعراء ذكرت قصّة موسى عليه السّلام، من بداية نبوّته إلى هجرته مع بني إسرائيل، وقصّة نجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق آل فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصّة على جميع المراحل التي مرّ بها موسى عليه السّلام، خلال مكثه في مصر.

وكأنّ هذا التّفصيل جيء مع أمر الرّسول ﷺ بجهر الدّعوة إلى الله، ليكون أمامه وأمام أصحابه مثال لما سيلقونه من التّكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدّعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ البداية.

ومن ناحية أخرى تشمل هذه السّورة على ذكر مآل المكذّبين للرّسل، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة عدا ما ذكر من أمر فرعون وقومه ـ ليعلم الذين سيقومون بالتّكذيب عاقبة أمرهم وما سيلقونه من مؤاخذة الله إن استمرّوا عليه، وليعرف المؤمنون أنّ حسن العاقبة لهم وليس للمكذّبين[1].

وفي هذه المرحلة من اضطّهاد المشركين للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ، كان الرسول في منعة أبي طالب، فكان من الصّعب أن يجسر أحد إخفار ذمّته واستباحة بيضته، إنّ هذا أقلق قريشاً، ودعاهم التّفكير إلى أن يختاروا سبيل المفاوضات مع أبي طالب[2]. ولم يقبل أبو طالب مفاوضاتهم، وبقي رسول الله ﷺ في منعة أبي طالب[3].

وباءت محاولات قريش جميعها بالخذلان لترك منعة رسول الله ﷺ من أبي طالب، ولمّا فشلت في المفاوضات، ولم توفّق في إقناع أبي طالب بمنع رسول الله ﷺ بمنعه وكفّه عن الدّعوة إلى الله، قرّرت اتّخاذ الاعتداءات على رسول الله ﷺ... المهمّ هذه المرحلة الصّعبة التي واجه

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٩٧.
(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١١١ بتصرف.
(٣) المرجع السابق.

فيها رسول الله ﷺ إيذاء كفّار قريش له وأمَر رسول الله ﷺ في السّنة الرّابعة للبعثة المسلمين إلى اتّخاذ سبيل الهجرة إلى الحبشة.

والهجرة الأولى إلى الحبشة كانت في السّنة الخامسة للبعثة، وكان عدد الذين هاجروا فيها اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، ورجع بعض هؤلاء بسبب إشاعة عن إسلام أهل مكّة، فوجدوا الأمر على أشدّه فكانت الهجرة الثّانية إلى الحبشة، وتمّت على نطاق أوسع، ولكن كانت هذه الهجرة أشقّ من سابقتها، فقد تيقّظت لها قريش وقرّرت إحباطها، بيد أنّ المسلمين كانوا أسرع، ويسّر الله لهم السّفر، فانحازوا إلى نجاشيّ الحبشة قبل أن يُدْركوا.

وفي هذه المرّة هاجر من الرّجال ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان فيهم عمّار، وثماني عشرة أو تسع عشرة امرأة[1].

على أنّ المشركين أرسلوا إلى النّجاشيّ وفداً وهدايا ليتخلّى عن حماية المسلمين، إلّا أنّه رفض ذلك، واستمرّ في إيواء المسلمين، بل إنّه أسلم فيما بعد.

في هذه المرحلة نشطت الدّعوة إلى الله وإيصال الدّعوة إلى الله، وبيان آيات الله عزَّ وجلَّ وتدبّر آياته، ولم يجد المشركون حجّة سوى قولهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

أمّا في أواخر السّنة السّادسة للبعثة، وفي ظلّ هذا الجو الملبّد بغيوم الظّلم والعدوان فقد ظهر برق أضاء الطّريق، وهو إسلام حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه الذي أسلم في أواخر السّنة السّادسة من النّبوّة، وأيضاً أسلم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، بعد ثلاثة أيّام من إسلام حمزة رضي الله عنه، وكان النّبيّ ﷺ قد دعا الله تعالى لإسلامه، فقد

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١١٧.

أخرج التّرمذيّ عن ابن عمر[1]، وصحّحه عن ابن مسعود وأنس أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**اللهمَّ أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**» فكان أحبّهما إلى الله عمر رضي الله عنه[2].

الأولاد كبّروا وهلّلوا وسبّحوا الله...

أمّ أحمد: ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله، قد حفظت سيرة رسول الله ﷺ، جزاك الله خيراً.

ما رأيكم نكمل غداً، إن لم يكن عندك مانع ليوم غد أبا أحمد.؟؟

أبو أحمد: لا مانع لديّ وسوف آتي من العمل باكراً لنكمل بإذن الله تعالى...

وهكذا كان قام الجميع مع ترداد الصّلاة على رسول الله ﷺ.

في اليوم التّالي أنهت العائلة جميع أشغالها، وجهّز أحمد غرفة الجلوس، وجهّز العصير الطّازج، أما جميل وسامي فكانت صفاء من حصّتهما مع مساعدة والدتهم التي تهتمّ بتربيتها كما فعلت مع أولادها جميعاً، صحيح الأنثى لها وضع خاصّ عن الذّكر، لكنّ أمّ أحمد درست هذه المعلومات فهي خبيرة بالفروقات بين الذّكر والأنثى، وتحاول دوماً أن تذكر ذلك أمام أولادها جميعاً حتّى يكون لديهم خبرة بتربية الأنثى...

علا صوت المرح والسّرور مع جميل وسامي وصفاء مع محاولة إضحاكها فهي في هذا العمر تضحك... وتضحك من حولها فقد كانت بهجة البيت التي أدخلت السّعادة والسّرور لوالديها...

تجمّع الجميع... وكأنّ صفاء تشعر بأهمّيّة هذا المجلس فتتوقّف عن اللّعب وتصغي لوالدها وكم هي متعلّقة به!!

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٢١ ـ ١٢٢ بتصرف.

(٢) الترمذي، أبواب المناقب، مناقب عمر بن الخطاب، حديث رقم (٣٦٩٠).

أمّ أحمد : وصلنا إلى إسلام عمر بن الخطّاب وحمزة بن عبد المطّلب في نهاية السّنة السّادسة للبعثة، وتتميّز هذه المرحلة من البعثة في السّنة الثّالثة من الظّهور المعلن أصبحت الدّعوة منتشرة وعامة، واعتبرت قريش أنّ هذا التّطوّر أصبح خطراً عليها، وانتصاراً للدّعوة الإسلاميّة، خاصّة أنّ مساعيها في الحبشة باءت بالفشل.

أمّا المرحلة التي تلت الظّهور المعلن فنترك الحديث عنها لك يا أبا أحمد تفضّل...

أبو أحمد : جزاك الله خيراً...

وبعد الانتهاء من شرب العصير الطّازج والبدء بحمد الله وشكره والصّلاة على رسول الله ﷺ قال أبو أحمد : تحدّثنا بالأمس عن الانتهاء من مرحلة الاستتار، وانتهاء دور دار الأرقم، وحصول بعض الصّدام الفرديّ بسبب الجهر والظّهور، والأهمّ هو تزايد عدد المستجيبين للدّعوة.

أمّا المرحلة التي تليها، فهي مرحلة عزم قريش على قتل النّبيّ ﷺ، فلمّا بلغ أبا طالب عزم قريش على قتل النّبيّ ﷺ جمع بني هاشم، بني المطّلب ودعاهم إلى القيام بحفظ وحماية النّبيّ ﷺ، فاستجاب بنو هاشم وبنو المطّلب (مسلمهم وكافرهم) لذلك ـ إلّا أبا لهب ـ ودخلوا شعب بني هاشم، ومنعوه ممّن أرادوا قتله[1].

وزادت عليهم المقاطعة العامّة وميثاق الظّلم والعدوان، فاجتمعوا في خَيْف بني كنانة من وادي المحصّب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطّلب ألّا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلّموهم، حتّى يسلّموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق: «ألا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل».

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٣٢ بتصرف.

قال ابن القيّم : يقال: كتبها منصور بن عكرمة بن هاشم. . .

والصّحيح أنّه بغيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلّت يده[1].

تمّ هذا الميثاق وعلّقت الصّحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطّلب، مؤمنهم وكافرهم ـ إلّا أبو لهب ـ وحبسوا في شعب أبي طالب، وذلك فيما يقال: ليلة هلال المحرّم سنة سبع من البعثة، واستمرّ الحصار في شعب بني هاشم ثلاث سنوات تقريباً، لاقى المحاصرون، فيها الجهد والعنت الشّديدين، إلى أن نقضت الصّحيفة وفكّ الحصار بعد ثلاث سنوات. . .

فسمّيت هذه المرحلة، مرحلة المقاطعة العامّة، وخفّف الله عنهم هذه المرحلة واقتصرت على الصّبر والثّبات على الإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

وفي العام العاشر إلى العام ١٣ للبعثة : تتالت الأحداث المؤلمة فمنها وفاة خديجة رضي الله عنها بعد الحصار، ووفاة عمّ رسول الله ﷺ في رجب سنة ١٠ من البعثة، وخديجة رضي الله عنها في شهر رمضان من السّنة العاشرة للبعثة. . .

وبعد ١٠ سنوات من الدّعوة إلى الله أصبحت الدّعوة صعبة واشتدّت بعد وفاة عمّه وزوجه ممّا كان لابدّ معه من أهمّيّة التّحضير لبدائل ودعوة الإسلام إلى خارج مكّة. . . ولن أطيل في الحديث في الحلول والبدائل التي كانت بل أشير إلى أنّ يثرب كانت المكان المناسب للهجرة إليها. . .

وما حدث مع رسول الله ﷺ من معجزة الإسراء والمعراج ما بين سنة ١١ للبعثة و١٢ للبعثة وفرضت الصّلوات الخمس.

وفي موسم الحجّ من عام ١١ للبعثة أسلم ستّة أشخاص من يثرب من قبيلة الخزرج، فحملوا الدّعوة إلى قومهم الذين أسلم عدد منهم.

وفي موسم الحجّ عام ١٢ للبعثة جاء للنّبيّ ١٢ رجلاً من يثرب ٢ منهم من الأوس، وبايعوا النّبيّ ﷺ فكانت بيعة العقبة الأولى، وأرسل معهم

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: نزول النبي ﷺ مكة، حديث رقم (١٥٩٠).

مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة ليعلّمهم ويربّيهم على الإسلام.

وفي موسم الحجّ في العام (١٣ للبعثة) حضر ٧٣ من أهل يثرب فاجتمع بهم النّبيّ ﷺ سرًّا منتصف الليل، وبايعوا النّبيّ ﷺ على الإسلام وعلى نصرته إذا قدم عليهم مهاجراً، وسمّيت هذه البيعة بيعة العقبة الثّانية.

وقد روى ذلك الإمام أحمد عن جابر مفصّلاً. قال جابر: قلنا : يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: «**على السّمع والطّاعة في النّشاط والكسل.**

وعلى النّفقة في العسر واليسر.

وعلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.

وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة»[١].

وبعد إقرار بنود البيعة، وبعد هذا التّأكيد والتّأكّد على بنود العقد، بدأ عقد البيعة بالمصافحة. . .

وبعد أن تمّت البيعة طلب رسول الله ﷺ أن يختاروا اثني عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم، يكفلون المسؤوليّة عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة، فقال للقوم : أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم[٢].

وبعدما انتهى أبو أحمد من سرد ما حدث خلال ١٣ عاماً في مكّة المكرّمة، قام إلى اللوح للشّرح عبر الرّسم البيانيّ لهذه المراحل الـ ١٣ في مكّة المكرّمة.

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن ٣/ ٣٢٢.

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٧٢، أبي شهبة، محمد، السيرة النبوية في القرآن والسنة، الجزء الأول، ص٤٤٩.

١٣ سنة في مكّة المكرّمة.

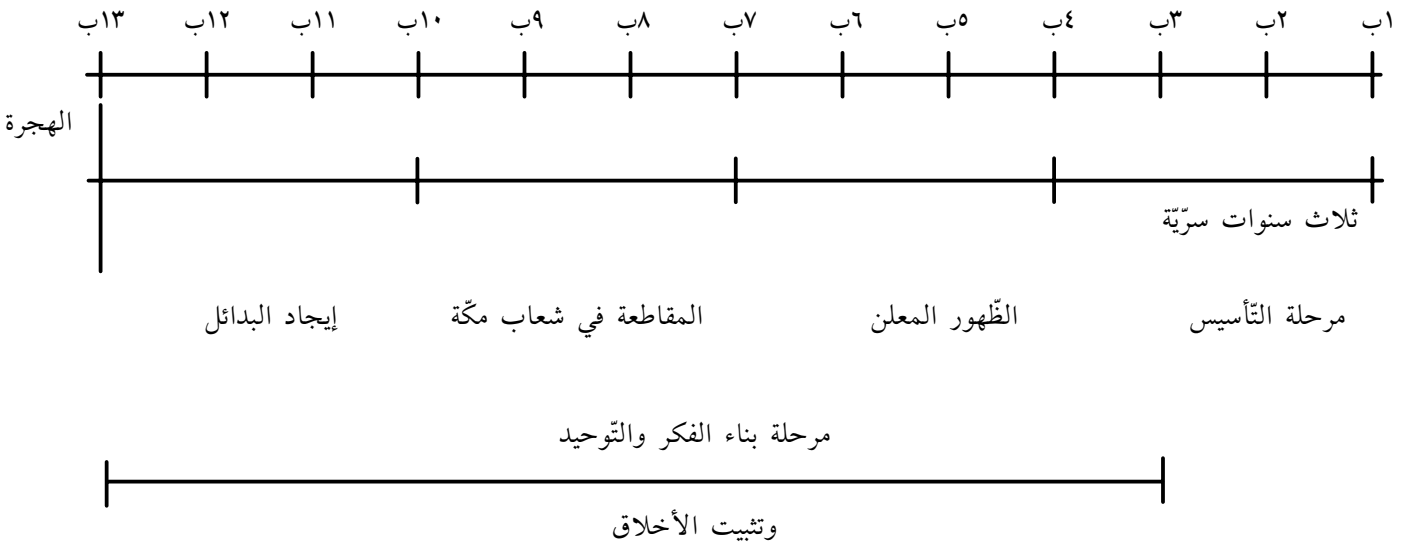

قال أبو أحمد: علينا الانتباه إلى مراحل الدّعوة إلى الله، وقراءة الواقع لكلّ مرحلة مع تدبّر الآيات التي تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ، والتي كانت سبباً في تثبيت الإيمان في القلب، فكانت سبباً لعوامل الصّبر والثّبات على الاضطهاد والإيذاء والسّخرية والتّحقير والتّكذيب... بشتّى الأساليب لمجابهة الدّعوة إلى الله، فثلاث سنوات سرّيّة مع فرضيّة قيام الليل لعام كامل، للتّضرّع إلى الله عزَّ وجلَّ وتدبّر آياته خاصّة أنّنا رأينا السّور القرآنيّة في بداية الثّلاث سنوات تحثّ على تزكية النّفس وتطهير القلب من أيّ شرك بالله، وبالأخص ما اعتادت النّاس على فعله، الإيمان بالله وحده لا شريك له، الإيمان الذي حدث مع أصحاب الكهف، فربط الله على قلوبهم.

أمّا السّنوات التي تلت السّنوات السّرّيّة، فكانت مرحلة بناء للفكر والتّوحيد لله عزَّ وجلَّ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيد الرّبّ جلّ وعلا، أمّا السّنوات العشر التي تلتها، فكان لكلّ مرحلة من المراحل دراسة متأنّية لما حدث مع رسول الله ﷺ، ولا يسعنا هنا في هذه الأمسيات استكمالها ودراستها، فقد كانت مرحلة بناء الفكر والتّوحيد وتثبيت الأخلاق، إذ كان النّبيّ ﷺ، (هو القائد الأعلى للأمّة... يتمتّع بجمال الخلق وكمال النّفس، ومكارم الأخلاق، والشّيم النّبيلة، والشّمائل الكريمة، فتتجاذب إليه القلوب وتتفانى دونه النّفوس، وكانت أنصبته من الكمال الذي يحبَّبُ ما لم يرزق بمثلها بشر، وكان على أعلى قمّة من الشّرف والنّبل والخير والفضل، وكان الكمال بالعفّة والأمانة والصّدق، ومن جميع سبل الخير على ما لم يتمار ولم يشكّ فيه أعداؤه فضلاً عن محبّيه ورفقائه، لا تصدر منه كلمة إلا ويستيقنون صدقها)[1].

وكان الصّحابة الكرام يشعرون بالمسؤوليّة، فتحمّل الاضطّهاد هو

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٤١.

أقلّ ضرراً من تحمّل مسؤوليّة الدّعوة إلى الله، وعندهم الإيمان باليوم الآخر وتلاوة القرآن من المحفّزات لبلوغ النّصر، فتتالت الآيات والسّور بالحديث عن هذه البشارات للمؤمنين، فقد تنزّلت في هذه الفترة ٣٩ سورة توزّعت حسب نزولها فخلال العشرة أعوام تنزّلت السّور التّالية:

٤٨ ـ النّمل، ٤٩ ـ القَصص، ٥٠ ـ الإسراء، ٥١ ـ يونس، ٥٢ ـ هود، ٥٣ ـ يوسف، ٥٤ ـ الحجر، ٥٥ ـ الأنعام، ٥٦ ـ الصّافات، ٥٧ ـ لقمان، ٥٨ ـ سبأ، ٥٩ ـ الزّمر، ٦٠ ـ غافر، ٦١ ـ فصّلت، ٦٢ ـ الشّورى، ٦٣ ـ الزّخرف، ٦٤ ـ الدّخان، ٦٥ ـ الجاثية، ٦٦ ـ الأحقاف، ٦٧ ـ الذّاريات، ٦٨ ـ الغاشية، ٦٩ ـ الكهف، ٧٠ ـ النّحل، ٧١ ـ نوح، ٧٢ ـ إبراهيم، ٧٣ ـ الأنبياء، ٧٤ ـ المؤمنون، ٧٥ ـ السّجدة، ٧٦ ـ الطّور، ٧٧ ـ الملك، ٧٨ ـ الحاقّة، ٧٩ ـ المعارج، ٨٠ ـ النّبأ، ٨١ ـ النّازعات، ٨٢ ـ الانفطار، ٨٣ ـ الانشقاق، ٨٤ ـ الرّوم، ٨٥ ـ العنكبوت، ٨٦ ـ المطفّفين.

يتابع أبو أحمد السّرد ويقول ٨٦ سورة تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ وسمّيت السور المكّيّة والمفصل هو هجرة رسول الله ﷺ فيقال: ٨٦ سورة تنزّلت قبل هجرة رسول الله ﷺ فسمّيت مكّيّة.

فإن أردنا دراسة الواقع الذي تنزّلت خلاله على رسول الله ﷺ لعرفنا كيف تربّى صحابة رسول الله ﷺ.

نتوقّف هنا اليوم ونكمل غداً السّيرة وخاصّة بعد هجرة رسول الله ﷺ والأحداث التي كانت مفصلاً لبناء دولة إسلاميّة...

استفاق الجميع على ذكر الله عزَّ وجلَّ والصّلاة على رسول الله ﷺ، وأنهى كل فرد من العائلة مهامه واستعدّوا مساءاً لجلسة أسريّة يتدارسون فيها سيرة رسول الله ﷺ.

أمّ أحمد: وبعد التّسمية وحمد الله عزَّ وجلَّ والصّلاة على رسول الله ﷺ...

فقط أردت إخباركم أنّ سيرة رسول الله ﷺ مليئة بالدّروس التّربويّة التي لا يسعنا حصرها هنا، ويا حبّذا يا أحمد لو تعمل على دراسة المواقف التّربويّة التي تربّى عليها الصّحابة الكرام، فحازوا على قول رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النّاس قرني، ثمّ الذين يَلُونَهُمْ، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ يجيءُ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينُهُ شهادته**»(١).

والحديث: قال النّوويّ رحمه الله: «الصّحيح أنَّ قَرْنَهُ ﷺ: الصّحابة، والثّاني: التّابعون، والثّالث: تابعوهم»(٢).

وهذا الحديث: دليل على أنّ قرنه خير النّاس، فصحابته ﷺ أفضل من الحواريّين الذين هم أنصار عيسى عليه السّلام، وأفضل من النّقباء السّبعين الذين اختارهم موسى ﷺ.

وهذه الأفضليّة أفضليّة من حيث العموم والجنس، لا من حيث الأفراد(٣).

جميل: أمّي، وما معنى تسبق شهادة أحدهم يمينه؟

أمّ أحمد: قيل: ذلك عبارة عن كثرة شهادة الزّور واليمين، وكم انتشرت في وقتنا الحاضر... والأدهى والأمرّ هو حلف اليمين زوراً وهو اليمين الغموس...

أمّا الآن فلنكمل سيرة رسول الله ﷺ طبعاً لم نفصّل الهجرة، وكم

---

(١) رواه البخاري و كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جورٍ إذا أشهد، حديث رقم (٢٦٥٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٨٥).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ١٠٥٧ ـ ١٠٥٨).

بها من عبر وعظات لو اطّلعتم عليها، حتّى تستفيدوا من أهمّيّة التّخطيط والأخذ بالأسباب، والتّوكّل على الله... ولو شرحناها الآن لأخذت منّا ملفات للشّرح، خاصّة هجرة رسول الله ﷺ[1].

وسنتحدّث عن أهمّيّة هذا المفصل (هجرة رسول الله ﷺ) لمرحلة (بناء الدّولة وحمايتها)، بما أنّ مكّة المكرّمة كانت حركة الصّحابة الكرام فيها حركة «أفراد» أو «جماعات»، أمّا في المدينة المنورة فأصبحت الحركة أشمل، هناك مجتمع، وهناك قائد على هذا المجتمع ألا وهو رسول الله ﷺ، أرسى القواعد والنّظم التي يحتاج إليها المجتمع، وليس في المدينة فقط؛ بل في العالم كلّه...

ترى ما هي حال المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ إليها فيها قبيلتان هما الأوس والخزرج، ويحيط بالمدينة ثلاث قبائل يهوديّة، بنو قينقاع، وبنو النّضير وبنو قريظة، وكان اليهود بشكل عام يسيطرون على الحركة الاقتصاديّة والتّجاريّة في المدينة.

ويمكن تقسيم العهد المدنيّ إلى ثلاث مراحل[2]:

١ ـ مرحلة تأسيس المجتمع الإسلاميّ، وتمكين الدّعوة الإسلاميّة، وقد أثيرت في هذه المرحلة القلاقل والفتن من الدّاخل، وزحف إليها الأعداء من الخارج؛ ليستأصلوا شأفة المسلمين، ويقلعوا الدّعوة من جذورها، وقد انتهت هذه المرحلة بتغلّب المسلمين وسيطرتهم على الموقف مع عقد صلح الحديبيّة في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة.

٢ ـ مرحلة الصّلح مع العدوّ الأكبر، والتفرّغ لدعوة ملوك الأرض

---

(١) على المربي العودة إلى تفاصيل الهجرة من كتب السيرة، ليأخذ المتعلم/ المتعلمة، أهمية التخطيط في حياتهم الشخصية.

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٩٧.

إلى الإسلام، وللقضاء على أطراف المؤامرات، وقد انتهت هذه المرحلة بفتح مكّة المكرّمة في رمضان سنة ثمان للهجرة.

٣ ـ مرحلة استقبال الوفود، ودخول النّاس في دين الله أفواجاً، وقد امتدّت هذه المرحلة إلى وفاة الرّسول ﷺ في ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من الهجرة.

أمّا عن حال المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ، فكانت الحرب تتوالى بين الأوس والخزرج، وقبيل مقدم النّبيّ ﷺ إلى المدينة المنوّرة، حصلت حرب عظيمة بين الأوس والخزرج سمّيت «يوم بعاث»، قتل فيها خلق كثير من أشرافهم وكبرائهم، وكانت الغلبة فيها للأوس على الخزرج.

وقد أدّى هذا إلى اختلال سياسيّ واجتماعيّ في المدينة، فحصل فراغ في زعامات المدينة، ممّا جعل مهمّة النّبيّ ﷺ مقبولة أكثر في حسّ المجتمع المدنيّ، قالت السّيّدة عائشة رضي الله عنها : كان «يوم بعاث» يوماً قدّمه الله لرسوله، قدم رسول الله ﷺ المدينة وقد افترق ملؤهم وقُتِلَ سُرَاتهم [أي قادتهم])[1].

وقد أعاد الإسلام اللحمة والألفة بين الأوس والخزرج قال تعالى : ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أمّا أصناف النّاس فثلاثة هي:

١ ـ أصحابه الصّفوة الكرام البررة رضي الله عنهم.

٢ ـ المشركون الذين لم يؤمنوا بعد وهم من صميم قبائل المدينة.

٣ ـ اليهود، كما قلت بني قينقاع وبني نضير وبني قريظة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: القسامة في الجاهلية، حديث رقم (٣٨٤٦)، (٣٧٧٧).

لم تكن الهجرة للتّخلص والفرار من الفتنة وحسب، بل كانت الهجرة تعني مع هذا تعاوناً على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن، ولذلك أصبح فرضاً على كلّ مسلم يقدر على الهجرة أن يهاجر ويسهم في بناء هذا الوطن الجديد، ويبذل جهده في تحصينه ورفعة شأنه.

ولا شكّ أنّ رسول الله ﷺ هو الإمام والقائد في بناء هذا المجتمع، وكانت إليه أزمة الأمور بلا نزاع[1].

أبو أحمد: لقد درست هذه المرحلة، وسأدلو بدلوي لبيان أهمّيّة بناء الدّولة وحمايتها.

والأهمّ من ذلك بناء مناهج الحياة، ونظام المجتمع وسلطة حاكمة بما أمر الله عزَّ وجلَّ...

وحمايته من كلّ محاولات الإحباط والقضاء عليها.

وكان الدّور الرّئيسيّ حمايته من قريش وحلفائها، وهذا يدلّ على حالة الحرب المعلنة مع المسلمين.

فكان المحور الأوّل في العشر سنوات بعد الهجرة بناء الأسس للمجتمع الجديد، والتي بدأت من الهجرة حتّى السّنة الثّانية للهجرة... وسنتكلّم لاحقاً عن المراحل التّالية... و الآن حديثنا عن المرحلة الأولى:

المرحلة الأولى:

وصل النّبيّ ﷺ المدينة في **١٢** ربيع الأوّل، وبدأ ببناء الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلاميّ ومن أهمّها:

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٩٩.

١ ـ **بناء المسجد النّبويّ** : وهو الخطوة الأولى، فالمسجد أوّل مؤسّسة في الإسلام : حيث العبادة لله تعالى، وتلاقي المؤمنين، وميدان التّربية والتّوجيه، ومركز الدّعوة إلى الله، ومجلس الحكم والشّورى. . .

٢ ـ **المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار** : آخى عليه الصّلاة والسّلام بين ٩٠ رجلاً (نصفهم من المهاجرين ونصفهم الآخر من الأنصار)، وكان من مقتضى الإخوة الإيواء في البيوت والتّوارث بعد الموت وبقي هذا الحكم حتّى غزوة بدر فنسخ التّوارث.

٣ ـ **الوثيقة** : وهي وثيقة سياسيّة تنظّم العلاقات بين الفئات المختلفة في المدينة المنوّرة (المسلمون، المشركون، اليهود)، تتضمّن هذه الوثيقة بنوداً متعدّدة منها :

- أنّهم أمّة واحدة من دون النّاس.
- وأنه لا يحلّ لمؤمن أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأنّه من نصره أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه[١]. . .

والأحاديث الصّحيحة الدّالّة على ما نقول كثيرة. . . عليكم مراجعتها حتّى تثبت المعلومة جيّداً. . .

وهذه الوثيقة أرسى رسول الله ﷺ فيها قواعد مجتمع جديد، كانت صورته الظّاهرة بياناً وآثاراً للمعاني التي كان يتمتّع بها أولئك الأمجاد بفضل صحبة النّبيّ ﷺ، وكان النّبيّ ﷺ يتعهّدهم بالتّعلّم والتّربية، وتزكية النّفوس، والحثّ على مكارم الأخلاق، ويؤدّبهم بآداب الودّ والإخاء والمجد والشّرف والعبادة والطّاعة[٢].

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢٠٥ ـ ٢٠٩ بتصرف.

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢٠٩، على المربي العودة إلى الأحاديث الصحيحة الدالة على تزكية النفس، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

كما بيّن لهم ما في العبادات من الفضائل والأجر والثّواب عند الله، وكان يربطهم بالوحي النّازل من السّماء ربطاً موثّقاً، فكان يقرأه ويقرؤونه، لتكون هذه الدّراسة إشعاراً بما عليهم من حقوق الدّعوة وتبعات الرّسالة، فضلاً عن ضرورة الفهم والتّدبّر.

وهكذا هذّب تفكيرهم، ورفع معنويّاتهم، وأيقظ مواهبهم، وزوّدهم بأعلى القيم والأقدار، حتّى وصلوا إلى أعلى قمّة من الكمال عرفت في تاريخ البشر بعد الأنبياء[1].

أمّا المعاهدة مع اليهود، فقد عقد معهم معاهدة قرّر لهم فيها النّصح والخير، وترك لهم فيها مطلق الحرّيّة في الدّين والمال، ولم يتّجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام، وكان من أهم بنودها:

- إنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم...

وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقيّة، عاصمتها المدينة، وقائدها رسول الله ﷺ، والكلمة النّافذة والسّلطان الغالب فيها للمسلمين[2].

أمّ أحمد : جزاك الله خيراً أبا أحمد على هذه الإضاءات المهمّة لمعرفة أهمّيّة تطبيق منهج الله عزَّ وجلَّ في كلّ أمور حياتنا الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة.

هذه كانت المرحلة الأولى في المدينة المنوّرة، إلى أن جاء الأمر الإلهيّ بالإذن بالقتال في السّنة الثّانية للهجرة، بعد الظّروف التي هدّدت المدينة المنوّرة من قبل قريش ففي شهر شعبان تنزّلت سورة البقرة، وفيها تحويل القبلة

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢١٢ ـ ٢١٣ بتصرف.
(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢١٢ ـ ٢١٣ بتصرف.

إلى المسجد الحرام، وفرضيّة الصّيام، والزّكاة، والإذن بالقتال[1].

فكان من الأحكام الشّرعيّة : فرض الصّيام في شعبان للسّنة الثّانية للهجرة، وزكاة الفطر وصلاة العيد في شهر رمضان للسّنة الثّانية للهجرة وأيضاً الزّكاة بعد شهر رمضان في السّنة الثّانية للهجرة، وإيصال حكم الغنائم (بعد غزوة بدر الكبرى في ١٧ رمضان في السّنة الثّانية للهجرة).

وأدّى نصر المسلمين في غزوة بدر إلى ظهور قوّة الإسلام التي استطاعت إلحاق الهزيمة بقريش، وهنا في هذه الحالة دخل المشركون بالإسلام نفاقاً حيث أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام. . . .

وفي شوّال السّنة الثّانية للهجرة ضاق صدر يهود بني قينقاع بنصر المسلمين في بدر، ممّا أدّى إلى نقضهم العهد عبر إيذاء المسلمين والاعتداء على امرأة مسلمة، خاصّة بعد إقامة سوق المسلمين والذي انعكس سلباً على سوق بني قينقاع فحاصرهم النّبيّ ﷺ فاستسلموا، وبعد تدخّل عبدالله ابن أبي سلول من الخزرج (رئيس المنافقين في المدينة وهو حليف بني قينقاع) أجلاهم النّبيّ عن مكانهم، وأخذ المسلمون أموالهم.

تتوقّف أمّ أحمد عن الكلام بعد الصّلاة على رسول الله ﷺ وتقول: . . . .

ما رأيكم نتوقّف هنا ونتابع غداً بإذن الله؟؟

وافق الجميع مع ترددهم الصّلاة والسّلام على رسول الله ﷺ.

وفي اليوم الثّاني وبالاتّفاق مع أبي أحمد أحضرت أمّ أحمد خارطة مع اللوح ليتسنّى لهما شرح ما سيحدث في المرحلة الثّانية من هجرة رسول الله ﷺ ورسمت على اللوح رسمًا بيانيًّا يبيّن السّنوات مع الأحداث التي واجهت كلّ مرحلة. . . .

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢١٦ بتصرف.

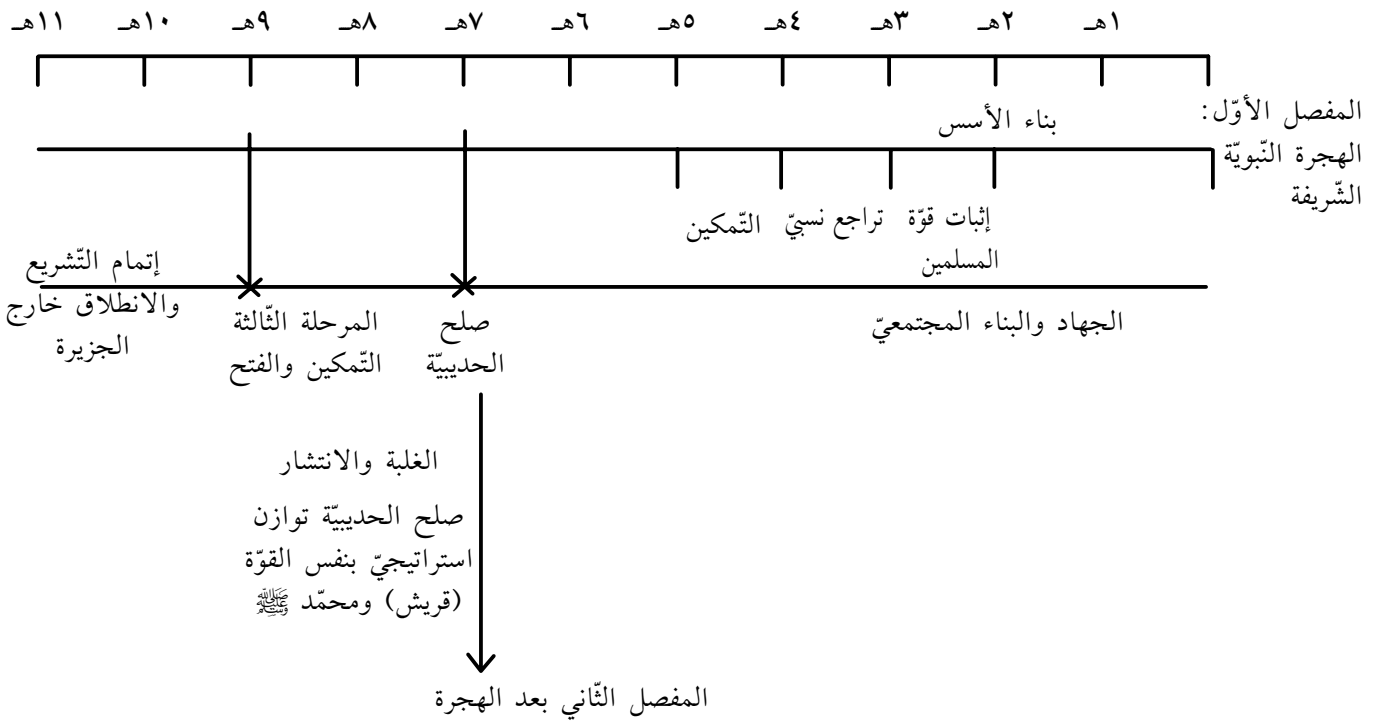
١١هـ
١٠هـ
٩هـ
٨هـ
٧هـ
٦هـ
٥هـ
٤هـ
٣هـ
٢هـ
١هـ
المفصل الأوّل:
الهجرة النّبويّة
الشّريفة
بناء الأسس
إثبات قوّة المسلمين
تراجع نسبيّ
التّمكين
إتمام التّشريع
والانطلاق خارج
الجزيرة
المرحلة الثّالثة
التّمكين والفتح
صلح
الحديبيّة
الجهاد والبناء المجتمعيّ
الغلبة والانتشار
صلح الحديبيّة توازن
استراتيجيّ بنفس القوّة
(قريش) ومحمّد ﷺ
المفصل الثّاني بعد الهجرة

وفي المساء اجتمعت الأسرة مع استغراب سامي لما كتب على اللوح!!

ولكنّ أمّ أحمد لم تترك الاستغراب طويلاً فقالت : حينما كنتم خارج البيت انتهزت فرصة نوم صفاء لرسم هذا الرسم البيانيّ للمراحل التي واكبت العشر سنوات في المدينة المنوّرة. . . .

وتوقّفت ولم تكمل. . . (لأنّه بعد العشر سنوات ذكر وفاة رسول الله ﷺ في ١٢ ربيع الأوّل من السّنة الحادية عشرة هجريّة...).

جلس الجميع وقد شعروا باقتراب الانتهاء من سيرة رسول الله ﷺ. . . .

أبو أحمد: وأنا أيضاً أشعر بما تشعرون. . . . ولكن تأكّدوا أنّ لشمائل رسول الله ﷺ ما يغنينا لنتابع دوماً الاجتماع والتّحدّث عن سيرته الشّريفة ﷺ وأخلاقه الشّريفة التي يجب أن نتدارسها ونتعرّف عليها لذا توقّفوا عن هذا الشّعور خاصّة إنّكم قريباً ستبدؤون الدّراسة للعام الجديد، ونتمنّى لكم جميعاً التّوفيق لما يحبّه الله ويرضاه.

تحمّس الجميع لإكمال السّيرة بعدما طمأنتهم بمواظبة الاجتماع على سيرة خير البريّة محمّد ﷺ.

جميل: لقد جهّزنا جميع كتبنا لهذا العام، فالصّف العاشر قد مرّ به أخي أحمد وترك لي ما أحتاجه لهذا العام، كما أنّني تركت لسامي كلّ ما يحتاجه للصّفّ الثّامن.

أمّ أحمد: بعد حمد الله عزَّ وجلَّ والصّلاة على خير مبعوث للنّاس كافّة محمّد ﷺ. وصلنا بفضل الله تعالى إلى المحور الثّاني من هجرة رسول الله ﷺ والتي تبدأ من السّنة الثّالثة للهجرة إلى أوائل السّنة الخامسة للهجرة:

حاولت قبائل بنو سليم وغطفان ـ وكانوا حلفاء لقريش ـ الاعتداء

على المدينة ولكن باءت محاولاتهم بالفشل وذلك بسبب الرّصد المبكر لتحرّكاتهم.

وفي شوّال من السّنة الثّالثة (بعد عام من غزوة بدر تقريباً) خرجت قريش في ٣٠٠٠ مقاتل قاصدة المدينة للثأر من غزوة بدر، فخرج المسلمون لملاقاتهم خارج المدينة في ١٠٠٠ مقاتل، ولم يلبث أن انخذل ٣٠٠ منهم مع رأس المنافقين عبدالله بن أبي سلول.

بدأت المعركة بانتصار للمسلمين، ولكن ما لبث أن كرّ المشركون بسبب ترك رماة المسلمين لمواقعهم في جبل أحد، واستطاعوا قلب النّصر إلى انكسار للجيش المسلم.

استشهد من المسلمين ٧٠ (٦٥ أنصاريّ)، وقتل من المشركين ٣٧ رجلاً.

لقد كان لمأساة أحد أثر سيء على الوضع الإسلاميّ، فزادت المتاعب الدّاخليّة والخارجيّة. فقد تجرّأت القبائل حول المدينة على مهاجمة المسلمين ومناوشتهم حتى حصلت حادثة بعث الرّجيع (صفر سنة ٤هـ) حيث استشهد ١٠ من المسلمين، ومأساة بئر معونة في الشّهر نفسه، حيث استشهد سبعون من الصّحابة الكرام بعد شهر تقريباً، وفي الرّبع من السّنة الخامسة للهجرة همّ يهود بني النّضير بمحاولة قتل النّبيّ ﷺ ناقضين بذلك عهودهم مع المسلمين، فحاصرهم النّبيّ فاستسلموا، ثمّ أجلاهم عن المدينة وقد استعاد المسلمون بذلك شيئاً من هيبتهم وثقة بمناصرة الله لهم ولدينهم.

كان المسلمون وقريش قد تواعدوا في غزوة أحد على الملاقاة ثانية بعد عام، لذلك خرج النّبيّ ﷺ والمسلمون في ١٥٠٠ مقاتل في شعبان سنة ٥هـ لملاقاة قريش عند بدر، وخرج المشركون من مكّة في ٢٠٠٠ مقاتل، إلّا أنّ قريشاً خشيت عاقبة الأمر فعادت إلى مكّة دون قتال.

وهذا مؤشّر إلى أنّ المسلمين استعادوا المبادرة وأصبحوا قوّة يحسب لها حساب[1].

أبو أحمد: من سمات هذه المرحلة و التّشريعات التي تنزّلت عليهم، قلنا أنّ الصّيام فرض في السّنة الثّانية للهجرة في شهر شعبان، حينما تنزّلت سورة البقرة، وهي أوّل سورة مدنيّة بعد الهجرة تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ وقلنا أيضاً عن فرض زكاة الفطر وصلاة العيد، وفرض الزّكاة (بعد رمضان ٢هـ)، ونزل حكم الغنائم والأسرى بسبب غزوة بدر.

أمّا السّنة الثّالثة للهجرة : فكان حكم الميراث، الطّلاق والرّجعة.

والسّنة الرّابعة للهجرة : فكان حكم قصر الصّلاة، صلاة الخوف، عقوبة الزّنا، صلاة الخسوف التّيمّم، حدّ القذف، الحجّ، العمرة.

والسّنة الخامسة للهجرة :الحجاب، الإيلاء، إبطال التّبنّيّ[2].

ومن سمات هذه المرحلة أيضاً : (الجهاد والبناء المجتمعيّ) تميّز بالسّمات التّالية:

١ ـ بدأت المواجهات العسكريّة الكبرى وكان العدوّ الرّئيسيّ هو قريش.

٢ ـ أدّى نقض العهود من قبل القبائل واليهود إلى تصفية كياناتهم المختلفة، وبالتّالي انزاح عن المسلمين قوىً خطرة تهدّد الأمّة الإسلاميّة برمّتها، ومن هنا تعامل النّبيّ ﷺ بالحزم[3].

---

(١) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٥.

(٢) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٦.

(٣) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٦.

يتابع أبو أحمد فيقول: طبعاً نختصر السّيرة، وما يهمّنا هو الحديث عن المنهجيّة التي تربّى عليها الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم. . . .

وصلنا إلى المرحلة الثّالثة وهي في السّنة الخامسة والسّادسة للهجرة، حين خرج وفد من زعامات يهود بني نضير إلى قريش وإلى غطفان وقبائل العرب لبناء تحالف للقضاء على النّبيّ ﷺ في المدينة المنوّرة؛ إلّا أنّ خزاعة نقلت الخبر للنّبيّ ﷺ. اتّجهت هذه الأحزاب جميعاً لتطويق المدينة في جيش ١٠ آلاف مقاتل في شوّال ٥هـ، فأقام المسلمون خندقاً في ٦ أيام (طوله ٥،٤كم، عرضه ٦م، عمقه ٥م)، وعندما بلغ جيش المشركين المدينة فوجئوا بوجود الخندق وأقنعوا بني قريظة بنقض العهد والانضمام إلى تحالفهم فنقضت بنو قريظة العهد، ودخلت الحرب ضدّ المسلمين، إلّا أنّ نعيم بن مسعود استطاع بدهائه الإيقاع بين بني قريظة وقريش فانخذل التّحالف مهزوماً؛ وقال النّبيّ ﷺ بعد ذلك : «**اليوم نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نخرج إليهم**».

ثمّ توجَّه النّبيّ ﷺ إلى بني قريظة فحاصرهم وحكّم فيهم سيّد الأوس سعد بن معاذ الذي حكم بأن يقتل المقاتلون وتسبى الذّرّيّة وتقسَّم الأموال[1].

أمّ أحمد: بارك الله بك أبا أحمد. . . لقد استفدت من هذه الدّورة، لكي تفسّر المنهجيّة التي اتّبعها رسول الله ﷺ.

أبو أحمد: المهمّ هو الرّسم البيانيّ لهذه المرحلة التي رسمتها على اللوح وهي من مميّزات هذه الدّورة التي أرفقت في مذكّرتها الخرائط التي نحتاج إليها في شرح مواقع الغزوات التي حصلت مع رسول الله ﷺ.

صحيح أن هذه الدّورة دامت أسبوعاً كاملًا لكن فيها من العبر

(١) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٥.

والعظات التي يجب أن نتدبّر معانيها لنعرف كيف حاز الصّحابة الكرام بوصف خير القرون قرني. . .

أمّ أحمد: مادّة السّيرة تدرّس في الجامعات الشّرعيّة مادّة في العام الأوّل من سنيّ الدّراسة، تلخّص هذه الدّورة عامًا كاملًا من الدّراسة.

أبو أحمد: المهمّ حاليّاً هو تسليط الضّوء على النّقاظ المهمّة، وأنا متأكّد أنّكم (الأولاد) ستدرسون هذه المادّة بالتّفصيل خلال سنيّ الدّراسة. . .

لذا إن كان لديكم أيّ سؤال، لاتتركوا علامة استفهام بل اسألوا. . .

الجميع: واضح يا والدي الشّرح المبسّط ولن ندخل حاليّاً في التّفاصيل. . . .

أحمد: كما قلت يا والدي سيدرسون هذه المادّة بالتّفصيل الممتع وسيكون هناك إجابات عن أيّ سؤال.

أبو أحمد: إذن سأعود لشرح ترتيب السّور التي تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة ، وسمّيت مدنيّة لأنّها تنزّلت بعد الهجرة. . . .

تحدّثنا عن سورة البقرة متى تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ وتحدّثنا عن التّشريعات والأحكام التي تنزّلت على الصّحابة الكرام لتنظيم بناء هذه الدّولة. . .

أمّا السّورة الثّانية التي تنزّلت فكانت سورة الأنفال، وهذه السّورة شملت ما حدث في غزوة بدر، حيث بيّن الله عزَّ وجلَّ بعض التّقصيرات الأخلاقيّة التي كانت قد بقيت فيهم، وفي صدر بعض منهم؛ ليسعوا في تحلية نفوسهم بأرفع مراتب الكمال، وفي تزكيتها عن هذه التّقصيرات.

ثمّ ثَنَّى بما كان في هذا الفتح من تأييد الله وعونه ونصره بالغيب للمسلمين. ذكر لهم ذلك لئلّا يغترّوا بشجاعتهم وبسالتهم، فتتسوّر نفوسهم الغطرسة والكبرياء، بل ليتوكّلوا على الله، ويطيعوه ويطيعوا رسول الله ﷺ، ثمّ بيّن لهم الأهداف والأغراض النّبيلة التي خاض الرّسول ﷺ لأجلها المعركة الدّامية الرّهيبة، ودلّهم على الصّفات والأخلاق التي تتسبّب في الفتوح في المعارك.

ثمّ خاطب المشركين والمنافقين واليهود وأسارى المعركة، ووعظهم موعظة بليغة، تهديهم إلى الاستسلام للحقّ والالتزام به.

ثمّ خاطب المسلمين حول موضوع الغنائم وقنّن لهم مبادئ وأسّس هذه المسألة.

ثمّ بيّن وشرع لهم من قوانين الحرب والسّلم ما كانت الحاجة تمسّ إليها بعد دخول الدّعوة الإسلاميّة في هذه المرحلة، حتّى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهليّة، ويتفوّق المسلمون في الأخلاق والقيم والمثل، ويتأكّد للدّنيا أنّ الإسلام ليس مجرّد وجهة نظر، بل هو دين يثقّف أهله عمليّاً على الأسس والمبادئ التي يدعو إليها.

ثمّ قرّر بنوداً من قوانين الدّولة الإسلاميّة التي تقيّم الفرق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها، والذين يسكنون خارجها[1].

أمّا ثالث السّور فكانت سورة آل عمران ونزل القرآن فيها يلقي ضوءاً على جميع المراحل المهمّة في هذه المعركة (معركة أحد) مرحلة مرحلة، وصرّح بالأسباب التي أدّت إلى الخسارة الفادحة ومنها عدم طاعة القائد وأبدى النّواحي الضّعيفة التي لم تزل موجودة في طوائف أهل الإيمان

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

بالنّسبة إلى واجبهم في مثل هذه المواقف الحاسمة، وبالنّسبة إلى الأهداف النّبيلة السّامية التي أنشئت للحصول عليها من قبل هذه الأمّة، والتي تمتاز عن غيرها بكونها خير أمّة أخرجت للنّاس.

كما تحدّث القرآن عن موقف المنافقين، ففضحهم وأبدى ما كان في باطنهم من العداوة لله ولرسوله، مع إزالة الشّبهات والوساوس التي كانت تختلج قلوب ضعفاء المسلمين، والتي كان يثيرها هؤلاء المنافقون وإخوانهم اليهود ـ أصحاب الدّسّ والمؤامرة ـ وقد أشار إلى الحكم والغايات المحمودة التي تمخّضت عنها هذه المعركة ومنها تمييز المؤمنين الصادقين من المسلمين المنافقين المندسين من قبل اليهود.

نزلت حول موضوع المعركة ستّون آية من سورة آل عمران تبتدئ بذكر أوّل مرحلة من مراحل المعركة من الآية ١٢١ إلى الآية ١٧٩[١].

والسورة الرّابعة التي نزلت سورة الأحزاب، وفيها أنزل الله تعالى الحديث عن غزوة الأحزاب وبني قريظة، وذكر فيها أهمّ جزئيّات الواقعة، وبين حال المؤمنين والمنافقين، ثمّ أبرز للمؤمنين تخذيل الأحزاب ونتائج الغدر من أهل الكتاب[٢].

ومن سمات هذه المرحلة خروج المسلمين بعد غزوة الأحزاب قوّة مرهوبة في الجزيرة العربيّة تستعصي على الإزالة وانتقلت الحركة الجهاديّة إلى الأخذ بالمبادرة بعد أن كانت دفاعيّة عمومًا.

وأيضاً بيّنت الآيات نشوء ظاهرة النّفاق، وما لها من آثار سيّئة في المجتمع المسلم، وكانت سياسة النّبيّ ﷺ ترك الدّخول معهم في صراع عمليّ إلّا التّحذير الإعلاميّ، وذلك لعدم فتح المجال أمام صراعات داخليّة تؤثّر على مواجهة العدوّ الخارجيّ.

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٣٠١.

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٣٣٠.

وتحسّن الوضع الاقتصاديّ نسبيّاً بعد غزوة بني نضير، وشرّعت الكثير من الأحكام الاجتماعيّة، وبدأ المجتمع الإسلاميّ يقترب من نواحٍ كثيرة من النّموذج الإسلاميّ المنشود[1].

يتابع أبو أحمد السّرد فيقول: وصلنا إلى المفصل الثّاني كما قلنا المفصل الأوّل هو هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنوّرة... أمّا المفصل الثّاني: هو صلح الحديبيّة: انتهت السّنة الخامسة بإثبات الكيان الإسلاميّ النّاشئ نفسه، كما أثبت أنّه ليس من الممكن إزالته، لذا كان لا بدّ من استثمار هذا التّفوّق والاستفادة من هزيمة التّحالف المشرك في غزوة الأحزاب، وتجلّى هذا الاستثمار في أمرين:

١ ـ تصعيد الغزوات والسّرايا الصّغيرة في القبائل المحيطة.

٢ ـ إعلان النّبيّ ﷺ عن نيّته الذّهاب إلى مكّة لأداء مناسك العمرة مع صحابته في ضوء رؤيا رآها عليه الصّلاة والسّلام.

فشعار العمرة لا يستطيع رفضه أحد، وبذلك دخلت قريش بإحراج سياسيّ وعسكريّ، إذ لا تجتمع القبائل مع قريش «عُمَّار» الكعبة...

ففي ذي القعدة سنة ٦هـ، خرج النّبيّ ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من الصّحابة إلى مكّة يريدون العمرة، فرفضت قريش دخول النّبيّ ﷺ مكّة، وتمّ الاتّفاق على صلح سمّي «صلح الحديبيّة» من أهم بنوده:

١ ـ وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات، يأمن فيها النّاس ويكفّ بعضهم عن بعض.

---

(١) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٦.

٢ ـ من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليه ردّه الرسول عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمّد ﷺ لم يردّوه عليه.

٣ ـ من أحبّ من القبائل أن يدخل في عقد النّبيّ ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فدخلت خزاعة في عهد النّبيّ ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش).

٤ ـ يرجع النّبيّ ﷺ والصّحابة من غير عمرة هذا العام، ويعتمرون في السّنة المقبلة.

ومن مفصليّة «صلح الحديبيّة» نلاحظ الأمور التّالية:

١ـ وجود حالة توازن استراتيجيّ بين المسلمين والمشركين، وهي مرحلة خطرة ، إمّا أن تفضي إلى أن تقضي القوّة الجديدة على القديمة، أو تستعيد القديمة المبادرة لإجهاض إنجازات القوّة الجديدة.

٢ ـ كسب بعض القبائل إلى جانب المسلمين كتحالف معترف به.

٣ ـ اعتراف قريش بالمسلمين في مستوى النّدّ لها، وهو ما كانت قريش ترفضه بشدّة.

٤ ـ مدّة السّلم أتاحت للمسلمين حرّيّة الحركة الدّعويّة لذا قال الإمام الزّهريّ[1].

(فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنّما كان القتال حيث التقى النّاس، فلمّا كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأَمِنَ النّاس بعضهم

(١) التابعي ابن شهاب الزهري، ولد سنة ثمان وخمسين بعد الهجرة، وتوفي في شهر رمضان سنى ١٢٤هـ، روى عن كبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وروى عنه خلق لا يحصون، قال أحمد بن حنبل: أصح الأسانيد الزهري عن سالم بن عبدالله عن أبيه.

بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلَّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلّا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر)[1].

وفي هذه المرحلة إلى انتهاء العشر سنوات الهجريّة تنزّلت سورة الممتحنة وكانت خامس سورة حسب النّزول، وبعدها النّساء والزّلزلة والحديد ومحمّد والرّعد والرّحمن والإنسان والطّلاق والبيّنة والحشر والنّصر والنّور والحجّ والمنافقون والمجادلة والحجرات والتّحريم والصّفّ والجمعة والتّغابن والفتح والتّوبة والمائدة.

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً أبا أحمد. . . .

وما رأيك نتوقّف هنا ونكمل غداً بإذن الله تعالى؟

وافق الجميع والسّرور بادٍ على وجوههم بسبب ما آل إليه صلح الحديبيّة إلى نصر المسلمين، ثم قاموا وهم يصلّون على النّبيّ ﷺ.

وفي اليوم التّالي كالمعتاد أنهت الأسرة أشغالها وأمّ أحمد جهّزت قالب الحلوى الشّهي بالجوز والسّكّر والقرفة وجهّز أحمد أكواب العصير الطّازج. . .

أمّا جميل وسامي فمهمّتهما هي صفاء والانتباه على حركاتها خوفاً من أن تؤذي نفسها فهي في هذه المرحلة تحبّ الاطّلاع على كلّ شيء خاصّة ما يتعلّق بالكهرباء. . . .

وهكذا كان استعدّت الأسرة مساءاً بعدما جهّزوا المكان كالمعتاد مع ترك صفاء تلهو وحدها مع ألعابها حتّى يحين موعد نومها.

قال أحمد: وصلنا إلى مرحلة جديدة من مراحل الهجرة وهو طور

---

(١) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٧.

جديد، ألا وهو صلح الحديبيّة، كان بداية خير للمسلمين، فقد كانت قريش أقوى قوّة وأعندها وألدّها في عداء الإسلام، وبانسحابها عن ميدان الحرب إلى رحاب الأمن والسّلام انكسر أقوى جناح من أجنحة الأحزاب الثّلاثة ـ قريش وغطفان واليهود ـ ولمّا كانت قريش ممثّلة للوثنيّة، وزعيمتهم في ربوع جزيرة العرب انخفضت حدّة مشاعر الوثنيّين، وانهارت نزعاتها العدائيّة إلى حدّ كبير، ولذلك لا نرى لغطفان استفزازاً كبيراً بعد هذه الهدنة وجلّ ما جاء منهم إنّما جاء من قبل إغراء اليهود.

أمّا اليهود فكانوا قد جعلوا خيبر بعد جلائهم عن يثرب وكراً للدّسّ والتّآمر وكانت شياطينهم تبيض هناك وتفرخ، وتؤجّج نار الفتنة، وتغري الأعراب الضاربة حول المدينة، وتبيت للقضاء على النّبيّ ﷺ والمسلمين، أو لإلحاق الخسائر الفادحة بهم، ولذلك كان أوّل إقدام حاسم من النّبيّ ﷺ بعد هذا الصّلح هو شنّ الحرب الفاصلة على هذا الوكر.

ثمّ إنّ هذه المرحلة التي بدأت بعد الصّلح أعطت المسلمين فرصة كبيرة لنشر الدّعوة الإسلاميّة وإبلاغها، وقد تضاعف نشاط المسلمين في هذا المجال، وبرز نشاطهم في هذا الوجه على نشاطهم العسكريّ، ولذلك قسمت هذه المرحلة إلى قسمين:

١ ـ النّشاط في مجال الدّعوة، أو مكاتبة الملوك والأمراء.

٢ ـ النّشاط العسكريّ[1].

وقبل أن نتابع النّشاط العسكريّ تفضّل والدي وادلُ بدلوك في منهجيّة ومفاهيم هذه المرحلة.

أبو أحمد: هذا الدّور؛ هو دور التّمكين والفتح من السّنة السّادسة للهجرة إلى السّنة الحادية عشرة للهجرة (٦ ـ ١١هـ).

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٣٥٧.

كان صلح الحديبية مفصلاً لدور جديد، هو الدّور الثّالث: دور التّمكين والفتح، حيث تحقّق في هذا الدّور ثلاثة أهداف مهمّة:

١ ـ تحقيق الغلبة وانتشار الإسلام وسيادته في الجزيرة العربيّة.

٢ ـ إتمام التّشريعات والنّظم.

٣ ـ البدء بانطلاق الدّعوة خارج الجزيرة العربيّة.

ويمكن تقسيم المراحل في هذا الدّور إلى مرحلتين:

١ ـ المرحلة الأولى: الغلبة والانتشار (٦ ـ ٩هـ).

٢ ـ المرحلة الثّانية: إكمال التّشريع وبدء الانطلاق للخارج[١].

وقبل أن أكمل فقط أردت تسليط الضّوء على معنى التّشريع حتّى تصل فكرة (إكمال التّشريع).

في معجم لسان العرب[٢]:

الشّريعة والشّراع والمشرعة: المواضع التي تنحدر المادة منها، وفي كلام العرب: مشرعة الماء وهي مورد الشّاربة التي يشرعها النّاس فيشربون منها ويستقون.

أمّا تعريف الشريعة بأنّها: «ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام، التي جاء بها نبيّ من الأنبياء ـ صلّى الله عليهم وعلى نبيّنا وسلم ـ سواء كانت متعلّقة بكيفيّة عمل، وتسمّى فرعيّة وعمليّة، ودوّن لها علم الفقه، أو بكيفيّة الاعتقاد وتسمى أصليّة واعتقاديّة[٣].

---

(١) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم ـ، دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٨، ص١٧٥.

(٣) العتيبي، سعد بن مطر، مصطلح (التشريع) ومشتقاته في الاستعمال الحقوقي، شبكة الألوكة، ص٢٢.

ولنلخّص المعنى في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن: «الشّرع: نهج الطّريق الواضح، يقال شرعت له طريقاً، والشّرع: مصدرٌ، ثمّ جعل اسماً للطّريق النّهج فقيل له: شِرْعٌ، وشَرْعٌ، وشريعة، واستعير ذلك للطريقة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ قال بعضهم: سميت الشّريعة شريعة تشبيهاً بشريعة الماء، من حيث إنّ من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة رَوِيَ وتطهّر»[1].

المهمّ أن الشّرعة: الدِّين، والمنهاج والطّريق، لجميع الرّسل والأنبياء من لدن آدم عليه السّلام إلى خاتم النّبيّين محمّد ﷺ، فهو صراط دينيّ واحد اصطفاه الله عزَّ وجلَّ لعباده صراطًا مستقيمًا واحدًا، لا تعدّد فيه، وهو الدّين والمنهج الذي بيّنه الله عزَّ وجلَّ لآدم عليه السّلام ولسائر النّبيّين والمرسلين من ذرّيّتهم.

ونظراً إلى وحدة الصّراط جعل الله أتباع جميع الرّسل أمّة واحدة تتلاحق مواكبها بقيادة المرسلين، حتّى خاتمة الرّسالات الرّبّانيّة التي جعل الله قائدها محمّداً ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٤].

هل وضح المفهوم الذي أريد شرحه؟

أحمد: فقط حتّى أسهّل على سامي!!

شرح والديّ سابقاً معنى الدّين وحتّى لا أدخل في التّفاصيل يعني أنّ

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): مادة شرع، ص٤٥٠، ط١، ١٤١٢هـ، ت.صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت.

الدّين هو نظام الحياة الكامل الشّامل لجميع نواحيها، أي هذا النّظام بما فيه من طاعة الله عزَّ وجلَّ وطاعة رسول الله ﷺ فيما أمر ونهى، أي علينا أن نتّبع هذا المنهج الرّبّانيّ الذي أمرنا الله عليه....

سامي: كفى أخي أحمد شرحاً... لقد كبرت ويمكنني فهم هذه المعاني وأعرف ما معنى الشّريعة والمنهاج أي كلّ ما قال تعالى عنه أن نفعله فهو حلال وكلّ ما أمرنا أن نتجنّبه فهو حرام...

فالله عزَّ وجلَّ من لدن نوح عليه السّلام بيّن لنا هذا المنهج من حلال وحرام... وعلينا طاعة الله عزَّ وجلَّ فيما أمر ونهى.

أبو أحمد: بارك الله بك سامي... الحمد لله وصلت الفكرة التي أريد أن أوصلها. الدّين هو القانون والحدود والشّرع الذي يجب أن يتقيّد به الإنسان... هو دين الله عزَّ وجلَّ... هو شرع الله عزَّ وجلَّ... هو الصّراط المستقيم... يجب أن يكون أمر الله عزَّ وجلَّ هو المتّبع في جميع أمور حياتنا...

إذن أكمل الشّرح...

أمّا المرحلة الأولى فالغلبة والانتشار (٦ ـ ٩هـ) بعد صلح الحديبيّة أمِنَ المسلمون جانب قريش، وانصرف النّبيّ ﷺ مباشرة إلى أمرين مهمّين:

١ ـ تقوية الدّعوة في الجزيرة العربيّة عبر السّرايا والبعوث الدّعويّة إلى القبائل، كما بدأت الرّسائل ترسل خارج الجزيرة العربيّة إلى الملوك وأمراء العالم، فبعث الرسول ﷺ برسائل دعويّة إلى: المقوقس ملك مصر، وكسرى ملك فارس، وقيصر ملك الرّوم، والمنذر بن ساوى ملك البحرين، وهوذة بن عليّ صاحب اليمامة، والحارث ابن أبي شمّر صاحب دمشق... (هذه الرّسائل لم تكن في وقت واحد بل كانت بين السّنة السّادسة والتّاسعة).

٢ ـ تصفية التّجمّع العسكريّ المعادي الأقوى في الجزيرة: يهود خيبر، الذين كان لهم أدوار في الكيد للدّعوة، خاصّة وأنّهم حلفاء القوّة الثّالثة في الجزيرة: قبائل غطفان.

ففي محرَّم سنة ٧هـ خرج المسلمون في ١٦٠٠ مقاتل إلى خيبر، وتمّ فتحها بعد أن استسلم أهلها، وقد كانت قريش حبست أنفاسها لتعلم نتيجة المعركة، لأنّها تؤثّر مباشرة على قوة المسلمين[١]، كما قلنا سابقاً، وتحدّثنا عن صفات اليهود، بما أنّهم هاجروا إلى يثرب ومكثوا حولها، وتمكّنوا من إقامة كيان قويّ، صار يتقوّى ويشتدّ ويترسّخ على حساب القبائل العربيّة، وأن تلك القبائل تعاملت مع اليهود بسذاجة وجهالة، فكانت معرضاً لأعمالهم وميداناً لإفسادهم.

فقد كان اليهود وحلفاؤهم حريصين على إضعاف المسلمين، كما حاولوا سابقاً إضعاف القبائل العربيّة، وذلك حينما كانوا يعملون على استمرار الحروب بين الأوس والخزرج... والأهم من ذلك كانوا يتحكّمون في الحالة الاقتصاديّة فالسّلع والبضائع بيد اليهود، وهم أوّل من تعاملوا بالرّبا وكانت أموال العرب بيدهم، فقد سحبوا أموالهم، وقتلوا اقتصادهم، وجعلوهم دوماً تبعاً لهم... حتّى أسواق الذّهب والفضّة والحليّ والزّينة صارت بيد اليهود في مناطق سكنهم والعرب مجرّد مشترين منهم ومستهلكين لبضائعهم.

حتّى الأراضي الزّراعيّة الجيّدة كانت بيد اليهود، والحدائق والبساتين وكروم النّخل وآبار الماء معظمها يملكها اليهود، ويشغلّون فيها العرب أجراء وعمالاً.

وتحكّموا في المنطقة تحكّماً علميّاً وثقافيّاً، حيث فرضوا وصاية يهوديّة على القبائل العربيّة.

---

(١) أبو صلاح، دورة السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم ـ دار اقرأ، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٨.

كانوا يتّهمون العرب بالجهل والجهالة والأمّيّة، ويظهرون على أنّهم أهل كتاب وحملة العلم[1]....

من أجل ذلك كان يجب تصفيتهم....

من أجل ذلك كان يجب محاربتهم وتطهير شبه الجزيرة العربيّة من رجسهم وإفسادهم...

وقد أدّى فتح خيبر إلى انتعاش ملموس للاقتصاد الإسلاميّ.

وبعد خيبر مباشرة وصل المدينة من الحبشة المهاجرون الأول من المسلمين بعد غياب فاق الـ ١٢ سنة.

وفي ذي القعدة من سنة ٧هـ دخل النّبيّ ﷺ والصّحابة مكّة معتمرين على مقتضى بنود صلح الحديبيّة.

وفي جمادى الأوّل ٨هـ أرسل النّبيّ ﷺ الحارث بن عمير إلى أمير بصرى (من قبل الرّوم) يدعوهم للإسلام فقتلوه، فجهّز الرّسول ﷺ جيشاً من ٣ آلاف مقاتل اتّجه شمالاً، ففوجئ المسلمون بخروج الرّوم في ١٠٠ ألف مقاتل، واستطاع عن طريق خداع العدو من الانسحاب، وكان هذا الاحتكام العسكريّ الخارجيّ الأوّل.

وفي شعبان ٨هـ اعتدى بنو بكر (من حلف قريش) على بني خزاعة (من حلف المسلمين) ناقضين بذلك صلح الحديبيّة خاصّة وأنّ قريشاً دعمت بني بكر.

ولمّا علم النّبيّ ﷺ خرج في ١٠ آلاف مقاتل في رمضان ٨هـ، ودخل مكّة فاتحاً فلم تستطع قريش المقاومة بعد أن تغيّر ميزان القوى في الجزيرة لصالح المسلمين بسبب التّحالفات التي أقامها الرّسول ﷺ مع القبائل وبسبب إسلام عدد كبير من هذه القبائل في مدّة الهدنة.

---

(١) الخالدي، صلاح، الشخصية اليهودية، ص٣٣٣ ـ ٣٣٦ بتصرف.

أمَّن النّبيّ ﷺ القريشيّين ولم يحصل أي انتقام أو إيذاء فأسلم بعضهم وبقي البعض الآخر على كفره.

كما حطَّم النّبيّ ﷺ الأصنام من حول الكعبة ورفع فيها نداء التّوحيد.

ذهل العرب لهزيمة قريش وانهيارها، فخرجت قبائل هوازن وثقيف لقتال المسلمين والتقى معهم المسلمون في حنين حيث هزم هذا التّجمّع.

وأرسل الرّسول ﷺ سراياه لتحطيم الأصنام والقضاء على الوثنيّة في الجزيرة العربيّة، وبذلك خضعت الجزيرة العربيّة للإسلام[1].

الأولاد: الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً.

أمّ أحمد: لا فضّ فوك أبا أحمد جزاك الله خيراً بقي لنا القليل قبل الانتهاء من معرفة سيرة رسول الله ﷺ.

أبو أحمد: نعم سنذكر حركة التّشريع في هذه السّنوات، في السّنة السّادسة للهجرة: أحكام الصّلح والهدنة، والصّيد، تحريم الخمر، والظّهار [حكم الظّهار فيمن قال: أنت عليّ كظهر أمّي].

وفي السّنة السّابعة للهجرة: حدّ الحرابة، والمزارعة، أمّا سمات هذه المرحلة فهي:

١ ـ طلب النّبيّ ﷺ من مهاجري الحبشة القدوم إلى المدينة، علامة على استتباب الأمر للمسلمين في الجزيرة العربيّة، فلم يبق هناك حاجة لبقائهم هناك.

٢ ـ إنّ التّوازن الاستراتيجيّ في القوى الذي حصل في صلح

(١) أبو صلاح، السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، ص١٨ ـ ١٩.

الحديبيّة مال لصالح المسلمين بعد خيبر، وبالتّالي أصبح المسلمون في حالة القوة وقريش في حالة الضّعف.

٣ ـ هزيمة قريش ـ القوة العظمى في الجزيرة ـ أدّى إلى دخول النّاس في دين الله أفواجاً.

٤ ـ بدأت العالميّة في الرّسالة تأخذ بعدها، فمع أنّ الرّسالة عالميّة من اليوم الأوّل، إلّا أنّ النّبيّ ﷺ بدأ بمراسلة الملوك والقوى العالميّة بعد الحديبيّة لمّا استتب الأمر له في الجزيرة العربيّة.

٥ ـ استعمال القوّة والنّصر في الخير والدّعوة، لا في الزّهوّ والانتقام.

٦ ـ توسّع رقعة الدّولة في المدينة إلى الجزيرة العربيّة، فاحتاج ذلك إلى إدارة مختلفة تجلّت بتعيين المصدّقين والأمراء وغير ذلك[١].

أمّ أحمد: جزاك الله خيراً أبا أحمد التّحدّث عن السّيرة من غير تفصيل هو المهمّ لمعرفة المفاصل التي قويت بها شوكة المسلمين، والأهمّ التّدرّج في التّشريع والأحكام ليتمكّن المؤمنون من تطبيقها على أرض الواقع. . . .

أحمد: لأجل ذلك هو خاتم النّبيّين والمرسلين والدّين الخاتم للنّاس أجمعين.

أمّ أحمد: نتوقّف هنا اليوم ونكمل غداً بإذن الله. . . وستكون خاتمة السّيرة بإذن الله تعالى، لذا سأجهّز المأكولات الطّيّبة لنحتفل سويّاً بما أنجزناه خلال هذه السّنوات، وأيضاً هناك مفاجأة وسأتركها ليوم غد بإذن الله.

---

(١) أبو صلاح، السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم، ص١٨ ـ ١٩.

في اليوم التّالي وبعد انتهاء أمّ أحمد من واجباتها مع صفاء تركتها مع إخوتها سامي وجميل. . . .

أمّا أحمد فقد أصرّ على مساعدة والدته في تحضير المأكولات الشّهيّة وكان من نصيبه تحضير سلطة الفواكه الشّهيّة، لأنّها بحاجة إلى تقطيع الفواكه قطعاً صغيرة. . . .

وهكذا بفضل الله تعالى ومنّه وكرمه أنهت أمّ أحمد تجهيز المأكولات الشّهيّة الطّيّبة مع تفقّد صفاء بين الحين والحين. . . .

وغافلت الجميع لتزيين غرفة الجلوس تجهيزاً للمفاجأة التي وعدت الجميع بها، وساعدها أبو أحمد بحيث لم يشعر الأولاد بذلك وكانت صفاء سبباً لذلك.

استعدّ الجميع على مائدة الطّعام، وهنا قالت أمّ أحمد قبل أن نبدأ بالطّعام الشّهي علينا أن نكمل السيرة ونحتفل بعدها فما رأيكم بأن نجلس بالحديقة اليوم؟؟

تمتم الأولاد وهم يقولون لأنفسهم ما هي المفاجأة يا ترى؟!!

جلس الجميع وبدأ أبو أحمد بالكلام بعد حمد الله تعالى وشكره ومنّه على ما أنعم عليهم من هذه النّعم. . . .

قال: وصلنا ولله الحمد في ذلك إلى المرحلة الأخيرة وهي المرحلة الثّانية من مرحلة التّمكين فقد ذكرنا المرحلة الأولى بجميع بنودها. . . .

وها نحن اليوم نتحدث عن المرحلة الثّانية ألا وهي: إتمام التّشريع وبدء الانطلاق (٩ ـ ١١هـ).

لقد أصبحت الآن السّيادة والانتشار في الجزيرة العربيّة للإسلام، وبدأت الوفود من القبائل تأتي المدينة المنوّرة تعلن للنّبيّ ﷺ إسلامها، حتّى سمّي العام التّاسع بعام الوفود، حيث وفد أكثر من ٦٠ وفداً من

القبائل يعلنون إسلامهم (بين سنة ٨ ـ ١٠هـ) ففي رجب سنة ٩هـ وصلت أخبار إلى المدينة عن استعداد الرّوم لغزو المسلمين بعد أن ترامت إليهم أنباء انتشار الإسلام، وهذا يشكّل أوّل تحدٍّ خارجيّ للجزيرة، فحشد الرّوم ٤٠ ألف مقاتل، فخرج إليهم المسلمون في ٣٠ ألف مقاتل، ولمّا وصل المسلمون إلى تبوك تراجع الرّوم وتركوا المواجهة، فكان هذا أوّل انتصار خارجيّ عزّز قوّة المسلمين في الدّاخل وأدخلهم في ميدان الصّراع العالميّ آنذاك.

ومن الجدير بالذّكر أنّ هذه الغزوات كانت بالتّنسيق بين الرّوم وأبي عامر الفاسق ومعه المنافقين في المدينة، فقد أقام المنافقون مسجداً قبل الغزوة لتجميع قواهم والكيد للمسلمين، وطلبوا من النّبيّ ﷺ الصّلاة فيه لإضفاء الشّرعيّة عليه. إلّا أنّ النّبيّ ﷺ استمهلهم حتّى يعود من تبوك، ولمّا عاد ﷺ أمره الله تعالى بهدم المسجد الضّرار، ونزلت الآيات تفضح المنافقين وتضع حدّاً بعد سنوات طويلة من الصّبر عليهم ـ لمكائدهم.

وفي ذي القعدة سنة ٩هـ، بعث النّبيّ ﷺ أبا بكر الصّدّيق أميراً على الحجّ في مكّة وأن يعلن للنّاس أمرين:

١ ـ أن لا يطوف بعد هذا العام مشرك ولا يطوف عريان (إذ أنّ المشركين حتّى السّنة التّاسعة ورغم فتح مكّة كانوا لا يزالون يحجّون البيت ويطوفون عراة).

٢ ـ إعادة ترتيب العلاقة بين المسلمين وغيرهم على النّحو التّالي:

أ ـ الذين نقضوا العهود فالعلاقة علاقة حرب وقتال.

ب ـ الذين لديهم عهود مؤقّتة ولم ينقضوها، فيقيم العهد إلى مدته.

ج ـ الذين لم يكن لهم عهد ولم يحاربوا الإسلام أو كان لهم عهد مطلق، فيعطون مدّة أربعة أشهر؛ فلا يدخلون مكّة بعدها إلّا مسلمين.

وفي سنة ١٠هـ أعلن النّبيّ ﷺ أنّه قاصد الحجّ هذا العام، ودخل

النّبيّ ﷺ مكّة في ذي الحجّة وحجّ حجّة الوداع، وخطب فيها خطبة مهمّة بيّنت معالم الإسلام وما أحدث من تغيير بعد **٢٣** سنة من الدّعوة والجهاد، وعند وقوف النّبيّ ﷺ بعرفة نزل قول الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ثمّ عاد بعد ذلك إلى المدينة.

وفي صفرسنة **١١**هـ أخذ النّبيّ يجهّز بعثاً إلى الرّوم أمَّر عليه أسامة بن زيد رضي الله عنه، إلّا أنّ النّبيّ ﷺ توفّي يوم الاثنين **١٢**ربيع الأوّل سنة **١١**هـ، وقد تمّ له من العمر **٦٣**سنة وأربعة أيّام ـ حسب اختلاف يوم ميلاده[1] ـ.

الجميع: صلّى الله عليه وسلّم مع السّكوت قليلاً....

أبو أحمد: لو توقّفنا فقط لعام وفاة النّبيّ ﷺ لما انتهينا أبداً... ولكنّها سنّة الحياة.

أمّا حركة التّشريع:

سنة **٩**هـ: اللعان، وصلاة الجنازة بأربع تكبيرات.

سنة **١٠**هـ: صلاة الكسوف، نزول تحريم الرّبا في القرآن الكريم.

أمّا من سمات هذه المرحلة فـ:

١ ـ أصبحت الاستجابة ـ بعد الفتح ـ للإسلام جماعيّة (وفود) بعد أن كانت فردية، وهذا من مفاعيل انتصار الدّعوة.

٢ ـ بدء الانطلاق خارج الجزيرة العربيّة وانتقال الصّراع من داخل الجزيرة إلى خارجها (غزوة تبوك وبعث أسامة).

٣ ـ وصلت الحركة النّبويّة إلى مرحلة النّضج بإتمام أصول ومبادئ الشّريعة وإكمال الدّين كأوامر ونظم.

---

(١) أبو صلاح، السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم ـ، ص٢٠.

٤ ـ إعلان منع المشركين من الحجّ وإعادة ترتيب العلاقة مع الكفّار، إيذانًا بانتهاء الشّرك في الجزيرة العربيّة بعد صراع دام ٢٣ سنة.

٥ ـ صهر المسلمين القدامى والجدد في الجزيرة العربيّة بموسم الحجّ في حجّة الوداع من خلال توجيه تربويّ ومعايشة جماعيّة[١].

الجميع اللهمَّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد...

كبّروا وهلّلوا وسبّحوا الله على ما هداهم للإيمان الجازم بالرّسل صلوات ربّي عليهم أجمعين مع الحمد والشّكر لله عزَّ وجلَّ على ما أنعم وأكرم عليهم بهذه المجالس التي تدارسوا فيها أركان الإيمان بالله عزَّ وجلَّ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره....

هنا قالت أمّ أحمد: الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات. لذا يا رب تمّم علينا بخير فقالت بفضل الله تعالى ومنّه وكرمه أتمّ أحمد حفظ القرآن الكريم فقد أتّمّ تسميع الجزء الأخير هذا الأسبوع وتركت لكم هذه المفاجأة لليوم لذا فلندخل الآن إلى غرفة الجلوس....

انتقلوا إلى غرفة الجلوس وهناك كانت المفاجأة ألا وهي تزيين الغرفة والأهمّ هناك الهدايا من والديه وتقبيله وضمّه والدّعاء له ولذرّيّته والدّعاء لجميل وسامي وتشجيعهما لإنهاء حفظ القرآن الكريم.

قالت أمّ أحمد: لقد ذكرت جدّيكما في هذه اللحظات لذلك سيكون معنا عبر التّواصل الاجتماعيّ لكي يفرحا بحفيدهما أحمد والدّعاء له ولذرّيّته....

جلس الجميع إلى المائدة لتناول ما لذّ وطاب من الطّعام الشّهيّ الذي أعدّته أمّ أحمد مع ابنها أحمد وكم كانت فرحة الجميع بالتّحدّث مع جدّيهما عبر الاتّصال بواسطة الفيديو يشاركوهم فرحتهم....

---

(١) أبو صلاح، السيرة النبوية ـ منهجية ومفاهيم ـ، ص٢١.

أوّلاً : لإنهاء سرد قصص الأنبياء، وسيرة رسول الله ﷺ.

وثانياً : لإنهاء أحمد حفظ القرآن الكريم مع الجزريّة لكي يحصل على إجازة من حفص عن عاصم وقد جلب الإجازة محاطة بالإطار ليعلّقها على حائط في غرفة الجلوس. . . .

قال أبو أحمد: وفي الختام لا يحلو الكلام إلّا بذكر الله عزَّ وجلَّ وحمده وشكره، والصلاة على سيّدنا محمّد ﷺ دوماً، والتّأسّي بأخلاقه الكريمة فشريعته باقية إلى قيام السّاعة فندعو الله عزَّ وجلَّ «اللهمَّ إنّي أسالك الثّبات في الأمر، والعزيمة على الرّشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنّك أنت علّام الغيوب».

قام الجميع وقبّلوا الوالدين وسامي وجميل قبّلا أحمد وهم بين الفرح والسّرور لما أنعم الله عليهم من نِعم لا تعدّ ولا تحصى. . . .

الخاتمة

وهكذا وبعد أن مررنا سريعاً على السيرة العطرة للرسول محمّد ﷺ والتي كانت ختاماً رائعاً لسلسلتنا من قَصص الأنبياء عليهم السّلام، جفّ حبر قلمي عن كتابة أيّ شيء أختم به، فلم أجد سبيلاً للختام سوى مقالة كتبت لتبيّن المجهود المبذول مع هذه السلسلة منذ البداية وحتّى الختام بسيرة رسول الله ﷺ. مقال بعنوان:

وأصبح حلم القَصص واقعاً...
إهداءٌ من القلب
بتاريخ ٢٠١٩/٠٧/٠٧م
تحرير:
الصّحافيّ يوسف أكرم سعيد آغا،
مُدير عامّ الوكالة

بعدَ سنواتٍ من العناء نجحت الدّكتورة «**سَيرين لبيب خورسَيد**» بالانتهاء من السّلسلة الدّينيّة الّتي كانت تسعى لايصالها إلى جميع أنحاء العالم لعلّها تُوقظ الأمّة من سباتها العميق، وتُسلّط الضوءَ على القَصص الحقيقيّة للأنبياء (عليهم جميعاً أفضل الصّلاة والتّسليم)، كما وردت في القرآنِ الكريم والسّنّةِ النّبويّة الشّريفة، وسنعرضُ في هذا المقال مجموعةً من المُقابلاتِ مع الجنودِ المجهولين الّذين جاهدوا على مدى سنواتٍ

ليستطيعوا إخراج القَصصِ النّبويّة من الظّلماتِ إلى النّور وموجّهة للأطفال.

وسأبدأُ بسردِ بعض تفاصيل رحلتي مع الدّكتورة خورشيد، ومن ثُمَّ سأنتقلُ إلى المُقابلات الّتي أجريتها مع أولئكَ الجنود المجهولين. فقد بدأت رحلتي مع الدّكتورة «شيرين لبيب خورشيد» في العام **٢٠١٤**م عندما عرّفني عليها صديقي «بلال مرعي» رئيس جمعيّة «**رسالتنا الخيريّة للتّنمية**» قائلاً لي: أنّها تبحث عن وسيلة إعلاميّة لتواكبها إعلاميّاً في توقيع كتاب (حقيقة المهديّ في الشّرائع الثّلاث)، وخلالها تعرّفتُ على رسالتها السّامية الّتي تحاول ايصالها للنّاس لا سيّما وأنّ ما تُقدّمه في كتبها هو تلخيصٌ لدراسات شرعيّة فكتابها «حقيقة المهديّ في الشّرائع الثّلاث» كان رسالة للماجستير الحائزة عليها من كلّيّة «الإمام الأوزاعيّ».

وبعدَ بضعة أشهر توالت أعمالها الإسلاميّة بالصّدور، وكُلّما كانت تقوم بإصدار كتاب جديد كانت تدعوني للقاءٍ لنتّفق على نوعِ التّغطية الإعلاميّة والتّكاليف المطلوبة. وفي أحد اللقاءات حدّثتني أنّ لديها موسوعة إسلاميّة من سبعة أجزاء تعملُ عليها منذُ سنواتٍ مضت بعنوان: (**سلسلة قَصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد**) واجهت العديد من العثرات في حينها، فعرضتُ عليها أن أقوم بمساعدتها من خلال قسم التّسويق في وكالتي الإعلاميّة، وكالة «**أنباء العاصفة العربيّة**»، ثُمَّ قمنا بصناعة فيديو قصير (برومو) بالإضافة لتصميم إعلان نشرَ على بعضِ مواقع التّواصل الاجتماعيّ.

ثُمَّ قمتُ بالعديد من الاتّصالات والزّيارات لأصدقاء لي، ولمؤسّسات صديقة لنستطيع تسويق هذه الرّسالة المُنقّحة من الشّوائب والإسرائيليّات، ولكن صدمتُ بواقع مرير فبعضُ المؤسّسات والأشخاص الّذين لجأت لهم تعاملوا مع الموضوع بكلِّ برود وسُخرية قائلين: (تطرح فكرة مكرّرة) ولم يهتمّوا إلى عبارة (منقّحة من الإسرائيليّات والشّوائب). أمَّا البعضُ الآخر فوافقوا على الشّراء ولكن بثمنٍ أقلّ من تكلفةِ الحبر والورق، ثمنُ لا يصل لربع ثمن التّكلفة تقريباً.

وأبلغت الدّكتورة بالواقع المرير، فقرّرنا أن يكون العمل خالصاً للّه لا ربحَ فيهِ ولا خسارة ولا بيع ـ في حين هذا من حقنا ـ وهكذا كان، فوزّع الجزء الأوّل من موسوعة القَصص هديّة وخدمة للدّين. وما هي إلا أشهر قليلة وهاتفتني الدّكتورة وأعلمتني أنّها تنوي إصدار الجزء الثّاني من السّلسلة وتنتظر أن تصلها بعض التّبرّعات من بعض الأشخاص الّذين يتبرّعون لنشر الرّسالة الإسلاميّة والخدمة الدّينيّة، فسررتُ بالخبر وأجبتها أنّني مستعدّ، وما هي إلا أيّام حتّى هاتفتني الدّكتورة مرّة أخرى وأعلمتني بوصول التّبرّعات، ثُمَّ باشرنا العمل، وانسحب هذا الوضع على جميع الإصدارت، فما كانت تُقدّم النّيّة بالإصدار حتّى ترزق من حيث لا تحتسب، وكانت الوكالة تقوم بالدّعاية والإعلانات والتّغطية الإعلامية اللازمة، ثُمَّ بالتّوزيع على محبّينا ومحبّيها.

وها أنا اليوم أقدّم من خلال هذهِ الكلمات التّحيّة لامرأة أعتبرها في مقام والدتي، إمرأةٌ ناضلت وجاهدت برغم توالي سنوات العمر سريعاً والتّطور التّكنولوجيّ الّذي يتسابق معنا جميعاً لتصلَ إلى ماهي عليهِ الآن من نجاحٍ تلوٍ الآخر. فالعديد من النّاس أصبحَ يُتابعها إمّا من خلال كتبها الموجودة في العديد من الأماكن في لُبنان وخارجهُ وعلى بعض المواقع الالكترونيّة الإسلاميّة، أو من خلال دروسها المصوّرة أو المسجّلة الّتي تضجُّ فيها مواقع التّواصل الاجتماعيّ، فمباركٌ للدّكتورة «**شيرين لبيب خورشيد**» على هذا النّجاح العظيم، وكسرها كلّ الحواجز لإيصال هذهِ الرّسالة السّامية والمنقّحة لأكبر عددٍ من النّاس.

وكان لنا لقاء مع الدّكتورة «***شَيرين لبيب خورشَيد***» الّتي أعدّت هذهِ السّلسلة الجميلة فقالت:

(الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد خاتم النّبيّين والمرسلين، وقدوة للعالمين، صلوات ربّي وسلامي عليه وعلى جميع الأنبياء

والمرسلين، أمّا بعد: بفضل الله تعالى ومنّه وكرمه أنهيت الجزء السّابع والأخير من سلسلة قَصص نبويّة بأسلوبٍ تربويٍّ جديد، الّتي أخذت منّي مجهوداً كبيراً في إعدادها).

وتابعت: (تصفّحتها بعجالة لتذكّرني سنوات مضت سرت فيها بهذا الطّريق أنا والأستاذة آمنة منير عانوتيّ التي وافتها المنيّة في ١٦ ربيع الأوّل ١٤٣٠هـ الموافق ١٣ آذار ٢٠٠٩م، تسع سنوات أنا وهي سعينا جاهداتٍ بين أروقة الجامعات والمعاهد والمكتبات لنجد معلومة صحيحة ترشدنا إلى سواء السّبيل، بين سخرية البعض وبين تشجيع من بعضهم وهم قلّة قليلة، وفي عام ٢٠٠٦م أنهينا مسوّدات القَصص الثّلاثون، وكتبنا الرّسائل إلى جميع الجهات المختصّة ـ وها هي المسوّدات التي سطّرتها وإياها إلى الجميع من غير استثناء ـ أطلعهم فيها على هذا البلاء الذي استيقظت عليه أنا وهي بالنّسبة للقَصَصْ القرآنيّ... أرسلت الرّسائل لمن تصدّروا للدّعوة إلى الله من غير ذكر أسماء لهم؛ ولا أقول سوى: «حسبي الله ونعم الوكيل فيهم»..).

وأضافت: (أرسلت لهم رسائل تخبرهم عن هذا المشروع، واستجاب لها ثلاثة فقط ممّن هم غيورون على أبناء هذه الأمّة... ألا وهم الدّكتور «صلاح الخالديّ» الذي واكبني في تصحيح ١٩ قصّة، والدّكتور «ماجد عرسان الكيلانيّ» رَحِمَهُ اللَّهُ، والدّكتور «خالد الصّمديّ» من المغرب جزاه الله عنّي كلّ خير، وهنا في لبنان الدّكتور «يوسف مرعشليّ» والدّكتور «غسّان سنّو» رَحِمَهُ اللَّهُ، أمّا الأستاذة «عبلة بساط جمعة» فكانت لها الأيادي البيضاء في المشاركة التّربويّة لجميع القَصص جزاها الله عنّي خيراً... هذا كلّه خلال تسعة أعوام وقبل وفاة الأستاذة «آمنة منير عانوتيّ»)...

وأردفت: (كنّا ثلاثة مشتركات في الإعداد والتّأليف والتّصميم... حيث شاركتنا الأستاذة «ندى عيتانيّ» جزاها الله عنّي خيراً في تصميم هندسيّ للقَصص التي لم نعتمد عليها في موسوعتنا الجديدة لثقل التّكلفة للقصّة

الواحدة، وأعود وأكرّر جزاها الله خيراً. ولكن تسعة أعوام ولم تصدر هذه الموسوعة، تسعة أعوام طرقت باب الجميع من غير استثناء. أبحر مشروعي عبر البريد ليصل إلى كلّ من وجدته وقتها ممّن حسبتهم غيورين على معرفة الحقّ... لكن... لا حياة لمن تنادي... ولمَ لا؟ لا أدري وقتها... ولكن بعد عام **٢٠١٣**م وعقب انتهائي من رسالة الماجستير: «**حقيقة المهدي في الشّرائع الثّلاث**» وعرفت الحقيقة المرّة التي تعيشها الأمّة في غفلتها، ونومها في سبات عميق. بدأت في السّير بمنحى آخر، وطريق مستقيم صحيح).

وعن كسرها للحواجز قالت الدّكتورة شيرين: (وفي عام **٢٠١٧**م كانت ولادة القصّة الأولى من هذه السّلسلة الجزء الأوّل، أعدت تصحيحها بنفسي بعدما صحّحها الدّكتور «صلاح الخالديّ»، وقدّ ساعدتني في حينها للجزء الأوّل والثّاني: الأستاذة «هيام عيتاني» ـ الأستاذة «سحر لبّان» ـ والأستاذة «ريما محمّد الغزال»، وبدأت المسير على نور وبصيرة بفضل من الله تعالى واكبني حينها الدّكتور «غسّان سنّو» رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الخطط التّربويّة التي وضعتها وأجازني عليها. وبعد إصابتي بوعكة صحّيّة ساعدتني الأستاذة «فاطمة سعيد الشّبعان»، والأستاذة «نوال محمّد نبعة» مع بقاء الأستاذة «هيام كامل عيتاني خشّوف» في مشروعي هذا بتصحيح وتصويب الأخطاء اللغويّة جزاهنّ عنّي خيراً)...

وتابعت: (مجهود جبّار ساهمن في إخراجه في أبهى حلّة وأروع صورة وأدعو الله أن يتقبله وجعله في صحيفة أعمالهنّ، كما ولا أنسى الجنديّ الخفيّ الأستاذ «فادي أحمد السّيّد» في حُسن خلقه لسعة صدره علينا نحن النّسوة في صفّ هذه السّلسلة مع طباعتها وإخراجها وإصدارها جزاه الله خيراً)...

وأضافت: (وعرضتُ في الجزء السّابع جميع الدّراسات التي تابعناها أنا و«آمنة عانوتي» ـ رحمها اللّه ـ لكي تكون اللبنة الأساسيّة في أهمّيّة

التّربية بالقَصص القرآنيّ حيث تربّى الصّحابة الكرام عليها في مكّة المكرّمة التي دامت ١٣ سنة، وحازوا بعدها خير القرون قرني ثمّ الذي يليه).

وختاماً دعت الله الدكتورة «خورشيد» قائلةً: (أدعو الله عزّ وجلّ أن يتقبّل منّا أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين).

وسنتوقف الآن مع مقابلاتٍ أجريتها مع الجنود المجهولين الّذين عملوا مع الدّكتورة «خورشيد» ليتحقّق حلم القَصص، فالأستاذة: «**هيام كامل عيتانيّ خشّوف**» قالت عن القَصص:

(من المعلوم أنّ أشرف وأغنى ما يقدّمه الباحثون والمؤلّفون في أبحاثهم ومؤلّفاتهم ماكان في خدمة القرآن الكريم، وعلومه الجليلة وقصصه الهادفة. وليس هناك جهد يضاهي جهد العلماء في البحث عن المعرفة الصّادقة الصّحيحة، فإذا هم مشاعل نور وضياء في كلّ زمان ومكان، ولهذا رفع الله قدرهم وأعلى شأنهم بقوله جلّ وعلا في سورة الزّمر: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. ومن المعلومات القرآنيّة التي شغف النّاس بقراءتها وفهمها وإدراك أبعادها التّربويّة: (القَصص القرآنيّ) بما يحتويه من أهداف عقائديّة وخلقيّة وتربويّة).

وتابعت: (وممّن اهتمّ بالقَصص القرآنيّ الدّكتورة شيرين لبيب خورشيد في سلسلة: (قَصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد): التي أبت إلّا أن تكون معلوماتها مستقاة من القرآن الكريم، وسنّة رسول الله ﷺ، وسيرته المشرّفة، فنقّحتها من كلّ ماشابها من يهوديّات (إسرائيليّات) طعنت بالقيم الخلقيّة للأنبياء والرّسل الكرام صلوات ربّي عليهم، وجعلت من هذه القَصص أشبه بالقَصص الخرافيّة البعيدة عن الحقّ والواقع).

وختمت الأستاذة «هيام»: (ولا يخفى على قارئ «سلسلة قَصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد» للدّكتورة «شيرين لبيب خورشيد» ما يتلمّسه من منهج حياة إسلاميّ حقيقيّ يعيشه أفراد أسرة أبي أحمد المكوّنة من والدين

وأبنائهما الأربعة إلى جانب الجدّ والجدّة وبالأسلوب السّهل الممتنع، وبالحوار العائليّ الهادئ الهادف، سكبت الدّكتورة خورشيد أهدافها التّربويّة الإسلاميّة مؤكّدة أنّ قَصص القرآن أوردها الله تعالى لتكون نموذجاً حيّاً للإنسان المؤمن الخلوق المحبّ المتعاون وفّقها الله وأفاد بها وبمعلوماتها أبناء أمّة محمّد ﷺ وأثابها فسيح جنانه على ماقدّمته من مجهود في تقصّي الحقائق والابتعاد عن الخرافات واليهوديّات).

أمَّا الأستاذة: «**فاطمة سعيد السَبعان**» فقالت عن عملها في القَصص:

(للقَصص القُرْآنيّ أهمّيّة كبيرة في التّعرّف على الأمم السّابقة، والصّدام مع الطّغاة والمعارضين، الذين أطلق عليهم القُرْآن أحيانًا الملأ، أو المتكبّرين، والتّعرّف على دعوة الأنبياء وما عانَوْه من شعوبهم في الدّعوة، وما تعرّضوا له من الإيذاء والاضطّهاد، وعندما يستعرض المسلم تاريخ الأنبياء وسيرتهم يتأسّى بهم ويصبر ويعلم أن العُقْبى للمؤمنين، وأنّ الدِّين سينتصر، وتصبح كلمة الله هي العليا، والقَصص القُرْآني يُعدُّ دربة لسلوك طريق الدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومفتاح خير يفتح للمسلم الآفاق على نهاية الطّريق، وقد كان وسيلة تثبيت للنّبيّ ﷺ؛ وهنا أستشهد بقولهٍ تعالى بسورة هود: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾).

وأضافت: (مع هذه الأهمّيّة التي لاتخفى على أحد إلّا أن أيدي العابثين عبثت في ايصال المعنى والهدف الذي أراده الله في كلامه من خلال هذه القَصص حيث امتلأت كتب التّفاسير باليهوديّات التي سردت القّصص على هواها وبما يتناسب مع مصالحها في كلّ فترة زمنيّة وكلّ عصر وأوان).

وعن مُعاناة الدّكتورة «شيرين» في تأليف القَصص قالت الأستاذة: «فاطمة»: (كانت تقرأ وتستغرب ما تجده من سرد لهذه القَصص كان يناقض فطرتها السّليمة فرفضه عقلها وبدأت جولتها الشّاقة المضنية المؤيّدة بتوفيق من الله ﷻ حيث كانت لاحول لها ولاقوّة إلّا أنّها مجدّة ولديها

مايكفي من الصّلابة وقوّة الإرادة في السّعي الحثيث للوصول للحقيقة وحقّاً هداها ربّي ووفّقها لنتاج رائع منقّح ومصفّى من كلّ شائبة تشوبه وخرجت إلى النّور حقّاً سلسلة (قَصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد) للدّكتورة الباحثة عن الحقّ والدّاعية إليه شيرين لبيب خورشيد حيث أخرجت هذا العمل بطريقة سلسة حواريّة رائعة لتصل بمنهج تربويّ مميّز إلى أذهان النّاشئة فيتعلمون منها ما أراده الله لهم بالشّكل السّليم والطّريق القويم).

وختمت كلامها بالدعاء للدّكتورة «خورشيد» قائلة: (فجزاها الله عن الأمّة جمعاء خيراً يظلّلها في الدّنيا والآخرة هي وكلّ من كان عوناً لها لإتمام هذا المشوار المبارك).

والأستاذة «**نوال محمّد نبعة**» قالت عن مشاركتها في هذا العمل: (إنّ تربية النّاشئة على السّلوك القويم، والخلق الفاضل، من أهم ما يواجه الأسرة المسلمة في العصر الحاضر؛ لكثرة المؤثّرات المنحرفة الجارفة، سواء في محاضن التّربية أو الشّارع أو الإعلام بشتّى صنوفه، ولهذا كانت المهمّة مضاعفة على الأبوين؛ لتأمين المناخ السّليم والنّظيف لأبنائهم، ولعلّ خير وسيلة للحفاظ على استقامة الأبناء: غرس القيم الفاضلة في نفوسهم منذ الصّغر، وتحبيبهم بطريق الحقّ والخير، ليسهل عليهم سلوكه والثّبات عليه).

وتابعت: (وإنّ من أهمّ طرق غرس هذه الفضائل والقيم؛ التّربية بالقصّة المشوّقة الهادفة، وهو أسلوب قرآنيّ عظيم، وهدي نبويّ كريم، له تأثير لا يضاهى في نفوس النّاشئة، وترغيبهم في الاستقامة على الهدى الرّبّانيّ، بعيداً عن رتابة الدّرس، وملل المحاضرة، وجفاف التّوجيه المباشر. وهذا ما لَحَظَتهُ المربّية الفاضلة، الدّكتورة «شيرين خورشيد» زادها الله علماً وفضلاً، فَقَدَّمَت هذه السّلسلة الجميلة من القَصص النّبويّ، بصورة شيّقة جذّابة، مساهمة منها في دعم الأسرة المسلمة في عمليّة التّربية، ومشاركة في الدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة).

وختمت كلامها الأستاذة «**نوال**» بالدعاء للدكتورة «**خورشيد**» قائلةً: (كتب الله لها الأجر والثّواب، وجعل ذلك في ميزان حسناتها).

وكانت لنا مقابلة مع الأستاذة شيماء عمر الّتي قالت: (سلسلة قصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد من أروع ما قرأت من سلسلة مباركة ذات حبكة قَصصيّة مشوّقة رائعة وهادفة. إذ أنّ الكاتبة اتّبعت أسلوب الحوار القَصصيّ بدلاً من السّرد المملّ، فجزى الله الدّكتورة «شيرين لبيب خورشيد» عن أمّة الإسلام خير الجزاء عن هذا الجهد المضني المبارك في رحلتها لكتابة الجواهر والدّرر هي وكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل المبارك كتاب حريّ بنا أن نكتب حروفه بالماس والياقوت).

وتابعت: (وفي وقتنا هذا إذ تموج فيه الفتن كأمواج البحر الهيجاء ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها. تأتي هذه السّلسلة المباركة لتضيء لنا كالشّمس فهي ترقى بأبناء الأمّة الإسلاميّة إلى أعلى الدّرجات في الدّنيا والآخرة ليكونوا كما أراد الخالق عزّ وجلّ للإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه باتّباع كتاب اللّه وسنّة رسوله ﷺ وتحثّهم على مقوّمات أساسيّة في خلافة الإنسان للأرض وهي الصّلاة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر منذ الصّغر وقد كانت نقيّة من اليهوديّات وهذه صفة مميّزة للسّلسلة، فجزى الله الدّكتورة شيرين لبيب خورشيد وكلّ من ساهم بإخراج هذا العمل بتلك الحلّة الجميلة كالأزهار العطرة أراحت ونشرت عطرها حيثما حلّت وكالغيمة تروي الأرض العطشى حيثما حلّت).

وفي ختام مقالنا هذا نُبارك للدّكتورة «شيرين لبيب خورشيد» على انتهائها من إصدار سلسلة قصص نبويّة بأسلوب تربويّ جديد، نوجه لها تحية عطرة من وكالة «**أنباء العاصفة العربيّة**» وندعو لها بالعمر المديد والصّحّة والعافية، وأن يوفّقها في جميع أعمالها اللاحقة كما وفّقها في أعمالها السّابقة.

* * * * * *

ملحق

لمن شاء التوسع في معاني الآيات وارتباطها بما حدث مع رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

١ ـ **بناء مسجد قباء:** ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

٢ ـ **المهاجرين:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

٣ ـ **الأنصار:** ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٤ ـ **الإخاء بين المهاجرين والأنصار:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ

ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦].

٥ ـ **مآثر الأنصار الخالدة:** ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٦].

٦ ـ **تشريع الجهاد في الإسلام:** أول ما نزل في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤١]. ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

٧ ـ **تحويل القبلة إلى الكعبة:** ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٢، ١٤٣].

﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٩ ـ ١٥٠].

٨ ـ **تشريع فريضة الصيام:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤].

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ...﴾ [البقرة: ١٨٥].

٩ ـ **تشريع الزكاة في الإسلام:** ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُمۡ ﴿٣٨﴾﴾ [محمَّد: ٣٦ ـ ٣٨].

١٠ ـ **مصارف الزكاة:** ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا

وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

١١ ـ **غزوة بدر:** ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال: ٥].

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٧ ـ ٤٨].

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٧ ـ ٨].

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

١٢ ـ **وعد الله الأسارى بالخير إن أسلموا:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

١٣ ـ **العتاب في الفداء:** ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨].

١٤ ـ **مواط العبرة من غزوة بدر:** ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣﴾ [آل عِمرَان: ١٣].

١٥ ـ **غزوة أحد:** ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عِمرَان: ١٦٦ ـ ١٦٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ [آل عِمرَان: ١٥٥].

١٦ ـ **ما نزل من القرآن في أحد:**

سورة آل عمران: الآيات ١٣٧ ـ ١٣٩ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ١٧١.

١٧ ـ **غزوة الخندق:** سورة الأحزاب.

١٨ ـ **غزوة حنين:** ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾ سورة التوبة: ٢٥ ـ ٢٧.

١٩ ـ **غزوة تبوك:** ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ

لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التّوبَة: ٩١ ـ ٩٢]، سورة التوبة كاملة نزلت في المنافقين والذين اتخذوا مسجد الضرار، وهدم المسجد وتحريقه، اعتذار المخلفين من الغزوة، لقد أنزل الله سبحانه في تبوك آيات كثيرة.

٢٠ ـ **حجة الوداع**: نزول سورة المائدة، والآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣].

* * * * * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
كلمة شكر وتقدير	٩
الجزء السّابع (والأخير) الصّفّ الثّاني عشر (عمر الطّالب ما بين ١٧ ـ ١٨)	١١
التّمهيد	١٣
المسوّدة الأولى	١٥
المسوّدة الثّانية	١٨
المسوّدة الثّالثة	٢١
المسوّدة الرّابعة	٢٩
القصّة رقم ٢٦: سيّدنا سليمان عليه السلام	٣٧
القصّة رقم ٢٧: سيّدنا سليمان وزكريّا ويحيى عليهم السلام	٧٤
قصّة رقم ٢٨: السّيّدة مريم العذراء وابنها عيسى عليهما السّلام	١٣٤
قصّة رقم ٢٩: عيسى عليه السلام وعلامات السّاعة الصّغرى والكبرى	١٩١
قصّة رقم ٣٠: سيّدنا محمّد بن عبدالله ﷺ خاتم النّبيّين والمرسلين	٢٧٢
الخاتمة	٣٦١
ملحق	٣٧٠

* * * * * *